



مع المصطلح البلاغي والنقدي

د. إحسان بن صادق اللواتي

xkp

مع المصطلح البلاغي والنقدي

د. إحسان بن صادق اللواتي

1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21

1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21

1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١	
٢	
٣	مقدمة
٤	
٥	يتناول هذا الكتاب قضية مهمة ما فتئت - وستظل لمدة
٦	طويلة فيما يبدو - تثير إشكاليات كبيرة في الدرس العربي
٧	اللغوي والأدبي ، هي قضية المصطلح وما يتعلق بها . فغير خاف
٨	على كل من له سهمة ، قلّت أو كثرت ، في الممارسة اللغوية
٩	والأدبية ، ما لهذه القضية من أبعاد وظلال متنوعة تركت آثارها
١٠	في النتاجات العربية المختلفة ، لاسيما ما اختص منها بالبلاغة
١١	والنقد .
١٢	ولئن كان لائحًا واضحًا ما لهذه القضية من حضور
١٣	إشكاليّ في عصرنا الحاضر ودراساتنا المعاصرة ، فإنّ حضورها
١٤	لم يكن أقلّ إشكالاً في تراثنا البلاغي والنقدي ، فهناك أيضاً
١٥	شكّل المصطلح مشكلة كبيرة وأثار غير قليل من الأسئلة
١٦	والشبهات .
١٧	تحاول الدراسات التي يشتمل عليها هذا الكتاب أن
١٨	تخوض غمار المصطلح ، فتتناول أطرافاً من قضيته الإشكالية ،
١٩	متوقفة عند مصطلحات عدة هي : الجملة ، والفحولة ،
٢٠	والثبوت ، والتوسع ، والنص ، دارسةً إياها في كتب تراثية
٢١	معينة ؛ لتكون نتائجها التي تتوصل إليها مقتصرةً على تلك

- ١ الكتب المدروسة وحدها ، دونما وقوع في وهدة التعميم في
- ٢ الأحكام أو سقوط في ورطة قياس الغائب على الشاهد ، فأكثر
- ٣ شيء خطراً على الدراسات المصطلحية ما لربما يلاحظ في
- ٤ بعضها من اقتصار على النظر إلى المصطلح في موارد محددة مع
- ٥ عدم امتناع عن إطلاق نتائج عامة تتجاوز تلك الموارد المحددة .
- ٦ وإذا كان معظم دراسات الكتاب يهتم بالمصطلح البلاغي
- ٧ والنقدي على وجه الخصوص في كتب معينة ، فإن الدراسة
- ٨ الأولى منه - وهي الأكبر حجماً - تخالف هذا المسلك ؛ ذلك
- ٩ أنها تتناول بالدرس مصطلحاً لم يبقَ محصوراً في دائرة علمية
- ١٠ ضيقة ، هذا المصطلح هو «الجملة» . وهو مصطلح تداولته علوم
- ١١ مختلفة كالمنطق ، وأصول الفقه ، والنحو ، والبلاغة ؛ لذا سعت
- ١٢ الدراسة إلى الوقوف على مظانّه في هذه العلوم المتعددة .
- ١٣ وبعد ، فليس من وُكد هذا الكتاب أن يعالج أسس مشكلة
- ١٤ المصطلح ، ولا أن يضع الحلول الناجعة لتجلياتها وأبعادها
- ١٥ المختلفة . فغاية ما يرمي إليه أن يسهم إسهاماً متواضعاً في
- ١٦ عرض ما توصل إليه مؤلفه من نتائج ترتبط بمصطلحات معينة
- ١٧ مثلما تبدو في كتب محددة .
- ١٨ والله ولي التوفيق .
- ١٩ د . إحسان بن صادق بن محمد اللواتي
- ٢٠ مسقط - سلطنة عُمان
- ٢١ ehsansadiq@hotmail.com

	١
	٢
تمهيد	٣
واقعنا المصطلحي، قديماً وحديثاً	٤
	٥
ترجع كلمة «مصطلح» في أصلها اللغوي إلى الجذر	٦
«صلح»، الذي قال عنه الزمخشري في «أساس البلاغة»:	٧
«صلح فلان بعد الفساد، وصالح العدو ووقع بينهما الصلح،	٨
وصالحه على كذا وتصالحا عليه واصطلاحاً» ^(١) . ومن هذا الجذر	٩
اللغوي انطلقت الكلمة لتكتسب معنى خاصاً، أوضحه	١٠
الجرجاني في «التعريفات» بقوله: «الاصطلاح عبارة عن اتفاق	١١
قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول» ^(٢) ،	١٢
وأوضحه في العصر الحديث جبور عبد النور في «المعجم	١٣
الأدبي» بقوله: «مصطلح: لفظ موضوعي يؤدي معنى معيناً	١٤
بوضوح ودقة، بحيث لا يقع أي لبس في ذهن القارئ أو	١٥
السامع. وتشيع المصطلحات ضرورةً في العلوم الصحيحة،	١٦
والفلسفة، والدين، والحقوق حيث تحدد مدلول اللفظة بعناية	١٧
قصوى» ^(٣) .	١٨
لقد ابتدأ الاهتمام العلمي المنظم بالمصطلح مبكراً في	١٩
الغرب، فمنذ الثلاثينيات من القرن العشرين وُجدت ثلاث	٢٠
مدارس مصطلحية هي: مدرسة فيينا، ومدرسة براغ، والمدرسة	٢١

- ١ السوفيينية ، وأصبح البحث في المصطلحات العلمية يشكل
- ٢ علمًا جديدًا يطلق عليه : علم المصطلحية (Terminology) ، وهو
- ٣ علم ممتزج المعارف تتأخم حدوده اللسانيات وعلم الوجود
- ٤ (Ontology) وعلم المعلومات ولغة الأهداف الخاصة (LSP)
- ٥ والمعجمية وعلم التأثيل (Etymology) .
- ٦ وقد بادرت جامعات غربية عدة ، منذ وقت غير قصير ،
- ٧ بتدريس علم المصطلحية هذا حتى للطلاب غير المتخصصين
- ٨ باللغة أو الأدب ؛ شعورًا منها بأهمية هذا العلم وبضرورته
- ٩ القصوى . لكن السؤال المهم هنا هو : ما وضع «المصطلح» ،
- ١٠ لاسيما المصطلح النقدي والبلاغي ، في أوساطنا العلمية
- ١١ العربية ، قديمًا وحديثًا؟ هذا ما نعرض له فيما يأتي :
- ١٢
- ١٣ **المصطلح البلاغي والنقدي في التراث العربي؛**
- ١٤ أبدى البلاغيون والنقاد القدماء اهتمامًا واضحًا - وإن
- ١٥ تفاوتت صورته ودرجاته - بقضية المصطلح ، وظهرت في
- ١٦ تصريحات بعضهم دلالات واضحة على ما استحقت هذه
- ١٧ القضية من مكانة مميزة عندهم ، كقول قائلهم : «إنَّ الجاهل
- ١٨ باللقاب فن قد يُعدّ من جملة الجاهلين به»^(٤) .
- ١٩ ومع وعيهم بالحساسية الخاصة التي تتسم بها مهمة
- ٢٠ تعاملهم مع المصطلحات ؛ لكونهم البادئين باختراعها ووضعها ،
- ٢١ فقد أبدوا مرونة كبيرة في هذه المهمة ، وفسحوا المجال واسعًا

- ١ أمام تكثّر المصطلحات واستمرار اختراعها ، حتى قال قدامة بن
- ٢ جعفر (ت٣٣٧هـ) : «فإنني لما كنت أخذاً في معنى لم يسبق
- ٣ إليه من يضع لمعانيه وفنونه المستنبطة أسماء تدل عليها ،
- ٤ احتجت أن أضع لما يظهر من ذلك أسماء اخترعتها ، وقد
- ٥ فعلت ذلك والأسماء لا منازعة فيها ، إذ كانت علامات . فإن
- ٦ قنع بما وضعته من هذه الأسماء ، وإلا فليخترع كل من أبى ما
- ٧ وضعته منها ما أحب ، فإنه ليس ينازع في ذلك»^(٥) .
- ٨ إن مثل هذه المرونة - وإن كشفت عن عقلية علمية واعية
- ٩ منفتحة تأبى الاحتكار العلمي في المجال المصطلحي - قد
- ١٠ قادت المصطلح البلاغي والنقدي قديماً إلى مجموعة من
- ١١ المشكلات ، أهمها :
- ١٢
- ١٣ ١- الاشتراك اللفظي:
- ١٤ أي أن يُطلق المصطلح الواحد على غير معنى ، كما حدث
- ١٥ لمصطلح «التوشيح» مثلاً . فقد استعملته ثلة من البلاغيين
- ١٦ بمعنى «أن يكون أول البيت شاهداً بقافيته ومعناها متعلقاً به ،
- ١٧ حتى إن الذي يعرف قافية القصيدة التي البيت منها إذا سمع
- ١٨ أول البيت ، عرف آخره وبانت له قافيته»^(٦) ، لكن أسامة بن
- ١٩ منقذ استعمله بمعنى مغاير ، فهو عنده «أن تريد الشيء فتعبّر
- ٢٠ عنه عبارة حسنة ، وإن كانت أطول منه»^(٧) . وكان للمصطلح
- ٢١ نفسه معنى مختلف عند ابن الأثير والعلوي ، فهو عندهما «أن

- ١ بيني الشاعر أبيات قصيدته على بحرین مختلفین ، فإذا وقف
- ٢ من البيت على القافية الأولى كان شعراً مستقيماً من بحر على
- ٣ عروض ، وإذا أضاف إلى ذلك ما بنى عليه شعره من القافية
- ٤ الأخرى كان أيضاً شعراً مستقيماً من بحر آخر على عروض ،
- ٥ وصار ما يضاف إلى القافية الأولى للبيت كالوشاح ، وكذلك
- ٦ يجري الأمر في الفقرتين من الكلام المنثور»^(٨) .
- ٧ ومن الأمثلة الأخرى على مشكلة الاشتراك اللفظي ،
- ٨ مصطلح «التطريز» ، فقد أطلقه أبو هلال العسكري على «أن
- ٩ يقع في أبيات متوالية من القصيدة كلمات متساوية في الوزن ،
- ١٠ فيكون فيها كالطراز في الثوب»^(٩) ، فلما جاء ابن أبي الإصبع
- ١١ المصري منح المصطلح معنى جديداً ، فصار يعني «أن يبتدئ
- ١٢ المتكلم أو الشاعر بذكر جمل من الذوات غير مفصّلة ، ثم يخبر
- ١٣ عنها بصفة واحدة من الصفات مكرّرة بحسب العدد الذي
- ١٤ قدّره في تلك الجملة الأولى . . .»^(١٠) ، ومثاله قول الشاعر :
- ١٥ قـرّون في رؤوس في وجـوه
- ١٦ صلاب في صلاب في صلاب^(١١)
- ١٧
- ١٨ ٢- الاشتراك المعنوي:
- ١٩ وهو أن تتكرر المصطلحات مع كونها دالة على معنى
- ٢٠ واحد . وهذه المشكلة لاحظها بعض القدماء أنفسهم ، فقال نجم
- ٢١ الدين ابن الأثير الحلبي مثلاً : «أول من سمّى هذا النوع البديع

- ١ ابن المعتز ، وألّف فيه كتابًا (. . .) ومن بعده نظر علماء
- ٢ الأدب في البديع وقسموا محاسنه أنواعًا ، وسمّوا كل نوع باسم
- ٣ حتى لقد تداخلت عليهم الأسماء ، وسموا الاسم الواحد
- ٤ بأسماء مختلفة حتى تشابهت الأسماء وتكررت أعداد
- ٥ الأنواع^(١٢) . وما أوقعهم في هذا إلا شغفهم بتكثير الأنواع
- ٦ البديعية ، وتنافسهم في ذلك ، حتى ليشعر القارئ بأن هذا
- ٧ التنافس وذلك الشغف كانا هدفين أساسيين عند المؤلفين
- ٨ المتأخرين ، لاسيما مؤلفي «البديعيات» الذين قال أحدهم :
- ٩ «وقد علمتُ أنّ عدة أبيات بديعية الصفي مائة وخمسة
- ١٠ وأربعون بيتًا ، وأما بديعية ابن حجة فعدتها مائة وواحد وأربعون
- ١١ بيتًا ، وبديعيتي هذه عدتها مائة وسبعة وأربعون بيتًا ، بزيادة
- ١٢ نوعين من البديع لم يذكرهما الصفي»^(١٣) .
- ١٣ لقد سمّى ابن المعتز الجمع بين الشيء وضده
- ١٤ «المطابقة»^(١٤) ، وسمّاه ثعلب «مجاورة الأضداد»^(١٥) ، وجاء
- ١٥ قدامة بعدهما ليسميه «التكافؤ»^(١٦) ، وهذا ما أخذه عليه
- ١٦ الأمدى فقال : «وما علمتُ أنّ أحدًا فعل هذا غير أبي الفرج ،
- ١٧ فإنه وإن كان هذا اللقب يصح لموافقته معنى الملقّبات ، وكانت
- ١٨ الألقاب غير محظورة ، فإنني لم أكن أحب له أن يخالف من
- ١٩ تقدمه ، مثل أبي العباس عبد الله بن المعتز وغيره ممن تكلم في
- ٢٠ هذه الأنواع وألّف فيها ، إذ قد سبقوا إلى التلقيب ، وكفوه
- ٢١ المؤونة»^(١٧) . وقد ظهرت للنوع البديعي نفسه تسميات أخرى

- ١ من بعد ، فنقل ابن الأثير أنه «يسمى البديع أيضاً»^(١٨) ،
- ٢ وارتأى أن «الأليق من حيث المعنى أن يُسمّى هذا النوع :
- ٣ المقابلة»^(١٩) ، ثم ارتأى العلوي أن «الأجود تلقيبه
- ٤ بالمقابلة»^(٢٠) .
- ٥ إنَّ الأمر العجاب ، أنَّ ظهور مشكلة الاشتراك المعنوي لم
- ٦ يقتصر على المصطلحات التي يستعملها مجموعة من المؤلفين
- ٧ حسب ، فقد ظهرت ، ولو في ندرة ، في مصطلحات المؤلف
- ٨ الواحد أيضاً . فمن هذا أنَّ علياً الكاتب تحدّث عن «التبيين»
- ٩ معرّفًا إياه بـ«أن يوتى بمعنى من المعاني مجملًا ثم يُبين»^(٢١) ثم
- ١٠ تحدّث في موضع آخر عن «التفسير» قائلاً : «وهو أن توضع
- ١١ معانٍ يحتاج إلى شرح أحوالها ، فإذا شُرحت أتى بما تقتضيه
- ١٢ تلك المعاني من غير زيادة عليها ولا نقصان منها ولا عدول
- ١٣ عنها»^(٢٢) ، وواضح من هذين التعريفين أنهما يتحدّثان عن
- ١٤ معرّف واحد ، وهذا ما اعترف به المؤلف نفسه الذي ما لبث أن
- ١٥ قال عن «التفسير» : «وهذا الباب ينتظم في باب التبيين لما
- ١٦ بينهما من المناسبة»^(٢٣) .
- ١٧
- ١٨ -٣ الضيق ثم السعة:
- ١٩ ويُراد بهذا أن تكون دلالة مصطلح ما ضيقة عند مؤلف من
- ٢٠ المؤلفين ، ثم تتسع دلالته عند مؤلف لاحق . مثال ذلك أنَّ
- ٢١ «التفريع» ، عند ابن رشيق ، كان يعني «أن يقصد الشاعر وصفًا

- ١ ما ، ثم يفرّج منه وصفاً آخر يزيد الموصوف توكيداً» (٢٤) ، كقول
- ٢ المتنبي :
- ٣ أقلب فيه أجفاني ، كأني
- ٤ أعـدّ به على الدهر الذنوبا
- ٥ «بينا هو يصف كثرة سهره ، وإدارة الحاظه ، شبّهها بكثرة
- ٦ ذنوب الدهر عنده» (٢٥) .
- ٧ لكنّ هذه الدلالة التي ذكرها ابن رشيق لم تعد سوى
- ٨ إحدى الدلالات الثلاث للمصطلح نفسه عند ابن أبي
- ٩ الإصبع ، فدلالته الثانية «أن يبدأ الشاعر بلفظة هي إما اسم ،
- ١٠ وإما صفة ، ثم يكرّرها في البيت مضافة إلى أسماء وصفات
- ١١ يتفرع من جملتها أنواع من المعاني في المدح وغيره ، كقول أبي
- ١٢ الطيب المتنبي :
- ١٣ أنا ابن اللقاء أنا ابن السخاء
- ١٤ أنا ابن الضّراب أنا ابن الطّعانِ
- ١٥ أنا ابن الفيافي أنا ابن القوافي
- ١٦ أنا ابن السروج أنا ابن الرّعانِ
- ١٧ طويل النجاد طويل العماد
- ١٨ طويل القناة طويل السنانِ
- ١٩ حديد اللحاظ حديد الحفاظ
- ٢٠ حديد الحسام حديد الجنان» (٢٦)
- ٢١ أما دلالته الأخيرة فهي «أن يصدر الشاعر أو المتكلم كلامه

- ١ باسم منفي بـ«ما» خاصة ، ثم يصف الاسم المنفي بمعظم
- ٢ أوصافه اللائقة به إما في الحسن أو القبح ، ثم يجعله أصلاً
- ٣ يفرِّع منه معنى في جملة من جار ومجرور متعلقة به تعلق
- ٤ مدح أو هجاء أو فخر أو نسيب أو غير ذلك ، يفهم من ذلك
- ٥ مساواة المذكور بالاسم المنفي الموصوف ، كقول الأعشى :
- ٦ ما روضة من رياض الحزن معشبة
- ٧ غناء جاد عليها مسبل هَطلُ
- ٨ يضاحك الشمسَ منها كوكب شرق
- ٩ مؤزَّر بعميم النبت مكتهلُ
- ١٠ يومًا بأطيب منها طيب رائحة
- ١١ ولا بأحسن منها إذ دنا الأصلُ» (٢٧)
- ١٢
- ١٣ ٤- السعة ثم الضيق:
- ١٤ وهذا عكس ما تقدم في النقطة السالفة ، وخير مثال له
- ١٥ مصطلح «الاستعارة» . فلعل أقدم تعريفاتها هو تعريف الجاحظ
- ١٦ بأنها «تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه» (٢٨) ، وهو
- ١٧ تعريف يمنح المصطلح من السعة والشمول ما لا يكاد يحدِّ بحدِّ .
- ١٨ وقد تجلَّت هذه السعة في تطبيقات بعض القدماء الذين يصدق
- ١٩ عليهم ، بحق ، ما قاله ابن عبد السلام الشافعي (ت ٦٦٠هـ) :
- ٢٠ «فمن العلماء من يجعل المجاز كله استعارة» (٢٩) ، ولعل من أبرز
- ٢١ هؤلاء الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) الذي لم يكد يخرج أية

- ١ صورة بيانية قرآنية من دائرة الاستعارة ، حتى وصف قوله
- ٢ تعالى : ﴿واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا
- ٣ فيها﴾^(٣٠) ، بأنه «من مشاهير الاستعارات ، والمراد واسأل أهل
- ٤ القرية التي كنا فيها وأصحاب العير التي أقبلنا فيها»^(٣١) ،
- ٥ وحتى أصرّ على استعارية بعض الصور على الرغم من إقراره
- ٦ بكنائيتها ، كقوله تعالى : ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك
- ٧ ولا تبسطها كل البسط﴾^(٣٢) ، وقد قال عنه : «وهذه استعارة ،
- ٨ وليس المراد بها اليد التي هي الجارحة على الحقيقة ، وإنما
- ٩ الكلام الأول كناية عن التفتير ، والكلام الآخر كناية عن
- ١٠ التبذير»^(٣٣) .
- ١١ لقد توالى على الاستعارة التعريفات المختلفة حتى ليندر أن
- ١٢ يقف المرء على كتاب له أدنى صلة بالبلاغة دون أن يظفر
- ١٣ بتعريف لها ، لكن ليس يهم هذه الدراسة أن تستقصى مراحل
- ١٤ تطور المصطلح ، فما يهمها ليس غير أن تشير إلى مدى ما طرأ
- ١٥ عليه من تضييق عندما عرّفه عبد القاهر الجرجاني بقوله :
- ١٦ «فالاستعارة : أن تريد تشبيه الشيء بالشيء ، فتدع أن تفصح
- ١٧ بالتشبيه وتظهره ، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيّره المشبه وتجريه
- ١٨ عليه»^(٣٤) ، فقد انتقلت الاستعارة بهذا ، عبر مراحل متعددة ،
- ١٩ من أوج سعتها التي اتسمت بها عند الجاحظ ، لتغدو نوعاً
- ٢٠ خاصاً من المجاز ، لا تتعدى العلاقة بين طرفيه المحذوف
- ٢١ أحدهما ، حدود التشبيه وحده . ومع ما قاد إليه هذا الانتقال ،

- ١ من نضج المصطلح واتخاذته التحديد العلمي الملائم له ، فإنَّ في
- ٢ فكرة الانتقال ، بحد ذاتها ، دلالة على قلق المصطلح وعدم
- ٣ ثباته ، ومن هنا فقط ساغ عدّها ضمن مشكلات المصطلح .

٤

٥ -٥- الترادف ثم الاختلاف:

- ٦ بأنَّ يحمل مصطلحان المدلول ذاته في البدء ، ثم يكون
- ٧ بينهما فرق في مرحلة تالية . مثال ذلك أنَّ مصطلح «التكافؤ»
- ٨ كان يحمل عند قدامة ، كما تقدم في النقطة الثانية ، المدلول
- ٩ ذاته الذي حمّله مصطلح «المطابقة» عند ابن المعتز ، فكان
- ١٠ المصطلحان إذاً مترادفين . لكن الأمر اختلف من بعد ، فصار
- ١١ التكافؤ «كالتطابق في أنه ذكر الشيء وضده ، لكن يشترط في
- ١٢ التكافؤ أن يكون أحد الضدين حقيقة والآخر مجازاً ، فبهذا
- ١٣ يحصل الفرق بينهما»^(٣٥) .
- ١٤ ومثال آخر ، أنَّ مصطلحي «الكناية» و«التعريض» كان
- ١٥ المتقدمون ، كالجاحظ وابن المعتز وأبي هلال^(٣٦) يستعملونهما
- ١٦ استعمال اللفظين المترادفين ، وظل الحال كذلك عند عبد القاهر
- ١٧ الجرجاني أيضاً^(٣٧) ، فلمَّا جاء الزمخشري أبرز بينهما فرقاً ،
- ١٨ فقال : «فإن قلت : أي فرق بين الكناية والتعريض؟ قلت :
- ١٩ الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له ، كقولك طويل
- ٢٠ النجاد والحمائل لطول القامة وكثير الرماد للمضياف ،
- ٢١ والتعريض أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره كما يقول

- ١ المحتاج للمحتاج إليه : جئتكَ لأسَلِّمَ عليك ولأَنظر إلى وجهك
- ٢ الكرم ، ولذلك قالوا : وحسبكَ بالتسليم مني تقاضياً ، وكأنه
- ٣ إمالة الكلام إلى عرض يدل على الغرض ، ويسمى التلويح
- ٤ لأنه يلوح منه ما يريدُه» (٣٨) .
- ٥
- ٦ -٦- الاختلاف ثم الترادف:
- ٧ ويراد بذلك أن يكون ثمة مصطلحان مختلفا المدلول في
- ٨ كتاب سابق ، ثم يصبحان متفقين مدلولاً في كتاب لاحق ،
- ٩ فالرمانى مثلاً كان يفرِّق بين «الفواصل» و«الأسجاع» فيقول :
- ١٠ «الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام
- ١١ المعاني . والفواصل بلاغة ، والأسجاع عيب ؛ وذلك أن
- ١٢ الفواصل تابعة للمعاني ، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة
- ١٣ لها» (٣٩) . لكنَّ أبا هلال العسكري لم يذهب إلى مثل هذه
- ١٤ التفرقة ، فجعل يستعمل المصطلحين بمعنى واحد ، ولا يرى
- ١٥ ضيراً في أن توصف الحروف المتفقة أو المتشابهة في المقاطع
- ١٦ القرآنية بأنها أسجاع ، وهذا ظاهر في قوله : «وكذلك جميع ما
- ١٧ في القرآن مما يجري على التسجيع والازدواج مخالف في تمكين
- ١٨ المعنى وصفاء اللفظ و تضمن الطلاوة والماء لما يجري مجراه من
- ١٩ كلام الخلق» (٤٠) . وكان كلام ابن سنان ، من بعد ، أوضح من
- ٢٠ كلامه ، فبعد أن ردَّ ما ذكره الرمانى ، قال : «ولا فرق بين
- ٢١ الفواصل التي تتماثل حروفها في المقاطع وبين السجع» (٤١) .

- ١ واقع المصطلح النقدي والبلاغي عندنا في العصر الحديث؛
- ٢ لم يلقَ المصطلح عمومًا ، في أي مجال أو حقل تخصصي ،
- ٣ من الاهتمام عندنا ما لاقيه في الدول غير العربية ، لاسيما
- ٤ الغربية . فإذا قصرنا حديثنا على مستوى المصطلح النقدي
- ٥ والبلاغي فسنجد المسألة أدهى وأمرّ؛ ذلك أن العناية العربية
- ٦ بمصطلحات النقد والبلاغة كانت أقل من العناية العربية - ولا
- ٧ أقول : الغربية - بمصطلحات الحضارة والعلوم الطبيعية . ويُرجع
- ٨ الدكتور أحمد مطلوب قلة العناية هذه إلى الأسباب الآتية :
- ٩ ١- إنَّ للنقد العربي مصطلحات كثيرة ، والأدباء قادرون
- ١٠ على الرجوع إلى المصطلح النقدي القديم .
- ١١ ٢- النقد لا يؤثر في اللغة واتجاهاتها .
- ١٢ ٣- هناك عدد كافٍ من المصطلحات النقدية التي
- ١٣ استحدثها الأدباء والمؤلفون منذ وقت مبكر .
- ١٤ ٤- النقد لا يتصل بالتقدم العلمي ، والحياة الجديدة
- ١٥ تفرض الاهتمام بالعلوم لا بالنقد والبلاغة^(٤٢) .
- ١٦ ومن نافلة القول أن نذكر أنَّ هذه الأسباب كلها أسباب
- ١٧ واهية ، لا تصمد أمام المناقشة الجادّة ، بل هي أقرب إلى الحجج
- ١٨ والتسويفات التي يلجأ إليها ، عادةً ، المقصرون .
- ١٩ وأياً كان الأمر ، فبوسع المرء أن يلحظ ، دونما عناء ، أنَّ
- ٢٠ المصطلحات النقدية والبلاغية في الساحات العلمية العربية
- ٢١ تعاني مجموعةً من المشكلات ، لعلَّ أبرزها ما يأتي :

- ١ - تعدد جهات وضع المصطلح: ١
- ٢ فالجامع العلمية العربية تتولى وضع المصطلحات في غير
- ٣ قطر عربي دوغما وجود تنسيق حقيقي فيما بينها ، على الرغم
- ٤ من وجود ما يسمى «مكتب تنسيق التعريب في العالم العربي»
- ٥ بالرباط .
- ٦ وما يزيد المسألة خطورةً ، قيام الأفراد من الكتاب والمؤلفين
- ٧ باختراع مصطلحات خاصة بهم ، أو تعريب مصطلحات
- ٨ أجنبية ، دون أن يفكر الواحد منهم في ضرورة الإفادة من جهود
- ٩ سابقه في هذا المجال . ونجم عن هذا ما نجده اليوم من تعدد
- ١٠ المصطلحات العربية التي تقابل مصطلحاً غربياً واحداً ، ولهذا
- ١١ الشأن أمثلة كثيرة ، منها مثلاً أن مصطلحاً واحداً هو :
- ١٢ Intertextuality ، نجد له في العربية المقابلات الآتية :
- ١٣ التناص ، والتناصية ، والتناصص ، والمناصصة ، والنص
- ١٤ المهاجر ، والنص الغائب ، وتداخل النصوص ، والنص الجامع ،
- ١٥ والتعالوي النصي ، والتناصية الداخلية ، والانتصاص ،
- ١٦ والضمنص ، والبينصية .
- ١٧ وهكذا سنجد الحال أيضاً لو حاولنا تتبّع المرادفات العربية
- ١٨ لمصطلحات مثل :
- ١٩ . Deconstruction, Poetics, Linguistics, Semiotics, ets
- ٢٠
- ٢١

- ١ ٢- الخلط بين المصطلحات:
- ٢ فكثيراً ما يقف الدارس المعاصر على بعض الأخطاء
- ٣ الناجمة عن الخلط بين المصطلحات المختلفة ، وعدم تبين
- ٤ الفوارق فيما بينها . فيلاحظ مثلاً أنّ جمعاً من الدارسين
- ٥ العرب ما زالوا لا يفرقون بين المصطلحين , Modernity
- ٦ Modernism ، فيطلقون على الاثنين مصطلحاً عربياً واحداً هو :
- ٧ «الحدائث» . ومثل هذا الخلط يؤدي بالدارس المعاصر المعتمد
- ٨ على الترجمات ، إلى نتائج غير محمودة في أبحاثه العلمية .
- ٩

- ١٠ ٣- غياب التخصص الدقيق:
- ١١ فما نزال نفتقد ، في جامعاتنا العربية كافة ، وجود فرع أو
- ١٢ قسم خاص لعلم المصطلحية (Terminology) . وما زال المصطلح
- ١٣ النقدي والبلاغي متروكاً للنقاد واللغويين ، بل الأدهى أن مجال
- ١٤ ابتكار المصطلحات أو تعريبها مفتوح حتى أمام غير المتخصصين
- ١٥ بالبلاغة أو النقد أو اللغة . وغني عن البيان كم سيترك هؤلاء
- ١٦ من آثار سيئة على المصطلحات التي سيخترعونها ويتعاملون
- ١٧ معها دونما أدوات معرفية كافية .
- ١٨

- ١٩ ٤- اختلاف المنهج:
- ٢٠ والمقصود من هذه النقطة هو أنّ المجامع اللغوية العربية
- ٢١ تختلف فيما بينها في درجة تشدها أو تساهلها إزاء الألفاظ

- ١ الأجنبية الدخيلة ، فبينما يُظهر مجمع بغداد قدرًا كبيرًا من
- ٢ التشدد بهذا الخصوص ، إلى درجة أنه دعا إلى تجنب تعريب
- ٣ المصطلحات الأجنبية إلا إذا تعذر العثور على لفظ عربي
- ٤ ملائم ، وإلى تجنب المصطلحات الأجنبية من أساس ، يُظهر
- ٥ مجمع القاهرة نوعًا من المرونة في هذا المجال ، وهي المرونة التي
- ٦ يلحظها كل من يرجع إلى «المعجم الوسيط» ، على الرغم من
- ٧ عدم كونه معجمًا في النقد والبلاغة .
- ٨ وإذا كانت المجامع العلمية العربية لا تتفق فيما بينها على
- ٩ رؤى محددة وأساليب واضحة في وضع المصطلحات ، فمن
- ١٠ البدهي إذاً أن يكثر التخبط وتشيع الفوضى في التعامل مع
- ١١ المصطلح عند الباحثين والدارسين .
- ١٢
- ١٣ -٥- **التخلف الزمني:**
- ١٤ والمراد من هذه النقطة أنَّ المصطلحات النقدية العربية لا
- ١٥ تساير مثيلاتها الغربية من الناحية الزمنية ، بل تتخلف عنها
- ١٦ كثيرًا . فالمعروف مثلاً أنَّ المصطلح : Romantic قد استقرت
- ١٧ صياغته ودلالته في أوروبا ، فرنسًا تحديدًا ، منذ القرن السابع
- ١٨ عشر الميلادي ، ومع ذلك نرى الباحثين العرب يختلفون في
- ١٩ تناوله بين : الإبداعية ، والابتداعية ، والرومانتيكية ،
- ٢٠ والرومانطيقية ، والرومانسية ، والرومنسية وهكذا . ولئن
- ٢١ كان هذا حال مصطلح استقر في الغرب منذ القرن السابع

- ١ عشر ، فما نقول عن مدى مجاراتنا لهم زمنياً في آلاف
- ٢ المصطلحات الحديثة التي تولد كل عام؟ فالحاصل هو أننا لا
- ٣ نتعرف ، علمياً ، إلى مصطلح نقدي جديد ، إلاّ بعد أن يكون
- ٤ هذا المصطلح قد تم التخلي عنه وابتكار بديل له ، و«البنوية»
- ٥ مثال واضح على هذا .

٦ - اختلاف تربة المنشأ عن تربتنا:

- ٨ فالمصطلح النقدي ، على وجه الخصوص ، ليس مجرد نقل
- ٩ كلمة من لغة إلى لغة ، بل هو تأصيل لمفهوم ينبع من ثقافة
- ١٠ محددة وله شروطه التاريخية الواضحة . وهذا الكلام لا يعني
- ١١ أنّ علينا أن نكف عن محاولة استيراد المصطلحات من
- ١٢ الآخرين ، فهذا شيء لا محيص عنه ، خصوصاً في ظل
- ١٣ تبعيتنا الفكرية والثقافية للغرب في كثير من حقول الفكر
- ١٤ والثقافة . بل هو يعني أنّ علينا أن نلاحظ دومًا الربط الوثيق
- ١٥ بين المصطلح من جهة ، وبين الفكر الذي أنتجه والثقافة التي
- ١٦ ترعرع فيها من جهة أخرى ، فهذه خطوة ضرورية ومهمة لأجل
- ١٧ فهم دقيق للمصطلح أولاً ، ولأجل تطبيق واضح وجلي له
- ١٨ ثانياً . وبذا لا نقطع المصطلح عن جذوره الأصلية ، ولا نتعامل
- ١٩ معه تعاملاً سطحياً جاهلاً بأصوله الفلسفية والمعرفية ، كتعامل
- ٢٠ بعض الكتّاب العرب مع مصطلحات مثل : الحداثة ،
- ٢١ والتفكيكية ، والسريرية مثلاً .

١	وبعد ذكر أهم المشكلات التي تعترض طريق المصطلح في
٢	بلداننا العربية ، يصبح من نافلة القول أن يُذكر أن الطموح
٣	المستقبلي يكمن في تجاوز تلك المشكلات وتخطيها ، لتغدو
٤	دراسة المصطلح علماً تخصصياً قائماً بذاته ، ولتنسق الجامعات
٥	العلمية في هذه المجالات ، دونما أثرٍ أو حب للتمييز . والمطلوب
٦	ضرورة تفعيل دور الجهة المسؤولة عن توحيد الجهود العربية في
٧	مجال المصطلح ، وضرورة تفريغ أناس مختصين يتابعون كل
٨	جديد من المصطلحات في الثقافات الأخرى ، دون أن يقطعوا
٩	صلة هذه المصطلحات بجذورها الفكرية والفلسفية . فهل يبقى
١٠	مثل هذا الطموح ، حلمًا ؟
١١	
١٢	
١٣	
١٤	
١٥	
١٦	
١٧	
١٨	
١٩	
٢٠	
٢١	

الهوامش

- ١
- ٢
- ٣- الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢م، مادة «صلح».
- ٤
- ٥- الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٧م، المادة ١٥٤، ص ٢٤.
- ٦
- ٧- جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٢٥٢.
- ٨
- ٩- ابن الزمكاني: التبيان في علم البيان، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٤، ص ١٦٦.
- ١٠
- ١١- قدامة ابن جعفر، نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص ٦٨.
- ١٢
- ١٣- قدامة ابن جعفر، ص ١٦٧. وانظر كذلك: أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، ص ٤٢٥؛ والباقلاني: إعجاز القرآن، ص ١١٥؛ وابن أبي الإصبع: تحرير التحبير، ص ٢٢٨؛ وبدر الدين ابن مالك: المصباح، ص ٩١.
- ١٤
- ١٥- أسامة بن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص ٨٩.
- ١٦
- ١٧- ابن الأثير: المثل السائر، ٢: ٣٤٠، وقريب منه كلام العلوي: كتاب الطراز، ص ٤٣٢.
- ١٨
- ١٩- أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، ص ٤٨٠-٤٨١.
- ١٠- ابن أبي الإصبع: تحرير التحبير، ص ٣١٤-٣١٥.
- ٢٠- البيت لابن الرومي، وهو في ديوانه ١: ٤١١.
- ٢١- ابن الأثير الحلبي: جوهر الكنز، ص ٤٨.

- ١-١٣ ابن معصوم المدني : أنوار الربيع في أنواع البديع ١ : ٢٣ . ١
- ١٤- ابن المعتز : كتاب البديع ، ص ٣٦ . ٢
- ١٥- أبو العباس أحمد ثعلب : قواعد الشعر ، ص ٣٤ . ٣
- ١٦- قدامة ابن جعفر : نقد الشعر ، ص ١٤٧ . ٤
- ١٧- الأمدى : الموازنة ١ : ٢٩١-٢٩٢ . ٥
- ١٨- ابن الأثير : المثل السائر ٢ : ٢٦٤ . ٦
- ١٩- المرجع نفسه ، ٢ : ٢٦٥ . ٧
- ٢٠- العلوي : كتاب الطراز ، ص ٣٨٣ . ٨
- ٢١- علي بن خلف الكاتب : مواد البيان ، ص ٢٨٥ . ٩
- ٢٢- المرجع نفسه ، ص ٢٩٣ . ١٠
- ٢٣- المرجع والصفحة . ١١
- ٢٤- ابن رشيق : العمدة ١ : ٦٣٢ . ١٢
- ٢٥- ابن رشيق : العمدة ١ : ٦٣٥ ، والبيت في ديوان المتنبي ، ص ١٩٤ . ١٣
- ٢٦- ابن أبي الإصبع : تحرير التحبير ، ص ٣٧٢ ، والأبيات في ديوان المتنبي ، ص ٣٣ . ١٤
- ٢٧- ابن أبي الإصبع : تحرير التحبير ، ص ٣٧٣ . والأبيات في ديوان الأعشى ١٥
- ١٦- ميمون بن قيس ، ص ١٤٥ . وفيه «خضراء» بدلاً من «غناء» في البيت الأول ، ١٦
- ١٧- «نشر رائحة» بدلاً من «طيب رائحة» في الأخير . ١٧
- ٢٨- الجاحظ : البيان والتبيين ١ : ١٥٣ . ١٨
- ٢٩- عز الدين الشافعي : الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ، ص ٢٠ . ١٩
- ٣٠- سورة يوسف ، الآية ٨٢ . ٢٠
- ٣١- الشريف الرضي : تلخيص البيان في مجازات القرآن ، ص ١٠٠ . ٢١

١	٣٢- سورة الإسراء، الآية ٢٩ .
٢	٣٣- الشريف الرضي، تلخيص البيان، ص ١٣٢ .
٣	٣٤- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ٦٧ .
٤	٣٥- ابن الأثير الحلبي: جوهر الكنز، ص ٨٩، وانظر أيضاً: ابن أبي الإصبع: تحرير
٥	التحبير، ص ١١١ .
٦	٣٦- الحيوان ٥ : ٤٥٧؛ وكتاب البديع، ص ٦٤؛ وكتاب الصناعتين، ص ٤٠٧ .
٧	٣٧- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ٧٠ و ٣٠٦ .
٨	٣٨- الزمخشري: الكشاف ١ : ٣٧٢-٣٧٣ .
٩	٣٩- الرمانى: النكت في إعجاز القرآن، ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن،
١٠	ص ٩٧ .
١١	٤٠- أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، ص ٢٨٥ .
١٢	٤١- ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص ١٦٦-١٦٧ .
١٣	٤٢- أحمد مطلوب: معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان ناشرون،
١٤	بيروت، ٢٠٠١م، ص ٤ .
١٥	
١٦	
١٧	
١٨	
١٩	
٢٠	
٢١	

١	
٢	
٣	«الجملة» في آفاقها الرحبة
٤	
٥	تمهيد:
٦	حينما تكون ظاهرة من الظواهر مطروحة للبحث في ميادين
٧	عدة علوم ، فإنه يكون من الممتع والمفيد في أن أن تُلاحظ هذه
٨	الظاهرة في ميادينها المختلفة بنظرة ساعية نحو الشمول .
٩	وظاهرة «الجملة» من الظواهر التي تناولت أطرافها عدة
١٠	علوم ، كل بحسب مناط اهتمامه التابع من خصوصية موضوعه
١١	الذي تدور حوله مسائله .
١٢	ومع أن الكتابات حول الجملة متكثرة ، إلا أنها تقتصر
١٣	عادة على تناولها في ميدان بعينه ، فهذا كتاب عن الجملة عند
١٤	النحاة ، وتلك مقالة عن الجملة عند الأصوليين ، وذلك بحث
١٥	يعرض آراء اللغويين المحدثين في الجملة ، وهكذا .
١٦	ولم أعثر ، في هذا الخصوص ، على أية دراسة وافية
١٧	تعرض للجملة وما يتعلق بها من مباحث في حقول مختلفة ،
١٨	إلا اللهم بعض الإشارات العجلى هنا وهناك ، مما لا يروي
١٩	غليلاً ، ولا يشبع جوعاً .
٢٠	ومن هنا كان هذا البحث محاولة متواضعة لمتابعة الجملة
٢١	في عدة ميادين :

- ١ فتعرضتُ في البدء للجملة عند المناطقة ، معطيًا مزيداً من
- ٢ الاهتمام لجهود المناطقة المسلمين ، ملاحظاً قصورهم عن تبني
- ٣ منهج يراعي طبيعة اللغة العربية في تناولهم للمسائل ذات
- ٤ الصلة باللغة .
- ٥ وانتقلتُ للحديث بعد ذلك عن جهود علماء أصول الفقه
- ٦ فيما يرتبط بالجملة ، ساعياً - قدر الإمكان - إلى إلقاء شيء
- ٧ من الضوء على أهم جهودهم التي اقتصوا بها ، ولاسيما فيما
- ٨ يتعلق بالناحية الدلالية للجملة .
- ٩ ثم تحدثتُ عن الجملة عند نحاة العربية ، محاولاً إبراز أهم
- ١٠ أقوالهم وآرائهم المختلفة حول الجملة وما يرتبط بها .
- ١١ وبعد ذلك كان الحديث عن جهود علماء البلاغة ، وكيفية
- ١٢ تناولهم للجملة في مباحثهم المتفرقة ، مشيراً إلى جهودهم
- ١٣ الكبيرة في محاولة إدراك الفارق غير الشكلي بين الجملتين
- ١٤ الاسمية والفعلية . وأخيراً انتقلتُ إلى كتب المعاصرين
- ١٥ والمحدثين من العلماء محاولاً تجميع الجهود الموزعة في المظان
- ١٦ المختلفة ، لإعطاء صورة مبسطة عن أهم ما تكفل مرور الزمن
- ١٧ بنضجه ، بنحو ما ، من مباحث في هذا المجال .
- ١٨ وإذا أشرتُ في بدء المقدمة إلى صفتي الإمتاع والإفادة في
- ١٩ هذا البحث ، فإنني أذكر هنا عدم انفكاك هاتين الصفتين عن
- ٢٠ صفة ثالثة هي : الصعوبة ، فليس من السهل إطلاقاً أن يسعى
- ٢١ المرء إلى تجميع ما تتكفل به علوم مختلفة - وإن كان ذلك

- ١ مرتبطاً بجزئية معينة - في بحث كهذا .
- ٢ وتبرز هذه الصعوبة بشكل سافر في مجال الحديث عن
- ٣ جهود الباحثين المحدثين والمعاصرين ، لأنك لا تكاد تقف على
- ٤ كتاب أو دراسة إلا ووجدت فيه جديداً ، إلا ما ندر .
- ٥ ومن هنا فأنا على ثقة تامة بأن بحثي هذا لا يخلو من
- ٦ هنات وهنات ، ولكنني لم أكن أطمع له يوماً أن يصل إلى
- ٧ الكمال لكي أتحسر إن هو لم يصل إليه . حسبي أن يكون
- ٨ جهدي خطوة قصيرة على طريق طويل .
- ٩

١٠ -١ الجملة عند المناطقة:

- ١١ لا أحسب أن الولوج في عالم المنطق والمناطقة - حينما
- ١٢ يكون الحديث متعلقاً بالجملة - سيكون مستغرباً ؛ ذلك أن
- ١٣ المسائل المتعلقة بعلم النحو قد لقيت نصيباً وافراً من اهتمام
- ١٤ المناطقة في كتبهم المنطقية لما تشكّله هذه المسائل من مداخل
- ١٥ مهمة إلى الأساسيات التي يتكفل بدراستها علم المنطق .
- ١٦ وغني عن البيان أن المنطق لا يتناول بالدرس كل المسائل التي
- ١٧ يتناولها النحاة ، بل يقتصر منها على ما له ربط بمجال اهتمام
- ١٨ المنطقي . وهو بعد هذا ينماز عن علم النحو في الكيفية التي
- ١٩ يتناول بها المسائل التي قد تبدو أقرب صلة بهذا الأخير .
- ٢٠ ومسألة العلاقة بين العلمين كانت واضحة منذ القدم ، فهو
- ٢١ ذا أبو حيان التوحيدي ينقل لنا عن أبي سليمان المنطقي قوله :

- ١ «النحو منطوق عربي ، والمنطق نحو عقلي . وجلّ نظر المنطقي في
- ٢ المعاني ، وإن كان لا يجوز له الإخلال بالألفاظ التي هي لها
- ٣ كالحلل والمعارض . وجلّ نظر النحوي في الألفاظ ، وإن كان لا
- ٤ يسوغ له الإخلال بالمعاني التي هي لها كالحقائق
- ٥ والجواهر . . .»^(١) .
- ٦ وهي ذي كلمات الفارابي لا تزال ملء أسماعنا : «وهذه
- ٧ الصناعة - ويعني بها صناعة المنطق - تناسب صناعة النحو ؛
- ٨ ذلك أنّ نسبة صناعة المنطق إلى العقل والمعقولات كنسبة
- ٩ صناعة النحو إلى اللسان والألفاظ . فكل ما يعطيناه علم النحو
- ١٠ من القوانين في الألفاظ فإن علم المنطق يعطينا نظائرها في
- ١١ المعقولات»^(٢) .
- ١٢ والحديث عن «الجملة عند المناطقة» سيقودنا ، بالضرورة ،
- ١٣ إلى الحديث عن «الجملة عند أرسطو» ؛ ذلك أنه «قد صحّ
- ١٤ بشهادة أهل التواريخ والقدماء أنّ أول من دوّن علم المنطق :
- ١٥ أرسطو»^(٣) ، ثم إنّ المناطقة الذين تَلَوْا أرسطو بقوا ، في معظم
- ١٦ الأحيان ، يدورون في فلكه ، ويقتصون آثاره . وهذا يدل على
- ١٧ عظيم أثر الرجل في هذا العلم .
- ١٨ لكن هذه الحقيقة نفسها قد تشكّل عقبة أمام بحثنا هذا ؛
- ١٩ وذلك لأنّ معظم ما يهمننا من آراء قد أورده أرسطو في كتاب
- ٢٠ العبارة (كتاب باري أرميناس) من منطقته . والمشكلة هنا تكمن
- ٢١ في أنّ هذا الكتاب «هو من حيث صححة نسبته إلى أرسطو

- ١ مشكوك فيه إلى حد كبير»... (٤) .
- ٢ وقد حاول الدكتور بدوي أن يحل هذه المشكلة فقال :
- ٣ «سواء أكان كتاب العبارة صحيح النسبة إلى أرسطو أو
- ٤ (كذا) لم يكن كذلك ، فإنه مما لا شك فيه أن الأقوال الواردة
- ٥ فيه أرسطية صرفة» (٥) .
- ٦ وأوضحَ ما يذهب إليه بقوله :
- ٧ «فلا بد من واحد من اثنين : إما أن يكون المؤلف هو أرسطو
- ٨ أو أحد المشائين المتلمذين عليه مباشرة» (٦) .
- ٩ لكن بقي على الدكتور بدوي أن يوضح لنا سر تفاؤله
- ١٠ الكبير بأن أقوال الكتاب «أرسطية صرفة» ما دام من المحتمل أن
- ١١ يكون الكتاب لأحد التلامذة . وهل من الضروري أن تكون آراء
- ١٢ التلميذ مطابقة تماماً لآراء أستاذه؟
- ١٣ وعلى أية حال ، فالمشكلة إنما تتبدى أمامنا لو كنا بصدد
- ١٤ الحديث عن «الجملة عند أرسطو» ، لكننا هنا لا نريد إلا
- ١٥ الحديث عن الجملة عند المناطق بعامة . ومن هنا فسوف
- ١٦ يتغاضى هذا البحث عن المشكلة ، ليس استصغاراً لها في حد
- ١٧ ذاتها ، بل استبعاداً لأهميتها في نطاقه .
- ١٨
- ١٩ (١-١) أنواع الألفاظ عند المناطق:
- ٢٠ اتخذ المناطق الحديث عن الألفاظ المفردة وأنواعها مدخلاً
- ٢١ لهم إلى دراسة الجملة ، وهذا البحث يتبعهم في ذلك ، فذكروا

- ١ أن اللفظة المفردة إما أن تكون اسماً أو فعلاً (أي كلمةً
- ٢ بتعبيرهم) أو حرفاً (أداةً بحسب اصطلاحهم) .
- ٣ والملاحظ هنا أن أرسطو لم يذكر في كتاب العبارة^(٧)
- ٤ للفظ المفردة سوى نوعين هما الاسم والكلمة ، مهملاً ذكر
- ٥ الأداة . وقد علّل هذا كل من الفارابي وابن رشد بأنه إرجاء
- ٦ لذكرها إلى كتابي الشعر والخطابة^(٨) . وفي هذين يجد المرء
- ٧ بعض جوانب الحديث عنها ، كالحديث عن قسمتها إلى
- ٨ مصوتة ونصف مصوتة وصامتة في كتاب الشعر^(٩) ، والحديث
- ٩ عن أدوات الربط والإتيان بها وفق الترتيب الطبيعي في كتاب
- ١٠ الخطابة^(١٠) .
- ١١ لكن قضية الإرجاء إلى كتابي الشعر والخطابة يبدو أنها
- ١٢ لم تُعجب ابن سينا ، فهو - بعد أن ذكر أن الأدوات ناقصة
- ١٣ الدلالات - قد قال :
- ١٤ «وجميع هذه إما دوال على لا نسبة غير معينة كفي
- ١٥ وعلى ، وإما على نسبة غير معينة كغير ولا . فيجب أن تفهم
- ١٦ هذا الوضع على هذا الوجه ، ولا تلتفت إلى ما يقولون . فمن
- ١٧ القبيح بالمعلم الأول أن يذكر من بسائط الألفاظ الاسم والكلمة
- ١٨ ويترك الأداة وما يشاكلهما»^(١١) .
- ١٩ وقسمة الألفاظ المفردة إلى أسماء وأفعال وحروف وإن
- ٢٠ بدت مماثلة لقسمتها في الدرس النحوي العربي إلا أن هذه
- ٢١ المماثلة ظاهرية إلى حد كبير ؛ ذلك أن المتتبع لجزئيات القسمة

- ١ المنطقية سرعان ما يكتشف ابتعادها عن جزئيات القسمة
- ٢ النحوية ، فالمنطقة يرون أن الاسم منه المحصل ومنه غير المحصل
- ٣ وكذلك الحال في الفعل (الكلمة) ، وقد لاحظ ابن رشد أن
- ٤ «هذا النوع من الكلم غير موجود في لسان العرب كما كان
- ٥ الاسم غير المحصل غير موجود»^(١٢) .
- ٦ والفعل قد ذكر أرسطو في تعريفه أنه : «ليس واحد من
- ٧ أجزائه يدل على انفراده . . .»^(١٣) ، وهذا ما جعل ابن سينا
- ٨ يقول : «وليس كل ما يسمى في اللغة العربية فعلاً هو كلمة ،
- ٩ فإن قولهم أمشي ويمشي^(١٤) فعل عندهم ، وليس كلمة مطلقة ؛
- ١٠ وذلك لأن الهمزة دلت على موضوع خاص وكذلك التاء»^(١٥) .
- ١١ وإذا أردنا أن نجاري ابن سينا في أسلوبه فإن لنا أن ننكر
- ١٢ كون الفعل الماضي والفعل المضارع الذي يراد به الاستقبال
- ١٣ «كلمتين» ؛ وذلك لأن أرسطو قد خص الكلمة بالدلالة على
- ١٤ الزمان الحاضر ، فقال :
- ١٥ « . . . وعلى هذا المثال قولنا «صَحَّ» الذي يُدل به على
- ١٦ زمان الماضي ، أو «يصح» الذي يدل به على الزمان المستأنف
- ١٧ ليس بكلمة ، لكن تصريف من تصاريف الكلمة . والفرق بين
- ١٨ هذين وبين الكلمة أن الكلمة تدل على الزمان الحاضر ، وهذين
- ١٩ (كذا) وما أشبههما تدل على الزمان الذي حوله»^(١٦) .
- ٢٠ إنَّ هذه المفارقات لتكشف ، في حقيقتها ، عن الاختلاف
- ٢١ الموجود بين اللغة العربية التي بني عليها النحو العربي واللغة

- ١ اليونانية التي أقيمت النظريات المنطقية على أسس منها ، وهو
- ٢ الاختلاف الذي يبدو أنه قد جعل شارحي أرسطو من المناطقة
- ٣ والفلاسفة العرب والمسلمين في موقف عصيب .
- ٤ هذا كله فيما يرتبط بالألفاظ المفردة ، فماذا عن الجمل ؟
- ٥
- ٦ (٢-١) الجملة وأقسامها في نظر المناطقة:
- ٧ عرّف أرسطو الجملة ، معبراً عنها «بالقول» ، فقال :
- ٨ «وأما القول فهو لفظ دال ، الواحد من أجزائه قد يدل على
- ٩ انفراده على طريق أنه لفظة لا على طريق أنه إيجاب . وأعني
- ١٠ بذلك أن قولي «إنسان» مثلاً قد يدل على شيء ، لكنه ليس
- ١١ يدل على أنه موجود أو غير موجود ، لكنه يصير إيجاباً أو سلباً
- ١٢ إن أضيف إليه شيء آخر . . .» (١٧) .
- ١٣ وهكذا يكون «القول» عند أرسطو لفظتين أو أكثر ، ينتج
- ١٤ من الربط بينها إثبات شيء لشيء أو نفيه عنه . ويُلاحظ هنا
- ١٥ أن أرسطو لم يحفل بتقسيم القول إلى تام وغير تام ، معتمداً ربما
- ١٦ على وضوح ذلك (١٨) .
- ١٧ وعاد أرسطو ، بعد ذلك ، إلى القول فقسمه إلى جازم وغير
- ١٨ جازم ، قائلاً :
- ١٩ «وليس كل قول بجازم ، وإنما الجازم القول الذي وجد فيه
- ٢٠ الصدق أو الكذب ، وليس ذلك بوجوده في الأقاويل كلها ،
- ٢١ ومثال ذلك : الدعاء ، فإنه قول ما ، لكنه ليس بصادق ولا

- ١ كاذب . فأما سائر الأقاويل غير ما قصدنا له منها فنحن
- ٢ تاركوها ، إذ كان النظر فيها أولى بالنظر في الخطب أو الشعر .
- ٣ وأما القول الجازم فهو قصدنا في هذا النظر»^(١٩) .
- ٤ يُفهم من هذا أمران :
- ٥ الأول : القول الجازم هو عبارة عن الجملة التامة التي تحتمل
- ٦ الصدق والكذب ، وهي التي سُمّيت : الحكم أو القضية^(٢٠) ،
- ٧ وهي «الجملة الخبرية» ، كما تعبر عنها علوم العربية .
- ٨ والآخر : إنّ المناطقة مقرون بوجود ما يسمى : «الجملة
- ٩ الإنشائية» ، ومثّل لها أرسطو بالدعاء ، ولكن حيث إنها لا
- ١٠ تحتمل الصدق والكذب لم يعرّها المناطقة الكثير من اهتمامهم ،
- ١١ ولذا قال قطب الدين الرازي في شرحه للرسالة الشمسية :
- ١٢ «وقوله : يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب ،
- ١٣ فصلٌ يُخرج الأقوال الناقصة والإنشاءات كلها من الأمر والنهي
- ١٤ والاستفهام وغيرها»^(٢١) .
- ١٥ ثم إنّ المناطقة قسموا القضايا إلى عملية وشرطية ،
- ١٦ ف«القضية قول يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب ،
- ١٧ وهي عملية إن انحلت بطرفيها إلى مفردين كقولك : زيد
- ١٨ عالم ، زيد ليس بعالم ، وشرطية إن لم تنحل»^(٢٢) .
- ١٩ وذكروا أيضاً إنّ «الشرطية إما متصلة ، وهي التي حكم
- ٢٠ فيها بصدق قضية أو لا صدقها على تقدير صدق قضية أخرى
- ٢١ كقولنا : إن كان هذا إنساناً فهو حيوان ، وليس إن كان هذا

- ١ إنساناً فهو جماد ، وإما منفصلة وهي التي يحكم فيها بالتنافي
- ٢ بين القضيتين في الصدق والكذب معاً أو في أحدهما فقط أو
- ٣ بنفيه كقولنا : إما أن يكون هذا العدد زوجاً أو فرداً ، وليس إما
- ٤ أن يكون هذا الإنسان حيواناً أو أسود» (٢٣) .
- ٥ ويُلاحظ هنا أن أرسطو ، في كتاب العبارة ، لم يُعَنَ بهذه
- ٦ القسمة أصلاً ، بل صبَّ كل اهتمامه على القضايا الحملية
- ٧ وحدها . قال الفارابي :
- ٨ « . . . فهو - يعني أرسطو - ليس ينظر في تأليف الشرطي
- ٩ في هذا الكتاب أصلاً ، وينظر فيه في كتاب القياس نظراً
- ١٠ يسيراً . وقد نظر فيه أصحاب الرواق وأخروسيبس وغيره من
- ١١ الرواقين نظراً مستقصى وأفرطوا فيه واستقصوا أمر القياسات
- ١٢ الشرطية وكذلك ثاوفرستس وأوذيمس بعد أرسطو
- ١٣ طاليس» (٢٤) .
- ١٤ وهذا ما جعل بعض المناطق يزعمون أن لأرسطو نظرية
- ١٥ مفصلة في القضايا الشرطية لم تصل إلى أيديهم . وهو الزعم
- ١٦ الذي دفعه أبو البركات البغدادي في «المعتبر» (٢٥) .
- ١٧ كانت تلکم الأقسام الرئيسة للقضايا في نظر المناطق .
- ١٨ وهم ، بعد ذلك ، يقسمون القضايا باعتبارات مختلفة : فباعتبار
- ١٩ الكيف هناك القضايا السالبة والقضايا الموجبة ، وباعتبار الكم
- ٢٠ هناك القضايا الشخصية والجزئية والكلية والطبيعية والمهملة ،
- ٢١ وباعتبار صدق الحكم على الأفراد هناك القضايا الحقيقية

- ١ والخارجية والذهنية . . . وهكذا تتوالى التقسيمات حتى تصل
- ٢ أصناف القضايا الثنائية المتقابلة إلى ألف وثمانين قضية في
- ٣ نظر الفارابي^(٢٦) . وهي تقسيمات لا تهم هذا البحث من
- ٤ قريب أو بعيد ما دامت مبنية على الأقسام الأساسية للقضايا ،
- ٥ وقد تقدّم الحديث عنها .
- ٦
- ٧ (٣-١) تركيب القضية:
- ٨ حيث إنّ القضية الشرطية تتركب من قضيتين حمليتين أو
- ٩ أكثر فإنّ المهم في المقام هو أن يُبحث في تركيب القضية
- ١٠ الحملية ، وهذه ذكر المناطقة أنها تتركب من ثلاثة أجزاء رئيسة
- ١١ هي :
- ١٢ أ- الموضوع : وهو المحكوم عليه .
- ١٣ ب- المحمول : وهو المحكوم به .
- ١٤ ج- الرابطة : وهي إما زمانية أو غير زمانية^(٢٧) .
- ١٥ وقد وقع المناطقة العرب والمسلمون في مشكلة حينما
- ١٦ لاحظوا أنّ الرابطة تكون موجودة دائماً في بعض اللغات ، و«أما
- ١٧ لغة العرب فربما حُذفت الرابطة فيها اتكلاً على شعور الذهن
- ١٨ بمعناها وربما ذُكرت»^(٢٨) .
- ١٩ وحينما لاحظوا فيما يتعلق بالرابطة غير الزمانية أنه :
- ٢٠ «ليس في لسان العرب لفظ يدل على هذا النحو من الرباط ،
- ٢١ وهو موجود في سائر الألسنة»^(٢٩) .

- ١ وترتّب على غياب الرابطة أحياناً أن يشكل التفريق بين
- ٢ القضية السالبة المحصلة المحمول والقضية الموجبة المعدولة
- ٣ المحمول ، فالأولى كقولنا : «ليس زيد عادلاً» ، والثانية كقولنا :
- ٤ «زيد غير عادل» .
- ٥ ولو كانت الرابطة موجودة لكان مكان وجودها هو الذي
- ٦ يحدد نوع القضية^(٣٠) .
- ٧ مثل هذه المشكلة الناشئة عن طبيعة اللغة العربية كان
- ٨ حريّاً بأن يستنهض همم المناطق العرب والمسلمين لجعلهم
- ٩ يسلكون ، في دراستهم المنطقية ، طريقاً غير الذي سلكه المعلم
- ١٠ الأول ، طريقاً يتناسب مع المعطيات اللغوية العربية التي كانت
- ١١ واضحة في أنظارهم . خاصة وأنّ المنطق ، في طبيعته ، لم يكن
- ١٢ ليمنعهم من مراعاة خصائص لغتهم ؛ إذ أنّ «المنطق فيما يعطي
- ١٣ من قوانين الألفاظ إنما يعطي قوانين تشترك فيها ألفاظ الأمم
- ١٤ ويأخذها من حيث هي مشتركة ، ولا ينظر في شيء مما يخص
- ١٥ ألفاظ أمة ما ، بل يوصي أن يؤخذ ما يُحتاج إليه من ذلك عن
- ١٦ أهل العلم بذلك اللسان»^(٣١) . ولو أنهم فعلوا ذلك لكان حقاً لنا
- ١٧ أن نفخر بالصبغة «العربية» لكتاباتهم المنطقية . ولكننا
- ١٨ وجدناهم ، بدلاً من ذلك ، يفسرون اللغة العربية لتوافق الآراء
- ١٩ الغربية عنها ، فهذا ابن رشد مثلاً يقول في ذيل عبارته المتقدمة
- ٢٠ التي نفى فيها وجود ألفاظ عربية دالة على الرابطة غير الزمانية :
- ٢١ «وأقرب الألفاظ شبهاً بها في لسان العرب هو ما يدل عليه

- ١ لفظ «هو» في مثل قولنا : زيد هو حيوان ، أو «موجود» في مثل
- ٢ قولنا : زيد موجود حيواناً» (٣٢) .
- ٣ وهل ، يا ترى ، تتمكن ألفاظ مثل «هو» و«موجود» من
- ٤ الدلالة على كل المعاني التي يراد ، منطقيًا ، للرابطة أن تدل
- ٥ عليها : كأن تدل حينًا على حلول محمول في موضوع ، وحينًا
- ٦ على نسبة فرد إلى فئة ، وحينًا على تلازم محمول مع محمول
- ٧ آخر؟ (٣٣) إنَّ هذا هو القسر بعينه .
- ٨
- ٩ -٢ الجملة عند علماء أصول الفقه:
- ١٠ مقدمة:
- ١١ حديث علماء أصول الفقه عن الجملة وما يرتبط بها هو
- ١٢ حديث غير خارج عن نطاق دائرة اهتمامهم البالغ بالعربية
- ١٣ وعلومها ، الاهتمام الذي وصل إلى درجة جعلتهم يعدّون علم
- ١٤ العربية مادة يستمد منها علم الأصول . قال الأمدي :
- ١٥ «وأما ما منه استمداده فعلم الكلام والعربية والأحكام
- ١٦ الشرعية (. . .) ، وأما علم العربية فلتوقف معرفة دلالات الأدلة
- ١٧ اللفظية من الكتاب والسنة وأقوال أهل الحل والعقد من الأمة
- ١٨ على معرفة موضوعاتها لغةً ، من جهة الحقيقة والمجاز والعموم
- ١٩ والخصوص والإطلاق والتقييد والحذف والإضمار والمنطوق
- ٢٠ والمفهوم والاقتضاء والإشارة والتنبيه والإيماء وغيره مما لا يعرف
- ٢١ في غير علم العربية» (٣٤) .

- ١ ومن عبارة الأمدي هذه تتضح الغاية التي كان الأصوليون
- ٢ يقصدونها في جهودهم المتعلقة باللغة ، والتي لم تكن سوى
- ٣ «معرفة دلالات الأدلة اللفظية» ، بغية التوصل ، بعد ذلك ،
- ٤ إلى استنباط الحكم الشرعي من مصادره المقررة شرعاً . وبتعبير
- ٥ آخر فإنَّ «كل ما يهدف إليه الأصوليون من وراء بحوثهم اللغوية
- ٦ هو أن تفي تلك اللغة بمقتضى ما يتجدد من أحداث في الحياة
- ٧ الإنسانية حتى يقول الدين فيها كلمته»^(٣٥) . لكن هذا لا
- ٨ يعني أنَّ الأصوليين لم يبحثوا من القضايا اللغوية إلاَّ ما يقودهم
- ٩ نحو غايتهم ، فكثيراً ما يلمح القارئ في كتبهم مباحث لا ربط
- ١٠ لها بغايتهم ، كناقشهم الطويل في أن اللغة أهي اصطلاح أم
- ١١ توقيف؟ فإن كانت اصطلاحاً فما الموضوع؟ ثم ما المعاني
- ١٢ الموضوع لها؟ وأمثال هذه المباحث غير المثمرة شيئاً^(٣٦) .
- ١٣ وما يهم البحث هنا هو نظرهم إلى الجملة وما يتعلق بها
- ١٤ من مباحث . فكيف كان هذا النظر؟ وما مميزاته؟
- ١٥
- ١٦ **الأصوليون والجملة:**
- ١٧ لم يحصر الأصوليون «الكلام» فيما كان مفيداً ، بل رأوا أنَّ
- ١٨ الكلام قد يكون مفيداً وقد لا يكون كذلك ، قال ابن قدامة
- ١٩ المقدسي :
- ٢٠ «الكلام هو الأصوات المسموعة والحروف المؤلفة ، وهو
- ٢١ ينقسم إلى مفيد وغير مفيد»^(٣٧) .

- ١ وذهب الكثيرون منهم - مخالفين في ذلك العرف النحوي
- ٢ - إلى كون الكلمة الواحدة كلاماً . قال الشوكاني :
- ٣ «وقد خصص النحاة الكلام بما تضمن كلمتين بالإسناد ،
- ٤ وذهب كثير من أهل الأصول إلى أن الكلمة الواحدة تسمى
- ٥ كلاماً» (٣٨) .
- ٦ هذا عن الكلام ، أما الجملة فهي أيضاً لا يُشترط فيها أن
- ٧ تكون مفيدة في نظرهم ؛ ذلك أنّ «سرّ تسميتها «جملة» ليس
- ٨ فائدتها التامة ، بل مدلولها التركيبي ، بحيث يكون لكلماتها
- ٩ المفردة معناها المعجمي الخاص ، ولهيتها التركيبية القائمة
- ١٠ بهذه الكلمات معناها النحوي الخاص الزائد على معاني
- ١١ المفردات . ولا شك أن هذا المعنى التركيبي الزائد يحصل من
- ١٢ تركيب يحسن السكوت عليه كهيئة (القطار قادم) كما يحصل
- ١٣ من تركيب لا يحسن السكوت عليه كهيئة (القطار القادم) ،
- ١٤ فإن في كل منهما معنى زائداً على معنى القطار ومعنى
- ١٥ القدوم ، هو : نسبة القدوم إلى القطار ، وربطه به ، إلا أنّ هذا
- ١٦ المعنى في الهيئة الأولى تام وفي الثانية ناقص» (٣٩) .
- ١٧ من هنا شرع الأصوليون في بحث معمّق ، محاولين وضع
- ١٨ أيديهم على الفارق الدلالي بين الجملتين التامة والناقصة ،
- ١٩ وستأتي الإشارة إلى هذا فيما يأتي ، عندما يكون الحديث عن
- ٢٠ الناحية الدلالية .
- ٢١ ونظّر الأصوليون إلى التقسيم النحوي المعروف للجمل إلى

- ١ اسمية وفعلية موافقين عليه إجمالاً ، وإن كان بعضهم قد
- ٢ أضاف «الجملة المزدوجة» إلى القسمين ، وهي الجملة الاسمية
- ٣ التي يكون خبرها جملة فعلية كقولنا : «البدر طلع»^(٤٠) . ولا
- ٤ يخفى أن إضافة هذا القسم إنما هي إضافة شكلية ، ففي واقع
- ٥ الأمر صاحب هذا الرأي موافق رأي البصريين القائل باسمية
- ٦ مثل هذه الجملة ، غاية الأمر أنه لما كان الخبر جملة فعلية فإنَّ
- ٧ هذا قد استدعى أن يُسمى التركيب : جملة مزدوجة . وأما
- ٨ الجملة الشرطية فيبدو أن بعضهم قد عدّها قسيمة للجملتين
- ٩ الاسمية والفعلية ، فكانت الجمل على ثلاثة أقسام ، وهذا ما
- ١٠ يظهر من قول أبي حامد الغزالي في «المنحول» :
- ١١ «والكلام المفهم جملة مركبة من مبتدأ وخبر كقولك : زيد
- ١٢ منطلق ، أو فعل وفاعل كقولك : قام زيد ، أو شرط وجزاء
- ١٣ كقولك : إن جئتني أكرمتك»^(٤١) .
- ١٤ لكن هناك ، في المقابل ، من لم يعدّ الجملة الشرطية قسمًا
- ١٥ مستقلاً برأسه ، بل عدّها مركبة من جملتين ، ومن هؤلاء فخر
- ١٦ الدين الرازي الذي قال :
- ١٧ «وأما الكلام فهو الجملة المفيدة»^(٤٢) ، وهي : إما الجملة
- ١٨ الاسمية كقولنا : زيد قائم ، أو الفعلية كقولنا : قام زيد ، وإما
- ١٩ مركب من جملتين وهي الشرطية كقولك : إن كانت الشمس
- ٢٠ طالعة فالنهار موجود»^(٤٣) .
- ٢١ ونظّر الأصوليون ، أيضاً ، إلى التقسيم المشهور للجمل إلى

- ١ خبرية وإنشائية فلم يخالفوه ، إلاّ اللهم فيما يرتبط بالتقسيم
- ٢ الشكلي أحياناً كما يبدو ذلك من قول الغزالي : «الفصل
- ٣ الثالث في أقسام الكلام . والمختار فيه أنه خمسة :
- ٤ طلب : وهو متناول للأمر والنهي والدعاء .
- ٥ وخبر واستخبار وتنبيه : وهو مشير إلى النداء .
- ٦ وتردد : وهو متناول للتمني والترجي وأنواعه» (٤٤) .
- ٧ وكانت لهم في تحليل الفارق بين الخبر والإنشاء آراء
- ٨ دقيقة ، تأتي الإشارة إليها .
- ٩
- ١٠ **العمق الدلالي:**
- ١١ لا يملك الباحث - مهما توخى الحياد والموضوعية العلمية
- ١٢ - أن يمنع نفسه عن الامتلاء فخراً وإعجاباً بما كتبه الأصوليون
- ١٣ من مباحث حينما يتأمل من خلالها عمق الجهد المبذول في
- ١٤ محاولة التوصل إلى أغوار الدلالات وكنهها .
- ١٥ فقد تناول الأصوليون بالبحث مسائل ربما تناولها علماء
- ١٦ آخرون كالنحاة والبلاغيين ، لكن منهجهم في الناحية الدلالية
- ١٧ كان متميزاً حقاً ، الأمر الذي دعا بعض الباحثين إلى تسمية
- ١٨ البحث النحوي لدى علماء أصول الفقه : «نحو الدلالة» (٤٥) .
- ١٩ ولعمري إنه لمن الإجحاف بحق جهود علمائنا في هذا
- ٢٠ المجال أن نتناولها ههنا من غير تروٍّ ولا تفصيل ، ولكن لا
- ٢١ محييص عن الإشارة السريعة - حسبما تحتمله طاقة هذا

- ١ البحث ويقتضيه منهجه - إلى أهم عطاءاتهم ، تاركين
- ٢ التفصيلات للكتابات الموسَّعة :
- ٣ فلقد ذكروا - بتأثير واضح من المنطق - أن: «دلالة اللفظ
- ٤ على المعنى تنحصر في ثلاثة أوجه وهي المطابقة والتضمن
- ٥ والالتزام ، فإنَّ لفظ البيت يدل على معنى البيت بطريق
- ٦ المطابقة ، ويدل على السقف وحده بطريق التضمن لأن البيت
- ٧ يتضمن السقف لأن البيت عبارة عن السقف والحيطان ، وكما
- ٨ يدل لفظ الفرس على الجسم إذ لا فرس إلا وهو جسم ، وأما
- ٩ طريق الالتزام فهو كدلالة لفظ السقف على الحائط فإنه غير
- ١٠ موضوع للحائط وضع لفظ الحائط للحائط حتى يكون مطابقاً
- ١١ ولا هو متضمن إذ ليس الحائط جزءاً من السقف كما كان
- ١٢ السقف جزءاً من نفس البيت وكما كان الحائط جزءاً من نفس
- ١٣ البيت لكنه كالرفيق الملازم الخارج عن ذات السقف الذي لا
- ١٤ ينفك السقف عنه . . .» (٤٦) .
- ١٥ ولكنهم زادوا على ما أخذوه عن المناطقة أنَّ الدلالة حينئذ
- ١٦ قد تكون بنحو بحيث يُقطع بالمراد فيكون الكلام «نصاً» في
- ١٧ المراد ، وقد تكون بحيث يظهر المعنى مع احتمال الخلاف
- ١٨ فيكون الكلام «ظاهراً» في المراد ، وقد يتردد المعنى بين جهتين
- ١٩ من غير ترجيح فيكون «مجملاً» (٤٧) .
- ٢٠ وتحدثوا عن اشتمال اللغة على الحقيقة والمجاز (٤٨) ، وهو
- ٢١ مبحث أقرب إلى طبيعة مباحث علم البيان ، لكن بصمات

- ١ الأصوليين بقيت واضحة عليه ، فلم يكتفوا بذكر أصناف المجاز في
- ٢ اللغة ، بل ذكروا - إلى جانب ذلك - أنّ الحقيقة نفسها إما أن
- ٣ تكون لغوية وإما أن تكون عرفية عامة وإما أن تكون عرفية خاصة
- ٤ (وتسمى اصطلاحية أيضاً) وإما أن تكون حقيقة شرعية^(٤٩) .
- ٥ وفصلوا الحديث في ذكر أحكام الحقيقة والمجاز وعلامات
- ٦ كل منهما والمباحث المشتركة بينهما . . . وما أشبه ذلك من
- ٧ موضوعات^(٥٠) .
- ٨ أشرتُ فيما سلف إلى أن الأصوليين قد حاولوا ، من
- ٩ الناحية الدلالية ، وضع أيديهم على الفارق بين الجملتين التامة
- ١٠ والناقصة ، وكانت لهم في هذا عدة آراء : فقد ذهب بعضهم
- ١١ إلى أنّ الجملة التامة تعبر عن إثبات نسبة بين شيئين ، أما
- ١٢ الجملة الناقصة فتعبر عن النسبة الثابتة بينهما . بمعنى أنّ من
- ١٣ يقول : «الأرض كروية» يريد بقوله هذا أن يُثبت الكروية
- ١٤ للأرض ، بينما من يقول : «الأرض الكروية» يريد أن يتحدث
- ١٥ عن نسبة ثابتة ، ومعلومة من قبل بين الأرض والكروية ولا
- ١٦ يريد إثبات هذه النسبة الآن .
- ١٧ وذهب بعض آخر إلى أن الفارق يعود إلى كون الجملة
- ١٨ التامة دالة على نسبة واقعية بينما تدل الجملة الناقصة على
- ١٩ نسبة تحليلية (اندماجية) . فجملة «الأرض كروية» يدرك
- ٢٠ الذهن منها نسبة واقعية غير اندماجية لأنه يدرك منها طرفين
- ٢١ غير مندمجين بينما نسبة (الأرض) و(كروية) ، بينما جملة

- ١ «الأرض الكروية» لا يدرك الذهن منها إلا مفهوماً واحداً هو
- ٢ (الأرض الكروية) ، ولا تستفاد منها نسبة الكروية إلى الأرض
- ٣ إلا بواسطة التحليل لهذا المفهوم المندمج^(٥١) .
- ٤ وهناك رأي ثالث يرى الفارق كامناً في أن الجملة التامة
- ٥ موضوعة لقصد الحكاية والإخبار في الجملة الخبرية ولقصد
- ٦ إبراز أمر ما في نفس المتكلم في الجملة الإنشائية ، أما الجملة
- ٧ الناقصة فهي موضوعة للتخصيص والتضييق^(٥٢) .
- ٨ وللأصوليين في مقام التفرقة بين الجمل الإنشائية والجمل
- ٩ الخبرية آراء عدة مستمدة من الدلالة : فثمة رأي يذهب إلى أن
- ١٠ المفهوم منهما واحد ، والفرق إنما هو في قصد المتكلم ، فأنت قد
- ١١ تقول : (بعث) قاصداً إخبار السامع ببيعك الواقع في الماضي ،
- ١٢ وقد تقول : (بعث) قاصداً إنشاء البيع الآن ، فتكون الجملة
- ١٣ الأولى خبرية بينما تكون الأخيرة إنشائية . ولا يخفى أن هذا
- ١٤ الرأي إنما يأتي في صورة الجملة المشتركة بلفظ واحد بين
- ١٥ الإنشاء والإخبار كالمثال ، ولا يأتي فيما يختص به كل من
- ١٦ الإنشاء والإخبار من جمل .
- ١٧ وثمة رأي ثان يذهب إلى أن الاختلاف بين الخبر والإنشاء
- ١٨ ثابت في كيفية الدلالة ذاتها (أي بغض النظر عن قصد
- ١٩ المتكلم) ، فالجملة الإنشائية دلالتها على مدلولها بمعنى إيجادها
- ٢٠ له باللفظ بينما الجملة الإخبارية دلالتها على مدلولها بمعنى
- ٢١ إخطارها للمعنى وكشفها عنه .

- ١ والرأي الثالث في المسألة يقول : إن الجملة الخبرية
- ٢ موضوعة لنسبة تامة منظوراً إليها بما هي حقيقة واقعة وشيء
- ٣ مفروغ عنه ، والجملة الإنشائية موضوعة لنسبة تامة منظوراً إليها
- ٤ بما هي نسبة يراد تحقيقها ، وليس استعمال الجملة الإنشائية في
- ٥ معناها إيجاداً للمعنى باللفظ كما كان الرأي الثاني يقول (٥٣) .
- ٦ وفيما يرتبط بكون الجملة اسمية أو فعلية لم يقنع جمع
- ٧ من الأصوليين بالأساس الشكلي للتفرقة بينهما ، أعني
- ٨ الأساس القائل بأن الجملة المصدرية باسم اسمية والمصدرية بفعل
- ٩ غير ناقص فعلية ، بل حاولوا بناء تفرقتهم بينهما على أساس
- ١٠ دلالي من طبيعة الإسناد في كل منهما . فذهبوا إلى أن الجملة
- ١١ الاسمية قضية حملية مفادها الحكم باتحاد الموضوع مع المحمول
- ١٢ في المصدق ، فأنت بقولك : «زيد قادم» تريد أن تفيد السامع
- ١٣ أن هناك فرداً خارجياً معيناً يصدق عليه كلا المفهومين زيد
- ١٤ وقادم ، فزيد هو القادم ، والقادم هو زيد . ومن هنا تكون الجملة
- ١٥ الاسمية مكونة من عمدتين في الكلام هما الموضوع والمحمول .
- ١٦ أما الجملة الفعلية فليس فيها حمل شيء على شيء والحكم
- ١٧ باتحادهما مصداقاً ، وإنما هي مشتملة على نسبة حدث
- ١٨ (والحدث هنا هو وحده العمدة) إلى من صدر عنه (أي الفاعل)
- ١٩ أو وقع عليه (أي نائب الفاعل) ، وهذا المنسوب إليه ليس في
- ٢٠ الركنية بمنزلة الحدث ، لأنه لا يعدو أن يكون متعلقاً من
- ٢١ متعلقاته .

- ١ وبناءً على هذا الفهم لطبيعة الجملتين ذهب جمع من
- ٢ الأصوليين إلى كون مثل قولنا «زيد جاء» جملة فعلية^(٥٤).
- ٣ وليس بمستطاع للقلم أن يكف عن الكتابة حول الجملة
- ٤ وجانبها الدلالي دونما إشارة إلى مبحث انفرد الأصوليون
- ٥ بالتطرق له ، ألا وهو مبحث «مفهوم الجملة» بقسميه الموافق
- ٦ والمخالف^(٥٥).
- ٧ فمفهوم الموافقة (أو دلالة الفحوى أو القياس الجلي) يُقصد
- ٨ به أن سياق الكلام ربما يعين أحياناً على فهم حكم من باب
- ٩ الأولوية من خلال الحكم المذكور بصراحة . ومثاله قوله تعالى :
- ١٠ ﴿ولا تقل لهما أف﴾ ، فهو يدل بصراحته على حرمة قول
- ١١ «أف» من الولد لوالديه ، ولكنه بفحواه في هذا السياق يدل
- ١٢ بالأولوية على تحريم ما فوق التأفف من الشتم أو الإهانة أو
- ١٣ الضرب .
- ١٤ ومفهوم المخالفة يُقصد به فهم نقيض الحكم المذكور - إذا
- ١٥ كان مقيداً بقيد كالشرط أو الصفة أو الغاية أو العدد أو اللقب -
- ١٦ عند انتفاء ذلك القيد . فعندما يقول سبحانه : ﴿وإن كُنَّ
- ١٧ أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن﴾ ، يكون
- ١٨ المستفاد عدم وجوب النفقة على المطلقة المعتدة إذا لم تكن
- ١٩ حاملاً ؛ لأنَّ وجوب النفقة قد قيّدته الآية بالشرط (وهو وجود
- ٢٠ الحمل) .
- ٢١ «ويختلف الأصوليون بصفة عامة في الاعتماد على مفهوم

- ١ المخالفة في تفسير نصوص القرآن والسنة ، ومن ثم في استثمار
- ٢ الأحكام منها ، فالحنفية وبعض المتكلمين والفقهاء من غيرهم
- ٣ لا يعدونه طريقاً من طريق التفسير وإثبات الأحكام ، وهو ما
- ٤ يميل إليه الغزالي ، بينما يذهب الجمهور ومنهم الشافعي ومالك
- ٥ والأكثر من أصحابهما إلى القول به في غالب أنواعه بشروط
- ٦ خاصة «(٥٦) .

٨ ملحوظات:

- ٩ في ذيل هذا الحديث عن الجملة عند الأصوليين ربما يكون
- ١٠ من المناسب أن تُذكر ملحوظات تتعلق بمنهجهم العام في
- ١١ تعاملهم مع الجملة وما يرتبط بها من جزئيات :
- ١٢ أ- يشعر القارئ لبحوثهم اللغوية بعامة وما يرتبط منها
- ١٣ بموضوعنا بخاصة أنه كان واضحاً لديهم ، أو لدى أكثرهم ،
- ١٤ أن لهم منحي خاصاً في التعامل مع القضايا اللغوية ، ولهم
- ١٥ شخصيتهم العلمية المتميزة عن غيرهم من النحاة
- ١٦ والبلاغيين مثلاً ، ولذلك تراهم يقرّون ، بكل يسر
- ١٧ وسهولة ، بمخالفتهم للنحاة مثلاً ، فهو ذا الأمدى - وبعد
- ١٨ أن ذكر ما ذهب إليه أكثر الأصوليين من أن الكلمة
- ١٩ الواحدة ، إذا كانت مركبة من حرفين فصاعداً ، تعدّ
- ٢٠ كلاماً ، وذكر اختلافهم فيما اجتمع من كلمات وهو غير
- ٢١ مفيد - أخذ يقول :

- ١ «والنزاع في إطلاق اسم «الكلام» في هذه الصورة مائل
- ٢ إلى الاصطلاح الخارج عن وضع اللغة باتفاق من أهل
- ٣ الأدب . وأما مأخذه في اصطلاح أهل اللغة . . .» (٥٧) .
- ٤ ومثله كلام الشوكاني السابق نقله عنه .
- ٥ ب- هذا المنحى الخاص المذكور في النقطة السابقة قد تفاوت
- ٦ تعامل الأصوليين معه ، فمنهم من لم يرغب في التمسك
- ٧ به حينما كان يخالف منحى اللغويين والنحاة ، فالرازي
- ٨ مثلاً - وبعد أن نقل مخالفة الأصوليين للنحاة في عدهم
- ٩ الكلمة الواحدة كلاماً - قال :
- ١٠ «وقول أهل اللغة في المباحث اللغوية راجح على قول
- ١١ غيرهم» (٥٨) .
- ١٢ ومن هنا وجدناه - فيما سبق - يعرف الكلام بأنه الجملة
- ١٣ المفيدة (٥٩) ، ونجده ، في غير موضع من كتابه الأصولي ،
- ١٤ يُرجع إلى النحاة ، كقوله مثلاً :
- ١٥ «أما الحرف فكتب النحو شاهدة بأنه مشترك» (٦٠) .
- ١٦ ولكن في مقابل الرازي ومن نحا منحاه وُجد من
- ١٧ الأصوليين من تشبث بالمنحى الأصولي الخاص ، ولم
- ١٨ يكتف بذلك ، بل أخذ يناقش النحويين في منحاهم ،
- ١٩ كالأمدي مثلاً ، فقد نقل عن النحاة تعريفهم للكلام بأنه
- ٢٠ «هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما للأخرى» ، ثم
- ٢١ أخذ يقول :

- ١ «غير أنّ ما ذكره من الحد يدخل فيه قول القائل : حيوان
- ٢ ناطق وإنسان عالم وغير ذلك من النسب التقييدية فإنه لا
- ٣ يُعد كلامًا مفيدًا وإن أسند فيه إحدى الكلمتين إلى
- ٤ الأخرى .
- ٥ والواجب أن يقال (أي بناء على منحى النحاة أنفسهم) :
- ٦ الكلام ما تألف من كلمتين تأليفًا يحسن السكوت
- ٧ عليه»^(٦١) مثل هذا الحديث دليل على أنّ الأمدي لم يكن
- ٨ يرى آراء النحاة على أنها الآراء الصحيحة والمحكمة دائمًا ؛
- ٩ لذا لم يجد في نفسه مانعًا من التمسك بآراء الأصوليين
- ١٠ ومن مناقشة النحاة انطلاقًا من آرائهم هم ، وإن كان من
- ١١ غير الواضح السر الذي دعاه إلى عدّ مثل «قول القائل :
- ١٢ حيوان ناطق وإنسان عالم وغير ذلك من النسب التقييدية»
- ١٣ إسنادًا ، مع وضوح أنه ليس كذلك .
- ١٤ ج- كان للأصوليين فضل غير منكور على مباحث الجملة
- ١٥ والكلام وما يرتبط بهما ، فقد أضافوا إليها إضافات لم
- ١٦ يسبقهم إليها غيرهم ، وهم إذا تناولوا بالدرس مباحث
- ١٧ يتناولها غيرهم فإنه يتناولونها ، عادةً ، بنحو متميز ، نتيجةً
- ١٨ لدقتهم التي لا ترضى لنفسها بأن تطفو على السطح من
- ١٩ دون أن تكتنه الأعماق وتسبرها . وأحسب أنّ دقتهم هذه
- ٢٠ قد أبانت عن نفسها فيما سلف من حديث .
- ٢١ د- لعلم المنطق حضور واضح في مباحث الأصوليين

- ١ وتقسيماتهم ، ويظهر هذا الحضور بجلاء في مقدمات
- ٢ كتبهم التي يسوقون فيها ، عادةً ، أموراً ليست من علم
- ٣ الأصول في شيء مع اعترافهم بذلك ، فالغزالي في مقدمة
- ٤ «المستصفى» يقول :
- ٥ «نذكر في هذه المقدمة مدارك العقول وانحصارها في الحد
- ٦ والبرهان ، ونذكر شرط الحد الحقيقي وشرط البرهان الحقيقي
- ٧ وأقسامهما على منهاج أوجز بما ذكرناه في كتاب محك النظر
- ٨ وكتاب معيار العلم . وليست هذه المقدمة من جملة علم
- ٩ الأصول ولا من مقدماته الخاصة به ، بل هي مقدمة العلوم
- ١٠ كلها ، ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بعلومه أصلاً . فمن شاء أن
- ١١ لا يكتب هذه المقدمة فليبدأ بالكتاب من القطب الأول فإن
- ١٢ ذلك هو أول أصول الفقه» (٦٢) .
- ١٣ وهم ، لأجل التوصل إلى التقسيم الثلاثي المعروف
- ١٤ للألفاظ المفردة ، يتبعون منهجاً منطقيًا عقلياً ، فيقولون :
- ١٥ «وهو إما أن يصح جعله أحد جزئي القضية الخبرية التي
- ١٦ هي ذات جزئين فقط أو لا يصح . فإن كان الأول فيما أن يصح
- ١٧ تركيب القضية الخبرية من جنسه أو لا يصح . فإن كان الأول
- ١٨ فهو الاسم وإن كان الثاني فهو الفعل . وأما قسيم القسم الأول
- ١٩ فهو الحرف» (٦٣) .
- ٢٠ أو يقولون :
- ٢١ «والأقوال إما أن تكون أصلاً في الإفادة ، وإما أن تكون

- ١ تابعة لغيرها في الإفادة ، كالحروف التي إنما تغير فوائد الأسماء
- ٢ والأفعال فتحصل فوائدها متراخية أو متعقبة . وما يكون أصلاً
- ٣ في الإفادة إما أن يفيد معنى مقترناً بزمان وهو الأفعال ، وإما أن
- ٤ يفيد معنى غير مقترن بزمان وهو الأسماء» (٦٤) .

٥

٦ -٣- الجملة عند نحاة العربية:

- ٧ لربما كان يحق للباحث أن يتوقع أن تستأثر الجملة بنصيب
- ٨ وافر من جهود النحاة وكتاباتهم ؛ لما للجملة من أهمية خاصة
- ٩ في التعبير بأية لغة من اللغات من جهة ، ولما للجملة من صلة
- ١٠ لا تنكر بحال مع موضوع علم النحو ، أعني الكلمة والكلام .
- ١١ لكنه سرعان ما يكتشف خطأه في توقعه هذا ، حين يرى أن
- ١٢ الجملة «كان حظها من عناية النحاة قليلاً جداً . بل لم يعرضوا
- ١٣ لها إلا حين يريدون أن يبحثوا في موضوع آخر ، ولم يعنوا
- ١٤ بالبحث فيها إلا في ثنايا الفصول والأبواب ، ولم يشيروا إليها
- ١٥ إلا حين يضطرون إلى الإشارة إليها حين يعرضون للخبر الجملة
- ١٦ والنعت الجملة والحال الجملة وموضوع الشرط الذي ينبني على
- ١٧ جملتين : جملة الشرط وجملة الجواب ، وغيرها من موضوعات
- ١٨ متفرقة هنا وهناك . . .» (٦٥) .
- ١٩ ويُرجع الدكتور مهدي الخزومي هذه الظاهرة إلى أن النحاة
- ٢٠ «إنما عنوا بظاهرة الإعراب وتفسيرها وفكرة العمل والعامل ، ولا
- ٢١ يظهر في الجملة أثر العامل كما يظهر في الكلمات العربية

- ١ المعربة»^(٦٦) . لكن هذا القليل جدير بأن نتوقف عنده ، من
- ٢ خلال النقاط الآتية :
- ٣
- ٤ **الجملة والكلام؛**
- ٥ تحدّث سيبويه في كتابه عن «الكلام» ، بما يفهم منه أنه
- ٦ التركيب اللفظي الذي يحسن السكوت عنده ، جاعلاً إياه في
- ٧ مقابل «القول» ، فقال :
- ٨ «واعلم أنّ «قلت» إنّما وقعت في كلام العرب على أن
- ٩ يحكى بها . وإنما تحكى بعد القول ما كان كلاماً لا قولاً نحو :
- ١٠ قلتُ : زيد منطلق ، لأنه يحسن أن تقول : زيد منطلق ولا
- ١١ تدخل «قلت» ، وما لم يكن هكذا أسقط القول عنه»^(٦٧) .
- ١٢ فسيبويه قد عدّ جملة «زيد منطلق» كلاماً ، وهذا المقدار هو
- ١٣ محل اتفاق الجميع ، لكن هل كان سيعدّ جملةً مثل قولنا : «هو
- ١٤ منطلق» في قولنا : «رأيتُ زيداً وهو منطلق» كلاماً؟ هذا ما لم
- ١٥ توضحه لنا عبارته السابقة ؛ ولذا لا يكون من المستساغ أن نفهم
- ١٦ منها كون سيبويه ذاهباً إلى القول بالترادف بين الجملة والكلام
- ١٧ كما فهم منها بعض الباحثين^(٦٨) .
- ١٨ لكنّ هذه القضية - أعني طبيعة العلاقة بين الكلام
- ١٩ والجملة - أصبحت محلاً يختلف فيه النحاة اللاحقون ، وارتبط
- ٢٠ بهذا الخلاف تفسيرهم للمراد من الجملة .
- ٢١ وللنحاة في المسألة رأيان :

- ١ الرأي الأول : هو القول بالترادف بين الكلام والجملّة ،
- ٢ فمفهوم المصطلحين واحد لا يختلف . وقد ذهب إلى هذا الرأي
- ٣ أبو حيان الأندلسي حينما عرّف الكلام بأنه «قول دال على
- ٤ نسبة إسنادية»^(٦٩) فقد قال ابن هشام معلّقاً : «ومقتضاه أنّ
- ٥ الكلام لا يختص بالمفيد ؛ لأن الحد صادق على كل جمليتي
- ٦ الشرط والجزاء والجملّة الواقعة صلة مع أنّ كلاً من ذلك غير
- ٧ مفيد . . .»^(٧٠) ، وكون الكلام غير مفيد يعني أنه قد فقد القيد
- ٨ الذي يميّزه عن الجملّة على الرأي الآخر الآتي ، فلم يبق بينه
- ٩ وبين الجملّة فارق .
- ١٠ ومن ذهب إلى هذا الرأي كذلك : الزمخشري ، الذي عرّف
- ١١ الكلام ثم ذكر أنه يسمى الجملّة . قال : «والكلام هو المركب
- ١٢ من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى ، وذلك لا يتأتى إلا
- ١٣ في اسمين كقولك زيد أخوك وبشر صاحبك ، أو في فعل واسم
- ١٤ نحو قولك ضرب زيد وانطلق بكر ، ويسمى الجملّة»^(٧١) .
- ١٥ ومع أنّ تعريف الزمخشري للكلام لا يكاد يختلف عن
- ١٦ تعريف أبي حيان الأندلسي له ، إلّا أنه لم يفهم منه أنه أراد أنّ
- ١٧ الكلام لا يختص بالمفيد كما فهم من أبي حيان ، بل فهم منه
- ١٨ أنه أراد جر قيد الإفادة إلى الجملّة أيضاً . فالجملّة والكلام لا
- ١٩ يختلفان ، ليس لأنهما قد يكونان غير مفيدتين ، بل لأنهما
- ٢٠ مفيدتان دائماً . ونتيجةً لهذا الفهم حاول أنصار الزمخشري
- ٢١ تفسير السبب في إطلاق مصطلح (الجملّة) على تلك التي تقع

- ١ صلة أو نعتاً أو حالاً أو ما أشبه ذلك مع وضوح عدم صلاحيتها
- ٢ للاستقلال بنفسها ، فقال محمد بن يوسف الحلبي :
- ٣ «وأما إطلاق الجملة على ما ذكر من الواقعة شرطاً أو جواباً
- ٤ أو صلة فإطلاق مجازي لأنّ كلاً منها كان جملة قبل . فأطلقت
- ٥ الجملة عليه باعتبار ما كان ، كإطلاق اليتامى على البالغين
- ٦ نظراً إلى أنهم كانوا كذلك»^(٧٢) . ومن هنا لا يكون مذهب
- ٧ الزمخشري متناقضاً مع كون خبر المبتدأ جملة أحياناً ؛ لأن
- ٨ التعبير بالجملة ههنا تعبير مجازي ، فلا يتناقض مع ما يذهب
- ٩ إليه من أن الجملة لا تطلق إلى على ما يفيد فائدة تامة^(٧٣) .
- ١٠ وهذا الذي فهم من الزمخشري ، من أنّ الجملة والكلام
- ١١ مترادفان لكون كل منهما مشروطاً بالإفادة التامة وصلاحية
- ١٢ الاستقلال ، ذهب إليه ابن جني في صراحة ووضوح ، فقال :
- ١٣ «أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه ، وهو
- ١٤ الذي يسميه النحويون الجمل . . .»^(٧٤) ، وقال : «وأما الجملة
- ١٥ فهي كل كلام مفيد مستقل بنفسه»^(٧٥) .
- ١٦ والرأي الآخر : هو القول بكون الجملة أعم من الكلام ، وقد
- ١٧ اختار هذا الرأي رضي الدين الاسترأبادي فقال : «والفرق بين
- ١٨ الجملة والكلام أن الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي سواء
- ١٩ كانت مقصودة لذاتها أو لا كالجملة التي هي خبر المبتدأ وسائر
- ٢٠ ما ذكر من الجمل (. . .) والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي
- ٢١ وكان مقصوداً لذاته ، فكل كلام جملة ولا ينعكس»^(٧٦) .

- ١ واختاره أيضاً ابن هشام في «مغني اللبيب» قائلاً :
- ٢ «الكلام هو القول المفيد بالقصد ، والمراد بالمفيد ما دل على
- ٣ معنى يحسن السكوت عليه ، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله
- ٤ كقام زيد والمبتدأ وخبره كزيد قائم وما كان بمنزلة أحدهما نحو :
- ٥ ضُرب اللص وأقائم الزيدان وكان زيد قائماً وظننته قائماً .
- ٦ وبهذا يظهر لك أنهما ليسا مترادفين كما يتوهمه كثير من
- ٧ الناس ، وهو ظاهر قول صاحب المفصل ، فإنه بعد أن فرغ من
- ٨ حد الكلام قال : ويسمى جملة . والصواب أنها أعم منه ، إذ
- ٩ شرطه الإفادة ، خلافها ، ولهذا تسمعهم يقولون : جملة
- ١٠ الشرط ، جملة الجواب ، جملة الصلة ، وكل ذلك ليس مفيداً ،
- ١١ فليس بكلام»^(٧٧) .
- ١٢ ويتحصل من كلمات الرضي وابن هشام أننا لو أتينا بتركيب
- ١٣ إسنادي مثل (المطر يهطل) ونظرنا إليه وحده ، فإن لنا أن نسميه
- ١٤ جملة كما لنا أن نسميه كلاماً . لكننا لو جعلنا التركيب نفسه
- ١٥ جزءاً من تركيب أكبر كما لو قلنا : (أتيتك والمطر يهطل) ، فإن
- ١٦ (المطر يهطل) يبقى جملة ، لكنه لا يسمى كلاماً ؛ لأنه وإن
- ١٧ تضمن إسناداً إلا أن هذا الإسناد غير مقصود لذاته ، لوضوح أن
- ١٨ المتكلم هنا لا يريد الإخبار عن هطول المطر . وبتعبير ابن هشام
- ١٩ فإن (المطر يهطل) ليس ههنا مفيداً ؛ لبداية عدم استغناء الجملة
- ٢٠ الحالية عن صاحب الحال . وبذا يكون كل كلام جملة ، لكن لا
- ٢١ تكون كل جملة كلاماً ، فالجملة إذن أعم من الكلام .

- ١ لكن الغريب في موقف ابن هشام ههنا هو كونه مناقضاً
- ٢ لموقفه في بعض رسائله النحوية حيث بدا وكأنه يميل إلى القول
- ٣ بالترادف بين الجملة والكلام ، فهو يقول :
- ٤ «المسألة الأولى : إنَّ اللفظ المفيد يسمى جملة
- ٥ وكلاماً . . .»^(٧٨) .
- ٦ وأشدَّ غرابةً منه موقف السيوطي ، فقد قال في «همع
- ٧ الهوامع» : «تنبيه : تخصيص النحاة الكلام بالمفيد مجرداً
- ٨ اصطلاح لا دليل عليه»^(٧٩) ، ونَقَلَ اعتراض ابن سنان
- ٩ الخفاجي على تخصيص النحاة الكلام بما كان مفيداً . وكل
- ١٠ هذا يدل على أنَّ السيوطي لا يقول بهذا التخصيص ، ومن ثمَّ
- ١١ فهو يقول بأنَّ الجملة والكلام مترادفان . لكن القارئ سرعان ما
- ١٢ يُفاجأ ، وبعد صفحات قلائل ، بالسيوطي وهو يوافق ابن هشام
- ١٣ في أنَّ الجملة أعم من الكلام لاشتراط الفائدة فيها ،
- ١٤ دونها (٨٠) . فلئن بدا ابن هشام متناقض الرأي في كتابين ،
- ١٥ فالسيوطي يحمل كتابه الواحد رأيين!
- ١٦
- ١٧ أقسام الجملة:**
- ١٨ قام النحاة بتصنيف الجمل بناءً على عدة لحاظات :
- ١٩ ١- فبلحاظ الوظيفة العامة ذكروا أن الكلام^(٨١) خبر وإنشاء ،
- ٢٠ أو هو طلب وخبر وإنشاء^(٨٢) . وزاد بعضهم حتى وصل
- ٢١ بالأقسام إلى ستة عشر قسمًا هي :

- ١ أمر ونهي وخبر واستخبار وطلب وجحود وتمن وإغلاظ
- ٢ وتلهف واختبار وقسم وتشبيه ومجازاة ودعاء وتعجب
- ٣ واستثناء^(٨٣) .
- ٤ -٢- ويلحظ ما تبدئ به الجملة - وهو ما وصفه الدكتور
- ٥ المخزومي بأنه «تحدد ساذج»^(٨٤) - قسموا الجمل إلى
- ٦ اسمية وفعلية ، فإن بُدئت الجملة باسم كانت اسمية وإن
- ٧ بُدئت بفعل كانت فعلية . وهذه القسمة قديمة ، تفهم من
- ٨ كلام سيبويه في (باب المسند والمسند إليه) إذ قال : «وهما
- ٩ نما لا يَغْنى واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه
- ١٠ بدءاً ، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه وهو قولك :
- ١١ عبدالله أخوك وهذا أخوك . ومثل ذلك : يذهب عبدالله ،
- ١٢ فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بدء من
- ١٣ الآخر في الابتداء»^(٨٥) .
- ١٤ وتُفهم كذلك من كلام المبرد عن «حيث» : «وحيث اسم
- ١٥ من أسماء المكان مبهم يفسره ما يضاف إليه . فحيث في المكان
- ١٦ كحين في الزمان ، فلما ضارعتها أضيفت إلى الجمل ، وهي
- ١٧ الابتداء والخبر ، أو الفعل والفاعل»^(٨٦) .
- ١٨ وصرَّح بهذه القسمة اللاحقون ، كابن جني مثلاً إذ قال :
- ١٩ «وأما الجملة فهي كل كلام مفيد مستقل بنفسه . وهي
- ٢٠ على ضربين : جملة مركبة من مبتدأ وخبر ، وجملة مركبة من
- ٢١ فعل وفاعل»^(٨٧) .

- ١ وهذه القسمة وإن بدت لفظية محضة إلا أنها لا تستلزم
- ٢ الحكم على الدرس النحوي العربي القديم بالغفلة التامة عن
- ٣ الفوارق الأعمق بين الجملتين الاسمية والفعلية ؛ وذلك لوجود
- ٤ بعض الإشارات في هذا الدرس إلى إدراكات أعمق . والدليل
- ٥ على ذلك رفض المدرسة الكوفية تسمية مثل قولنا : (زيد جاء)
- ٦ جملة اسمية وإصرارها على كون هذه الجملة فعلية مع أنها
- ٧ تبتدئ باسم^(٨٨) . بالإضافة إلى بعض اللمحات الذكية من
- ٨ أفذاذ النحاة ، كابن جني الذي قال :
- ٩ «وإنما تحذف الجملة من الفعل والفاعل لمشابهتها المفرد
- ١٠ بكون الفاعل في كثير من الأمر بمنزلة الجزء من الفعل نحو :
- ١١ ضربت ويضربان وقامت هند ولتبلون في أموالكم وحبذا زيد ،
- ١٢ وما أشبه ذلك مما يدل على شدة اتصال الفعل بالفاعل وكونه
- ١٣ معه كالجزء الواحد . وليس كذلك المبتدأ والخبر»(٨٩) .
- ١٤ وكان من النحويين مَنْ لم يقنع بأن تكون القسمة هنا
- ١٥ ثنائية فأضاف «الجملة الظرفية» إلى الاسمية والفعلية . ومن
- ١٦ هؤلاء : ابن هشام والسيوطي(٩٠) ، فقد عرّف ابن هشام الجملة
- ١٧ الظرفية بقوله : «والظرفية هي المصدرة بظرف أو مجرور نحو :
- ١٨ أعندك زيد؟ وأفي الدار زيد؟ إذا قدرت زيداً فاعلاً بالظرف
- ١٩ والجار والمجرور لا بالاستقرار المحذوف ولا مبتدأ مخبراً عنه
- ٢٠ بهما»^(٩١) . لكن رأي ابن هشام لم يلق ترحيباً لدى الدكتور
- ٢١ المخزومي الذي قال عن الجملة الظرفية : «إن كان الظرف معتمداً

- ١ فجدير بها أن تكون من قبيل الجملة الفعلية ، وإن لم يكن
- ٢ معتمداً فهي من الجملة الاسمية ، فلا حاجة بنا إلى تكثير
- ٣ الأقسام»^(٩٢) .
- ٤ ومن عجب أن يرجع الدكتور الخزومي ، في كتاب لاحق ،
- ٥ ويعد الجملة الظرفية جملة مستقلة عن الاسمية والفعلية مصراً
- ٦ على تمييزها عنهما^(٩٣) .
- ٧ وأضاف بعضهم «الجملة الشرطية» إلى الأقسام الثلاثة
- ٨ المتقدمة لتصبح الجمل عنده على أربعة أنواع . ومن هؤلاء أبو
- ٩ علي الفارسي^(٩٤) ، والزمخشري الذي قال في معرض حديثه
- ١٠ عن مجيء الخبر جملة : «والجملة على أربعة أضرب فعلية
- ١١ واسمية وشرطية وظرفية ، وذلك : زيد ذهب أخوه ، وعمرو أبوه
- ١٢ منطلق ، وبكر إن تعطه يشكرك ، وخالد في الدار»^(٩٥) .
- ١٣ وقد رد عليه ابن يعيش قائلاً : «واعلم أنه قسم الجملة إلى
- ١٤ أربعة أقسام فعلية واسمية وشرطية وظرفية ، وهذه قسمة أبي
- ١٥ علي ، وهي قسمة لفظية ، وهي في الحقيقة ضربان فعلية
- ١٦ واسمية ، لأن الشرطية في التحقيق مركبة من جملتين فعليتين
- ١٧ الشرط فعل وفاعل والجزاء فعل وفاعل . والظرف في الحقيقة
- ١٨ للخبر الذي هو استقر وهو فعل وفاعل»^(٩٦) .
- ١٩ ورد عليه أيضاً ابن هشام ، بقوله : «وزاد الزمخشري وغيره
- ٢٠ الجملة الشرطية ، والصواب أنها من قبيل الفعلية»^(٩٧) .
- ٢١ لكن يمكن أن يقال هنا : إنَّ عدَّ الزمخشري للجملة

- ١ الشرطية جملةً مستقلة بنفسها عن أنواع الجمل الأخرى
- ٢ متلائم تمامًا مع مذهبه في تعريف الجملة . فهو - كما تقدم -
- ٣ يرى أن الجملة هي التركيب الإسنادي المفيد فائدة تامة ،
- ٤ والمستقل عن غيره في الإفادة . وواضح أن التركيب الشرطي
- ٥ وإن كان - في الأصل - مكونًا من تركيبين إسناديين
- ٦ مستقلين ، إلا أن كلاً من هذين التركيبين قد فقد استقلاليته
- ٧ في الإفادة بعد تكوين التركيب الشرطي منهما . ومع فقد كل
- ٨ منهما للاستقلالية لا يمكن - بناء على مذهب الزمخشري -
- ٩ تسميتهما جملتين فعليتين ، بل هما الآن جملة واحدة مفيد ،
- ١٠ بمجموع طرفيها ، فائدة تامة ، وهي «الجملة الشرطية» . وقد
- ١١ أدرك ابن يعيش هذه الحقيقة فقال :
- ١٢ «فهذه الجملة وإن كانت من أنواع الجمل الفعلية وكان
- ١٣ الأصل في الجملة الفعلية أن يستقل الفعل بفاعله نحو : قام
- ١٤ زيد ، إلا أنه لما دخل ههنا حرف الشرط ربط كل جملة من
- ١٥ الشرط والجزاء بالأخرى حتى صارتا كالجملة الواحدة نحو
- ١٦ المبتدأ والخبر ، فكما أن المبتدأ لا يستقل إلا بذكر الخبر كذلك
- ١٧ الشرط لا يستقل إلا بذكر الجزاء . . .»^(٩٨) .
- ١٨ وكان إدراكه هذا حريًا بأن يدفعه إلى تصحيح ما قاله
- ١٩ الزمخشري ، فيما يرتبط بالجملة الشرطية ، لا إلى تخطئته إذ
- ٢٠ أن ما قاله منسجم مع مذهبه في معنى «الجملة» . نعم ، لا
- ٢١ يكون لكلام الزمخشري وجه فيما إذا آمنَّا بالرأي الآخر في

- ١ معنى الجملة - كما آمن ابن هشام ، ومن هنا انطلق في رده
- ٢ على الزمخشري - وقلنا إن الجملة لا يشترط فيها أن تكون
- ٣ مستقلة في الإفادة ، فحينئذ تكون الجملتان الأصليتان باقيتين
- ٤ على ما كانتا عليه قبل إيجاد الارتباط بينهما بأداة الشرط .
- ٥ ٣- وبلحاظ الوقوع في نطاق جملة أوسع أو عدمه قُسمت
- ٦ الجمل إلى كبرى وصغرى : «فالكبرى هي الاسمية التي
- ٧ خبرها جملة نحو: زيد قام أبوه وزيد أبوه قائم ، والصغرى
- ٨ هي المبنية على المبتدأ كالجمله المخبر بها في المثالين»^(٩٩) .
- ٩ وأضاف ابن هشام أنه : «قد تكون الجملة كبرى وصغرى
- ١٠ باعتبارين نحو: زيد أبوه غلامه منطلق» فمجموع هذا
- ١١ الكلام جملة كبرى لا غير و«غلامه منطلق» صغرى لا
- ١٢ غير لأنها خبر ، و«أبوه غلامه منطلق» كبرى باعتبار
- ١٣ «غلامه منطلق» وصغرى باعتبار جملة الكلام»^(١٠٠) .
- ١٤ ٤- وبلحاظ ما يتطلبه موقع الجملة من إعراب أو عدمه ، صنّف
- ١٥ ابن هشام الجمل إلى التي لها موقع من الإعراب والتي
- ١٦ ليس لها موقع منه ذاكراً لكل صنف سبع جمل . وقد
- ١٧ انتقد الدكتور الخزومي هذا التصنيف قائلاً :
- ١٨ «إذا نظرنا فيما قرره ابن هشام في تناوله هاتين الطائفتين
- ١٩ من الجمل بدا لنا أنه لم يتناول الجمل من حيث وظيفتها
- ٢٠ اللغوية ولا من حيث علاقتها اللغوية بما قبلها وبما بعدها ، وإنما
- ٢١ تناولها في هدى فكرة العامل التي سيطرت على أذهان النحاة ،

- ١ ومنهم ابن هشام نفسه ، وبهedy هذه الفكرة أمكن تصور الجمل
- ٢ التي لا محل لها من الإعراب والتي لها محل من
- ٣ الإعراب» (١٠١) .
- ٤
- ٥ **أقسام الكلمة:**
- ٦ يتصل بحديث النحاة عن الجملة حديثهم عن أقسام
- ٧ الكلمة ، على أساس أن الكلمات هي الوحدات الصغرى
- ٨ الداخلة في بنية الجملة .
- ٩ واشتهر عن النحاة تقسيمهم الثلاثي للكلمة إلى اسم
- ١٠ وفعل وحرف حتى ادّعى الزجاجي انعقاد إجماعهم
- ١١ عليه (١٠٢) ، مع أن السيوطي يقول :
- ١٢ «الكلمة إما اسم وإما فعل وإما حرف ، ولا رابع لها إلا ما
- ١٣ سيأتي في مبحث اسم الفعل من أن بعضهم جعله رابعاً ،
- ١٤ وسماه الخالفة . . .» (١٠٣) .
- ١٥ ودعا الاعتداد بهذا التقسيم الثلاثي المبرد إلى دعوى
- ١٦ عموميته لكل اللغات ، فقال : «فالكلام كله : اسم وفعل
- ١٧ وحرف جاء لمعنى . لا يخلو الكلام - عريباً كان أو أعجمياً -
- ١٨ من هذه الثلاثة . . .» (١٠٤) .
- ١٩ وقد تحدّث السيوطي عن أدلة هذا التقسيم قائلاً :
- ٢٠ «الكلمة إما اسم وإما فعل وإما حرف ولا رابع لها . والأدلة
- ٢١ على ذلك ثلاثة : أحدها : الأثر ، روي عن علي بن أبي طالب

- ١ رضي الله عنه أخرجه أبو القاسم الزجاجي في أماليه بسنده إليه .
- ٢ الثاني : الاستقراء التام من أئمة العربية كأبي عمرو
- ٣ والخليل وسيبويه ومن بعدهم .
- ٤ الثالث : الدليل العقلي ، ولهم في ذلك عبارات :
- ٥ منها : قول ابن معط : إن المنطوق به إما أن يدل على معنى
- ٦ يصح الإخبار عنه وبه وهو الاسم ، وإما أن يصح الإخبار به لا
- ٧ عنه وهو الفعل ، وإما أن لا يصح الإخبار عنه ولا به وهو
- ٨ الحرف . . .» (١٠٥) .
- ٩ واسترسل السيوطي في كلامه ناقلاً عبارات المختلفة عن
- ١٠ النحاة في كيفية بيانهم للحصر العقلي في هذه المسألة . وهذه
- ١١ العبارات مهما تنوعت فإنها تشفّ عن شيء مشترك بينها ، ألا
- ١٢ وهو تأثير المنهج العقلي الفلسفي والمنطقي على أصحابها ،
- ١٣ المنهج الذي يظهر بوضوح عندما يطرح الزجاجي سؤاله الآتي :
- ١٤ «فإن قال قائل : لمَ اختلف النحويون في تحديد الاسم
- ١٥ والفعل والحرف؟ وهل يجوز أن يختلف الحد إذا كان قولاً وجيزاً
- ١٦ يدل على طبيعة الشيء الموضوع له عند الفلاسفة؟» (١٠٦) .
- ١٧ وكأن الزجاجي هنا لا يتعقل أن يختلف النحاة في شيء لم
- ١٨ يختلف الفلاسفة فيه!
- ١٩ لكن الإنصاف يقتضي البحث أن يشير إلى أن هذا التأثير
- ٢٠ المنطقي الفلسفي لم يكن مطبقاً دائماً ، فهو ذا الزجاجي نفسه
- ٢١ يقول في حد الاسم :

- ١ «الاسم في كلام العرب ما كان فاعلاً أو مفعولاً أو واقعاً
- ٢ في حيز الفاعل والمفعول به . هذا الحد داخل في مقاييس النحو
- ٣ وأوضاعه وليس يخرج عنه اسم ألبته ، ولا يدخل فيه ما ليس
- ٤ باسم . وإنما قلنا «في كلام العرب» لأننا له نقصد وعليه نتكلم ،
- ٥ ولأن المنطقيين وبعض النحويين قد حدّوه حدّاً خارجاً عن
- ٦ أوضاع النحو فقالوا : الاسم صوت موضوع دال باتفاق على
- ٧ معنى غير مقرون بزمان . وليس هذا من ألفاظ النحويين ولا
- ٨ أوضاعهم ، وإنما هو من كلام المنطقيين وإن كان قد تعلق به
- ٩ جماعة من النحويين ، وهو صحيح على أوضاع المنطقيين
- ١٠ ومذهبهم لأن غرضهم غير غرضنا ، ومغزاهم غير مغزانا . وهو
- ١١ عندنا على أوضاع النحو غير صحيح ، لأنه يلزم منه أن يكون
- ١٢ كثير من الحروف أسماء ، لأن من الحروف ما يدل على
- ١٣ معنى دلالة غير مقرونة بزمان نحو إن ولكن وما أشبه
- ١٤ ذلك» (١٠٧) .
- ١٥ يبقى أن يُشار إلى أن بعض النحاة قد حاول أن يتعمق في
- ١٦ ملاحظة الفارق بين الاسم والفعل والحرف من جهة قوة التأثير
- ١٧ في النفس ، فقد قال ابن جني :
- ١٨ «اعتمد ذلك من حيث كانت الأسماء أقوى القُبل
- ١٩ الثلاثة ، ولا بد لكل كلام مفيد من الاسم ، وقد تستغني
- ٢٠ الجملة المستقلة عن كل واحد من الحرف والفعل . فلما كانت
- ٢١ الأسماء من القوة والأولية في النفس والرتبة على ما لا خفاء به

- ١ جاز أن يكتفى بها مما هو تالٍ لها ومحمول في الحاجة إليه
- ٢ عليها» (١٠٨) .
- ٣ وهي ملاحظة دقيقة دلّت التجارب الحديثة على صحتها ،
- ٤ إذ «يكاد يجمع أصحاب علم النفس على أن كلمات الجملة
- ٥ الواحدة تختلف في درجة قرعها للأذان ووضوحها في الأذهان
- ٦ (. . .) وقد أمكن أن ترتب أجزاء الجملة على حسب وضوحها
- ٧ في الأذهان وعلى حسب درجة قرعها للأذان . وقد دلّت
- ٨ التجارب المتعددة أن مثل هذا الترتيب يبدأ بالأسماء المحسوسة
- ٩ ومنها الأعلام ثم الأسماء المجردة أو المعنوية ومعها الأفعال ،
- ١٠ وأخيراً يُعنى الذهن بالأدوات وأشباهاها» (١٠٩) .
- ١١
- ١٢ -٤- **الجملة عند البلاغيين:**
- ١٣ نبع اهتمام علماء البلاغة بالجملة من عنايتهم ببيان ما
- ١٤ يكون به الكلام فصيحاً وبلغاً ، إذ أنّ «الكلام ، أيّدك الله ،
- ١٥ يحسن بسلاسته وسهولته ونصاعته وتخير لفظه وإصابة معناه
- ١٦ وجودة مطالعه ولين مقاطعه واستواء تقاسيمه وتعادل أطرافه
- ١٧ وتشبّه أعجازه بهواديّه وموافقة ماخيره لمباده ، مع قلة ضروراته
- ١٨ بل عدمها أصلاً حتى لا يكون لها في الألفاظ أثر فتجد المنظوم
- ١٩ مثل المنثور في سهولة مطالعه وجودة مقطعه وحسن رصفه
- ٢٠ وتأليفه وكمال صوغه وتركيبه . فإذا كان الكلام كذلك كان
- ٢١ بالقبول حقيقاً وبالتحفظ خليقاً» (١١٠) .

- ١ وبلغت هذه العناية أوجها لدى عبد القاهر الجرجاني الذي
- ٢ أنكر أن توصف الكلمة المفردة بالفصاحة ما لم تقع في سياق
- ٣ جملة كاملة سائلاً :
- ٤ «وهل تجد أحداً يقول : هذه اللفظة فصيحة ، إلا وهو يعتبر
- ٥ مكانها من النظم ، وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها وفضل
- ٦ مؤانستها لأخواتها؟ وهل قالوا : لفظة متمكنة ومقبولة ، وفي
- ٧ خلافه : قلقة ونابية ومستكرهة إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن
- ٨ عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما ، وبالقلق
- ٩ والنبو عن سوء التلاؤم ، وأن الأولى لم تلق بالثانية في معناها ،
- ١٠ وأن السابقة لم تصلح أن تكون لفقاً للتالية في مؤداها؟^(١١) .
- ١١ وكانت هذه النقطة الأساس الذي بنى عليه نظريته في
- ١٢ «النظم» .
- ١٣ وانصبت جهود الجرجاني ، في معظمها ، على التعمق
- ١٤ الدلالي الفريد في محاولة وضع اليد على الفوارق الكامنة بين
- ١٥ التراكيب الكلامية المختلفة التي قد تبدو ، في بادئ النظر ،
- ١٦ متطابقة المعاني ، كمحاولته التفريق بين : زيد منطلق وزيد
- ١٧ المنطلق والمنطلق زيد :
- ١٨ «اعلم أنك إذا قلت : زيد منطلق ، كان كلامك مع من لم
- ١٩ يعلم أن انطلاقاً كان ، لا من زيد ولا من عمرو ، فأنت تفيده
- ٢٠ ذلك ابتداءً . وإذا قلت : زيد المنطلق ، كان كلامك مع من
- ٢١ عرف أن انطلاقاً كان ، إما من زيد وإما من عمرو ، فأنت تعلمه

- ١ أنه كان من زيد دون غيره (. . .) وليس كذلك إذا قدمت
- ٢ المنطلق فقلت : المنطلق زيد ، بل يكون المعنى حينئذ على أنك
- ٣ رأيت إنساناً ينطلق بالبعد منك فلم تثبته ولم تعلم أزيد هو أم
- ٤ عمرو ، فقال لك صاحبك : المنطلق زيد ، أي هذا الشخص
- ٥ الذي تراه من بُعد هو زيد» (١١٢) .
- ٦ وأوصلته هذه الجهود الثرية العطاء إلى قناعة تامة بأنه لا
- ٧ يمكن لجملتين مختلفتي الألفاظ أن تحملا المعنى نفسه دون أي
- ٨ فارق :
- ٩ « . . . لا سبيل إلى أن تجيء إلى معنى بيت من الشعر أو
- ١٠ فصل من النثر فتؤديه بعينه وعلى خاصيته وصفته بعبارة
- ١١ أخرى حتى يكون المفهوم من هذه هو المفهوم من تلك ، لا
- ١٢ يخالفه في صفة ولا وجه ولا أمر من الأمور» (١١٣) .
- ١٣ وترد الإشارة إلى الجملة عند الجرجاني وغيره من
- ١٤ البلاغيين في مواضع متعددة من كتبهم ، متخذةً أبعاداً
- ١٥ متنوعة ، كما يتضح مما يأتي من حديث .
- ١٦
- ١٧ **الكلام والجملة:**
- ١٨ يبدو أن مسألة العلاقة بين الجملة والكلام لم تنل من
- ١٩ الاهتمام لدى البلاغيين ما نالته لدى الأصوليين والنحاة ، ولذا
- ٢٠ لا يجد الباحث الحالي في هذا المجال تصريحاً واضحاً ، إلا ما
- ٢١ سلفت الإشارة إليه من إنكار ابن سنان الخفاجي على النحاة

- ١ اشتراطهم الفائدة في الكلام^(١١٤) ، مما يدل على كونه يذهب
- ٢ إلى الترادف بين الكلام والجملة .
- ٣ وفيما عدا هذا لا تبقى بيد الباحث إلاّ إشارات ضئيلة لا
- ٤ تكاد تقوى على إرواء الغليل ، ومن هذه الإشارات أن الجرجاني
- ٥ بعد أن نقل قول سيبويه : « وإنما تحكي بعد » « قلت » ما كان
- ٦ كلاماً لا قولاً » علّق عليه بقوله : « وذلك أنه معلوم أنك لا
- ٧ تحكي بعد « قلت » ، إذا كنت تنحو نحو المعنى ، إلا ما كان
- ٨ جملة مفيدة . . . »^(١١٥) .
- ٩ فـ«الكلام» في عبارة سيبويه فسّره الجرجاني بـ«الجملة
- ١٠ المفيدة» ، مما قد يشير إلى أن هناك من الجمل ما ليس بمفيد فلا
- ١١ يسمى كلاماً ، فيكون الجرجاني من الداهبين إلى كون الجملة
- ١٢ أعم من الكلام .
- ١٣ ومن هذه الإشارات الواهية أيضاً أن الخطيب القزويني قد
- ١٤ ذكر في موضع من «الإيضاح» : «أن الكلام إما خبر أو
- ١٥ إنشاء»^(١١٦) ثم ذكر ، في موضع آخر منه ، ما يفهم منه أن
- ١٦ الذي ينقسم إلى خبر وإنشاء هو الجمل^(١١٧) . وهذا قد يدعو
- ١٧ قائلًا إلى أن يقول بأن القزويني يذهب ، إذن ، إلى القول
- ١٨ بالترادف بين الجملة والكلام . لكن هذا القائل يبقى مجازاً ،
- ١٩ ما دام يريد استخلاص ما لم يكن المؤلف بصدده بيانه أصلاً .
- ٢٠ مواقع الجملة :
- ٢١ يُعنى بـ«مواقع الجملة» هنا الحديث عن الأغراض البلاغية

- ١ التي تدعو المتكلم إلى الإتيان بجملة ، فقد ذكر السكاكي
- ٢ والقزويني^(١١٨) أن المتكلم لا يأتي بالمسند جملةً إلا لأحد
- ٣ سببين : إما لقصد التقوي ، وإما لكون المسند سببياً .
- ٤ أما التقوي فراجع إلى تكرر الإسناد في مثل قولنا : «زيد
- ٥ قام» ، حيث إنَّ الفعل «قام» هنا قد أسند إلى الضمير الراجع
- ٦ إلى «زيد» ، وأسند الفعل مع ضميره إلى المبتدأ «زيد» لمقام
- ٧ الخبرية ، فكأن الفعل قد أسند إلى زيد مرتين ، وكأن قولنا «زيد
- ٨ قام» هو في قوة قولنا : «قام زيد قام زيد» ، ومن هنا يحصل
- ٩ التقوي . هذا على رأي السكاكي الذي اختاره العلامة
- ١٠ الطيبي^(١١٩) أيضاً .
- ١١ أما عبد القاهر الجرجاني فقد بين التقوي بشكل آخر
- ١٢ قائلاً :
- ١٣ «لا يؤتى بالاسم معرّي من العوامل إلا لحديث قد نوي
- ١٤ إسناده إليه . وإذا كان كذلك فإذا قلت : عبد الله ، فقد أشعرت
- ١٥ قلبه بذلك أنك قد أردت الحديث عنه ، فإذا جئت بالحديث
- ١٦ فقلت مثلاً : قام ، أو قلت : خرج ، أو قلت : قدم ، فقد علم ما
- ١٧ جئت به وقد وطأت له وقدمت الإعلام فيه ، فدخل على
- ١٨ القلب دخول المأنوس به ، وقبله قبول المهياً له المطمئن إليه ،
- ١٩ وذلك لا محالة أشد لثبوتة وأنفى للشبهة وأمنع للشك وأدخل
- ٢٠ في التحقيق . وجملة الأمر أنه ليس إعلامك الشيء بغتة عُفلاً
- ٢١ مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له ؛ لأن ذلك يجري

- ١ مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام . ومن هنا قالوا : إن
- ٢ الشيء إذا أضمر ثم فُسِّرَ كان ذلك أفخم له من أن يذكر من
- ٣ غير مقدمة إضمار» (١٢٠) .
- ٤ وبلاحظ التفتازاني^(١٢١) أن الفارق بين البيانيين يتضح في
- ٥ مثل قولنا : «زيد ضربته» و«زيد مررتُ به» ، إذ لا يكون التقوي
- ٦ حاصلاً بناء على بيان السكاكي ؛ لأن الفعل لم يُسند إلى
- ٧ الضمير الراجع إلى المبتدأ فلم يحصل تكرار للإسناد ، بينما يكون
- ٨ التقوي متحققاً في الجملتين بناء على بيان الجرجاني ؛ لأنه لا
- ٩ يشترط أكثر من أن يتقدم المبتدأ فيتلهف السامع لسماع خبره ،
- ١٠ وحينما يأتي الخبر بعد ذلك فإنه يدخل دخول المأنوس به .
- ١١ وأما كون المسند سببياً فيفسره التفتازاني بأنه : «جملة
- ١٢ علّقت على مبتدأ بعائد لا يكون مسنداً إليه في تلك
- ١٣ الجملة» (١٢٢) .
- ١٤ ويفسره العلامة الطيبي بأن : «يكون المسند الثاني مسنداً
- ١٥ إلى متعلق المبتدأ» (١٢٣) .
- ١٦ ومن أمثلة ذلك : زيد أبوه قائم ، وزيد قام أبوه ، وزيد
- ١٧ ضربته ، وزيد مررتُ به . . . إلخ .
- ١٨
- ١٩ أنواع الجمل :
- ٢٠ تناول البلاغيون الجمل وقسموها بناء على أساسين
- ٢١ رئيسين هما :

- ١ الأول : الأساس الوظيفي العام ، وعليه قسّم السكاكي
- ٢ كلام العرب إلى خبر وطلب^(١٢٤) . وهو التقسيم الذي عدّله
- ٣ الخطيب القزويني ، بعد ذلك ، ليصبح الكلام منقسمًا إلى خبر
- ٤ وإنشاء^(١٢٥) .
- ٥ ولما كان المائز الرئيس بين الخبر والإنشاء هو احتمال
- ٦ الصدق والكذب وعدمه ، فقد رأى السكاكي وتلامذته من
- ٧ بعده أنفسهم ملزمين - بوحى من منهجهم الذي سمّاه الدكتور
- ٨ علي عشري زايد : «المنهج التقيني المنطقي» ، وقال عنه : «وهو
- ٩ ذلك المنهج الذي يهتم بالقانون والقاعدة على حساب التدوق
- ١٠ الفني والتحليل الأدبي ، والذي تحولت البلاغة في إطاره إلى
- ١١ مجموعة من القواعد والتعريفات والتقسيمات الجامدة»^(١٢٦) -
- ١٢ بالتحقيق في معنى «الصدق والكذب» ، فذكر السكاكي^(١٢٧)
- ١٣ معنيين لهما : المعنى الأول هو أن صدق الخبر مطابقته للواقع
- ١٤ الخارجي وكذبه عدمها ، والمعنى الثاني هو أن صدق الخبر
- ١٥ مطابقته لاعتقاد المخبر وكذبه عدمها .
- ١٦ وأضاف القزويني معنى ثالثاً نسبه إلى الجاحظ ، وخلاصته
- ١٧ أن صدق الخبر مطابقته للواقع مع الاعتقاد بأنه مطابق وكذب
- ١٨ الخبر عدم مطابقته للواقع مع اعتقاد أنه غير مطابق ، وفي غير
- ١٩ هاتين الصورتين لا يكون الكلام صدقاً ولا كذباً^(١٢٨) . «وهكذا
- ٢٠ تحولت الدراسة الأسلوبية إلى ساحة للجدل العقلي الذي
- ٢١ يتعد عن جوهر الموضوع . . .»^(١٢٩) .

- ١ والآخر : أساس ما تبتدئ به الجمل ، وهو الأساس المأثور عن
- ٢ النحاة كما سبق بيانه . ومع أن الدكتور فضل حسن عباس يرى
- ٣ أن تقسيم الجملة إلى اسمية و فعلية هو من القضايا الأولية في
- ٤ هذا العلم^(١٣٠) ، إلا أن الباحث قد يلاحظ لدى البلاغيين
- ٥ شيئاً من الميل إلى عدم حصر أنفسهم في نطاق هذا التقسيم
- ٦ الثنائي ، وإن بدا هذا الميل قَلْبًا أحياناً .
- ٧ فعبد القاهر الجرجاني يصرِّح بميله إلى كَوْن الجمل على
- ٨ أربعة أنواع في قوله :
- ٩ «وهل رأيتم إذ عرفتم صورة المبتدأ والخبر وأنَّ إعرابها الرفع ،
- ١٠ أن تتجاوزوا ذلك إلى أن تنظروا في أقسام خبره فتعلموا أنه
- ١١ يكون مفرداً وجملة ، وأن المفرد ينقسم إلى ما يحتمل ضميراً له
- ١٢ وإلى ما لا يحتمل الضمير ، وأنَّ الجملة على أربعة
- ١٣ أضرب . . .»^(١٣١) .
- ١٤ والسكاكي أيضاً يأتي بما يوحي بوجود مثل هذا الميل
- ١٥ لديه ، فهو يقول :
- ١٦ «وأما الاعتبار الراجع إلى المسند من حيث هو مسند أيضاً
- ١٧ فكونه متروكاً أو غير متروك ، وكونه مفرداً أو جملة (. . .)
- ١٨ وفي كونه جملة من كونها اسمية أو فعلية أو شرطية أو
- ١٩ ظرفية^(١٣٢) . لكنه بعد ذلك يصرح بعدم وجود هذا الميل
- ٢٠ عنده :
- ٢١ « . . . ويظهر لك من هذا أن مرجع الجمل الأربع إلى

- ١ اثنتين : اسمية وفعلية» (١٣٣) ، مما يعني أنه كان ، في عبارته
- ٢ المتقدمة قبل هذه ، يتحدث عن غير رأيه هو .
- ٣ وأما الخطيب القزويني فهو يقول : «واسميَّتها وفعليَّتها
- ٤ وشرطيَّتها لما مر ، وظرفيَّتها لاختصار الفعلية إذ هي مقدِّرة
- ٥ بالفعل على الأصح» (١٣٤) . ومن هذه العبارة يتضح أنه لم
- ٦ يرفض سوى عد الجملة الظرفية جملة مستقلة ، فهي جملة
- ٧ فعلية في نظره ، وأما الجملة الشرطية فهي نوع مستقل من
- ٨ الجمل إلى جانب الاسمية والفعلية ، مما يعني أن التقسيم
- ٩ ثلاثي في رأيه .
- ١٠ والفضل الذي لا يمكن ، بحال ، تناسيه للبلاغيين هو أن
- ١١ تقسيمهم هذا وإن بدا ، من حيث منطلقه شكلياً ساذجاً ، إلا
- ١٢ أنه ، في حقيقته ، لم يكن معزولاً عن إدراك واع لطبيعة الجمل
- ١٣ الاسمية والجمل الفعلية ، وما يمتاز به كل من النوعين عن
- ١٤ الآخر . نجد هذا ، بوضوح ، في قول الجرجاني :
- ١٥ «فإذا عمدت إلى الذي أردت أن تُحدِّث عنه بفعل
- ١٦ فقدِّمت ذكره ثم بنيت الفعل عليه فقلت : زيد قد فعل ، وأنا
- ١٧ فعلت ، وأنت فعلت ، اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى
- ١٨ الفاعل ، إلا أن المعنى في هذا القصد ينقسم قسمين :
- ١٩ أحدهما جلي لا يشكل : وهو أن يكون الفعل فعلاً قد
- ٢٠ أردت أن تنص فيه على واحد فتجعله له وتزعم أنه فاعل دون
- ٢١ واحد آخر ، أو دون كل أحد . ومثال ذلك أن تقول أنا كتبت

- ١ في معنى فلان ، وأنا شفعت في بابه ، تريد أن تدّعي الانفراد
- ٢ بذلك والاستبداد به (. . .) .
- ٣ والقسم الثاني : أن لا يكون القصد إلى الفاعل على هذا
- ٤ المعنى ، ولكن على أنك أردت أن تحقق على السامع أنه قد
- ٥ فعل ، وتمنعه من الشك ، فأنت لذلك تبدأ بذكره وتوقعه أولاً
- ٦ ومن قبل أن تذكر الفعل في نفسه لكي تباعده بذلك من
- ٧ الشبهة وتمنعه من الإنكار أو من أن يظن بك الغلط أو التزديد .
- ٨ ومثاله قولك : هو يعطي الجزيل ، وهو يحب الثناء . . . » (١٣٥) .
- ٩ ومثل هذا الكلام عن الجملة الاسمية نجده أيضاً لدى
- ١٠ يحيى بن حمزة العلوي في الفصل الذي عقده في «الطراز»
- ١١ للتمييز بين استعمالات الجمل الاسمية والجمل الفعلية ، وفيه
- ١٢ يقول عن الجمل الفعلية :
- ١٣ «فأنت إذا جئت بالجملة الفعلية فقلت : قام زيد ، فليس
- ١٤ فيه إلا الإخبار بمطلق القيام مقروناً بالزمان الماضي من غير أن
- ١٥ يكون هناك مبالغة وتوكيد . . . » (١٣٦) .
- ١٦ وقد تحدّث ابن الأثير في الفصل الذي سماه : «في
- ١٧ الخطاب بالجملة الفعلية والجملة الاسمية والفرق بينهما» عن
- ١٨ تحقيق المعنى وتوكيده في ذهن السامع ، بالمضمون الذي تقدم
- ١٩ نقله عن الجرجاني ، ولكن مع شيء من التفصيل (١٣٧) .
- ٢٠ ثم إنَّ عبد القاهر الجرجاني كان قد لاحظ فارقاً مهماً بين
- ٢١ دلالتى الاسم والفعل حين قال :

- ١ «إن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير
- ٢ أن يقتضي تجده شيئاً بعد شيء ، وأما الفعل فموضوعه على
- ٣ أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء» (١٣٨) .
- ٤ هذا الفارق لاحظ السكاكي وتابعوه فاتخذوه فارقاً يميز بين
- ٥ الجملتين الاسمية والفعلية دلاليًا . قال السكاكي :
- ٦ «وأما الحالة المقتضية لكون الجملة فعلية فهي إذا كان المراد
- ٧ التجدد كقولك : زيد انطلق أو ينطلق ، فالفعل موضوع لإفادة
- ٨ التجدد ، ودخول الزمان الذي من شأنه التغير في مفهومه مؤذن
- ٩ بذلك ..
- ١٠ وأما الحالة المقتضية لكونها اسمية فهي إذا كان المراد
- ١١ خلاف التجدد والتغير كقولك : زيد أبوه منطلق ، فالاسم إن دل
- ١٢ على التجدد لم يدل عليه إلا بالعرض» (١٣٩) .
- ١٣ وقال القزويني : «وفعليتها لإفادة التجدد واسميتها لإفادة
- ١٤ الثبوت ، فإن من شأن الفعلية أن تدل على التجدد ومن شأن
- ١٥ الاسمية أن تدل على الثبوت ..» (١٤٠) .
- ١٦ ومن المعاصرين مَنْ سعى إلى جمع كل ما نُقل ههنا عن
- ١٧ القدماء وعرضه بصورة واضحة ، كما هو الحال مع الدكتور
- ١٨ أحمد مطلوب (١٤١) .
- ١٩
- ٢٠ **أجزاء الجملة:**
- ٢١ ذكر الجرجاني أنَّ مختصر كل الأمر أنه لا يكون كلام من

- ١ جزء واحد ، وأنه لا بد من مسند ومسند إليه . . .» (١٤٢) ، ومن
- ٢ هنا اهتم البلاغيون بالمسند والمسند إليه والإسناد نفسه ، قال
- ٣ السكاكي : «وإذ قد عرفت أن الخبر يرجع إلى الحكم بمفهوم
- ٤ لمفهوم وهو الذي نسميه الإسناد الخبري كقولنا : شيء ثابت ،
- ٥ شيء ليس ثابتاً ، فأنت بالأول تحكم بالثبوت للشيء ، وفي
- ٦ الثاني باللاثبوت للشيء ، عرفت أن فنون الاعتبارات الراجعة
- ٧ إلى الخبر لا تزيد على ثلاثة : فن يرجع إلى حكم ، وفن يرجع
- ٨ إلى المحكوم له وهو المسند إليه ، وفن يرجع إلى المحكوم به وهو
- ٩ المسند» (١٤٣) .
- ١٠ وتحدّث البلاغيون أيضاً عن التقسيم الثلاثي المعروف إلى :
- ١١ اسم وفعل وحرف (١٤٤) ، لكن حديثهم هذا عن الجزئيات لم
- ١٢ يمنعهم من النظر إلى الأثر الكلي لها حينما تكون مجتمعة معاً
- ١٣ في سياق جملة أو كلام ، مفيدة معنى واحداً كلياً ، وهو ذا
- ١٤ الجرجاني يقرب هذا المعنى بقوله :
- ١٥ «واعلم أنّ مَثَل واضح الكلام مَثَل من يأخذ قطعاً من
- ١٦ الذهب أو الفضة فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة
- ١٧ واحدة . وذلك أنك إذا قلت : «ضرب زيد عمراً يوم الجمعة
- ١٨ ضرباً شديداً تأديباً له» ، فإنك تحصل من مجموع هذه الكلم
- ١٩ كلها على مفهوم هو معنى واحد ، لا عدة معان كما توهمه
- ٢٠ الناس ؛ وذلك لأنك لم تأت بهذه الكلم لتفيدة أنفس معانيها ،
- ٢١ وإنما جئت بها لتفيدة وجوه التعليق التي بين الفعل الذي هو

- ١ ضرب وبين ما عمل فيه ، والأحكام التي هي محصول
- ٢ التعلّق» (١٤٥) .
- ٣
- ٤ -٥ الجملة عند المحدثين والمعاصرين:
- ٥ تعريف:
- ٦ عرّف إدوارد سايبير الجملة بأنها : «التعبير اللغوي عن
- ٧ قضية» (١٤٦) . وقريب من هذا تعريف فنديس لها بأنها :
- ٨ «الصيغة التي يُعبّر بها عن الصورة اللفظية والتي تدرك بواسطة
- ٩ الأصوات» (١٤٧) ، وإن كان الأخير قد أضاف أنّ «بعض الجمل
- ١٠ يتكون من كلمة واحدة : تعال وواأسفاه وصه ؛ كل واحد من
- ١١ هذه الكلمات تؤدي معنى كاملاً يكتفي بنفسه» (١٤٨) .
- ١٢ وهذا الكلام قد يبدو مألوفاً للقارئ العربي الذي اعتاد -
- ١٣ خلال المسيرة الطويلة للدرس النحوي التقليدي - تلقي جمل
- ١٤ ناقصة شريطة أن يقدر هذا الناقص «المحذوف» . لكن هذه
- ١٥ الألفة مضلّلة في هذا المقام بالذات ؛ لأن المنهج اللغوي الحديث
- ١٦ لا يعترف بفكرة الحذف والتقدير ، وفي هذا يقول بعض
- ١٧ الباحثين :
- ١٨ «والحق أن فكرة الحذف التي ادعاهما النحاة هي فكرة
- ١٩ خاطئة ، وقد قادهم إليها منهجهم الفلسفي . وما زعموا أنه
- ٢٠ محذوف من الأفعال أو الأسماء أو الحروف هو افتتات على
- ٢١ الجملة العربية وتحميل إياها ما ليس فيها من الكلمات . وكان

- ١ المنهج السليم يقتضيه أن يحصروا عملهم في الصورة اللفظية
- ٢ المنطوقة لا في الألفاظ المتوهمة أو المتصورة . . .» (١٤٩) .
- ٣ ومعنى هذا أن فندريس ومن تبعه من المعاصرين يذهبون
- ٤ إلى أن الجملة قد تكون من كلمة واحدة من دون أية حاجة إلى
- ٥ تقدير شيء محذوف أو مستتر . وهذا ما كان عبد القاهر
- ٦ الجرجاني قد وصفه «بالهذيان» ، إذ قال : « . . . فانظر إليك إذا
- ٧ قيل لك : ما فعل زيد؟ فقلت : خرج ، هل يُتصور أن يقع في
- ٨ خلدك من «خرج» معنى من دون أن يُنوى فيه ضمير «زيد»؟
- ٩ وهل تكون ، إن أنت زعمت أنك لم تنو ذلك ، إلا مخرجاً
- ١٠ نفسك إلى الهذيان؟» (١٥٠) .
- ١١ وإذا نظرنا إلى ما أورده الباحثون المحدثون العرب من
- ١٢ تعريفات للجملة ، فسجد الدكتور مهدي الحزومي يعرفها
- ١٣ بأنها : «الصورة اللفظية للفكرة» (١٥١) .
- ١٤ وسجد الدكتور إبراهيم أنيس يعرفها «في أقصر صورها»
- ١٥ بأنها : «أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه ،
- ١٦ سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر» . . . (١٥٢) . ولا
- ١٧ يُنسى هنا تأكيده وجوب «أن نلتمس معالم الجملة من
- ١٨ استعمالات الناس وما تواضعوا على استقلاله بالمعنى في كل
- ١٩ كلام ، فالعربي يفهم معنى مستقلاً حين يسمع «النار محرقة» ،
- ٢٠ ولكنه حين يسمع «النار المحرقة» يتوقع تكملة وبقيّة يتم بها
- ٢١ فهمه . فالجملة اصطلاح لغوي يجدر بنا أن نستقل به عن

- ١ المنطق العقلي العام ؛ وذلك لأن العادات اللغوية في كل بيئة
- ٢ هي التي تحدد الجمل في لغة هذه البيئة» (١٥٣) .
- ٣ ومن التعريفات التي باتت مشهورة للجملة تعريف
- ٤ بلومفيلد (Bloomfield) لها ، وهذا التعريف قد تعمدت تأخيره
- ٥ لأنه هو الذي سيقود البحث إلى النقطة التالية منه (أي من
- ٦ البحث) كما سوف يتضح ، فقد عرّف بلومفيلد الجملة بأنها :
- ٧ «الشكل اللغوي المستقل الذي لا يكون متضمناً في تركيب
- ٨ نحوي أو في شكل لغوي أطول» (١٥٤) .
- ٩ ووصف «الاستقلال» وإن كان قد ورد في بعض التعريفات
- ١٠ المتقدمة ، إلا أنه يظهر في هذا التعريف بصورة واضحة الأبعاد
- ١١ بنحو لا يقبل الشك أو المراء . فالجملة لا بد أن تستقل في
- ١٢ إفادتها استقلالاً تاماً ، فلا يصح أن تقع جزءاً من شكل لغوي
- ١٣ أطول .
- ١٤ إن هذا الكلام يذكّر ، بلا ريب ، بما سبق تفصيله من
- ١٥ اختلاف نحاة العربية القدماء في تحديد طبيعة العلاقة بين
- ١٦ الجملة والكلام ، ويدعو إلى إعادة طرح التساؤل القديم من
- ١٧ جديد : فكيف ينظر الباحثون المحدثون والمعاصرون إلى العلاقة
- ١٨ بين الجملة والكلام؟
- ١٩
- ٢٠ **اللغة والكلام والجملة:**
- ٢١ يبدو أن الباحثين المحدثين لم يقنعوا بأن يكون التساؤل

- ١ ثنائي الأطراف ، فضموا إليه طرفاً ثالثاً هو «اللغة» . وشرعوا -
- ٢ منذ عهد دي سوسير - يتناولون العلاقة بين اللغة والكلام
- ٣ أولاً . فلقد سعى دي سوسير إلى وضع الحدود الفاصلة بين
- ٤ اللغة والكلام . . . خلال بيانه لمجموعة من الفروقات بين
- ٥ المصطلحين^(١٥٥) ، ويلخص الدكتور تمام حسان جهود دي
- ٦ سوسير في هذا المجال بقوله :
- ٧ «فالذي نقوله أو نكتبه كلام ، والذي نقول بحسبه ونكتب
- ٨ بحسبه هو اللغة . فالكلام هو المنطوق وهو المكتوب ، واللغة هي
- ٩ الموصوفة في كتب القواعد وفقه اللغة والمعجم ونحوها . والكلام
- ١٠ قد يحدث أن يكون عملاً فردياً ولكن اللغة لا تكون إلا
- ١١ اجتماعية»^(١٥٦) .
- ١٢ ويريد دي سوسير من خلال هذا أن يتوصل إلى أن :
- ١٣ «اللغة التي يتخذها علم اللغة موضوعاً له هي اللغة التي تقوم
- ١٤ على ربط مضمونات الفكر الإنساني بأصوات ينتجها النطق
- ١٥ (. . .) . فالأصل في اللغة أن تكون كلاماً ، أن تكون مشافهة ،
- ١٦ أما الكتابة أو لغة الكتابة فهي لغة أخرى تقصد إلى تمثيل
- ١٧ الكلام المنطوق بطريقة منظورة»^(١٥٧) .
- ١٨ لكن ما ذكره دي سوسير من فردية الكلام وجماعية اللغة
- ١٩ لم يحظَ بقبول يسبرسن الذي ذهب إلى أن : «الجماعة ليست
- ٢٠ سوى مجموعة من الأفراد ، ولا يمكن بحال أن نعتبرها شيئاً
- ٢١ آخر . . . »^(١٥٨) .

- ١ وبعد بيان العلاقة بين اللغة والكلام يتناول الباحثون
- ٢ المحدثون والمعاصرون مسألة العلاقة بين الكلام والجملية ليبينوا
- ٣ فيها رأيهم .
- ٤ ولهم في هذه المسألة آريان :
- ٥ الرأي الأول : هو الرأي القائل بالترادف ، وقد ذهب إليه
- ٦ الدكتور نعمة رحيم العزاوي الذي قال (بعد أن نقل عن
- ٧ الرمزخشري وابن جني القول بالترادف) :
- ٨ «ونحن نعتقد أن هذا الفهم للكلام والجملية هو فهم سليم
- ٩ يوافق رأي اللغويين المحدثين ؛ ذلك لأن ابن جني ومن شايعة
- ١٠ جعلوا الإفادة شرط الكلام أو الجملية ...» (١٥٩) .
- ١١ وهو ما اختاره الدكتور عباس حسن الذي حينما أتى
- ١٢ ليعرّف «الكلام» وَصَعَ بين قوسين قوله : «أو الجملية» ، وذكر في
- ١٣ الهامش ما يدل على ذهابه إلى القول بالترادف (١٦٠) .
- ١٤ والرأي الآخر : هو الرأي القائل بكون الكلام أعم من
- ١٥ الجملية (يُلاحظ هنا أن هذا الرأي هو معاكس تماماً لما ذهب إليه
- ١٦ الرضي وابن هشام) . وقد اختار هذا الرأي برجشتراسر الذي
- ١٧ قال : «ومن الكلام ما ليس بجملية ، بل هو كلمات مفردة أو
- ١٨ تركيبات وصفية أو إضافية أو عطفية غير إسنادية ، مثال ذلك :
- ١٩ النداء ، فإن (يا حسن) ليس بجملية ، ولا قسم من جملية ، وهو
- ٢٠ مع ذلك كلام ، ويشبه الجملية في أنه مستقل بنفسه ، لا يحتاج
- ٢١ إلى غيره مظهرًا كان أو مقدرًا ...» (١٦١) .

- ١ واختار هذا الرأي أيضاً عبد الرحيم رضوان الذي قال عن
- ٢ الجملة : «هي الصورة اللفظية للفكرة ، وما دامت كذلك فيجب
- ٣ أن تدل على معنى تام ، بخلاف «الكلام» الذي لا يشترط فيه
- ٤ الإفادة . فكل ما يتلفظ به الإنسان سواء كان مفيداً أم غير
- ٥ مفيد يُعد كلاماً» (١٦٢) .
- ٦ ومع اتفاق برجستراسر ورضوان على أن الكلام أعم من
- ٧ الجملة إلا أن كلاً منها ينطلق في رأيه من منطلق يختلف عن
- ٨ الآخر ، فرضوان ينطلق من منطلق أن الكلام لا يشترط فيه أن
- ٩ يكون مفيداً بخلاف الجملة ، بينما برجستراسر ينطلق في رأيه
- ١٠ من منطلق أن الجملة يشترط فيها أن تشتمل على مسند
- ١١ ومسند إليه بخلاف الكلام الذي قد لا يكون كذلك ، مع كونه
- ١٢ مفيداً .
- ١٣ ومَن أراد الميل إلى كون الكلام أعم من الجملة الدكتور
- ١٤ خليل عمايرة ، كما يظهر من قوله :
- ١٥ «والذي نرتضيه هو ما يرتضيه الزمخشري وابن يعيش حدّاً
- ١٦ للكلام ، حدّاً للجملة ، ونخالفه كما نخالف من تبعه في أن
- ١٧ الكلام هو الجملة ، ونخالف ابن هشام ومن سار على منهجه
- ١٨ في أن الكلام أخص من الجملة وهي أعم منه ، فنرى أن
- ١٩ الجملة ما كان من الألفاظ قائماً برأسه مفيداً لمعنى يحسن
- ٢٠ السكوت عليه (. . .) ونرى كذلك أن الكلام تألفُ عدد من
- ٢١ الجمل للوصول إلى معنى أعم مما في الجملة وأشمل ، وعلى

- ١ ذلك فقد كان القرآن الكريم كلام الله ، والشعر والنثر كلام
- ٢ العرب» (١٦٣) .
- ٣ لكن ، لربما أمكن أن يقال هنا : إن العموم الذي قصده
- ٤ الدكتور عمايرة ليس هو العموم المنطقي الذي قصده أصحاب
- ٥ هذا الرأي الثاني ؛ لأنه لا يعني بالعموم هنا سوى العموم
- ٦ الدلالي الناتج عن كون الكلام يدل - لاشتماله على عدة جمل
- ٧ - على معنى أشمل مما تدل عليه الجملة الواحدة ، وأين هذا
- ٨ عن العموم المنطقي؟
- ٩ فالعموم المنطقي يعني أن يكون أحد المفهومين صالحاً
- ١٠ للانطباق على كل مصاديق المفهوم الآخر وعلى غيرها ،
- ١١ فالحيوان أعم من الإنسان لأنه يصدق عليه وعلى غيره كالبقرة
- ١٢ والإبل مثلاً ، وهذا غير متحقق بين الجملة والكلام على رأي
- ١٣ الدكتور عمايرة ، لأن ما يُتلفظ به إن كان جملة واحدة فهو
- ١٤ جملة وليس بكلام ، وإن كان مؤلفاً من عدة جمل فهو كلام
- ١٥ وليس - بمجموعه - جملة . وهذا معناه أن أيّاً من الجملة
- ١٦ والكلام ليس بصالح للانطباق على مصاديق الآخر ، مما يعني
- ١٧ أن النسبة المنطقية بينهما هي نسبة «التباين» ، كالنسبة بين
- ١٨ الإنسان والحجر . ولا يضر بهذا أن يكون أحد المفهومين دالاً
- ١٩ على معنى أشمل ، في حد نفسه ، مما يدل عليه الآخر .
- ٢٠
- ٢١

- ١ أنواع الجمل:
- ٢ في مجال الحديث عن أنواع الجمل يسلك الباحثون
- ٣ المعاصرون والمحدثون ، مسلّكين متميزين مهما تفاوتت
- ٤ تقسيماتهم وتعبيراتهم : فقسم منهم يسلك مسلك النحاة
- ٥ القدامى فيذكر للجمله الأنواع التي كانوا قد ذكروها
- ٦ وبالمصطلحات نفسها ، وإن كان بعضهم يضيف أشياء لم يعرفها
- ٧ القدامى ، أو يقيم تقسيمه على أساس لم تذكره الكتب النحوية
- ٨ القديمة . وقسم آخر منهم يذكر أنواعاً من الجمل بطريقة محدثة
- ٩ كما سوف يتضح بعد قليل .
- ١٠ وفيما يأتي حديث مفصل عن المسلّكين :
- ١١ المسلّك الأول : نجده بوضوح لدى الدكتور عباس حسن
- ١٢ الذي قسّم الجملة إلى اسمية وفعلية ، معتمداً على التقسيم
- ١٣ المأثور عن القدامى بحسب ما تبدأ به الجملة أصالة^(١٦٤) .
- ١٤ وذكر ، في موضع ثان ، أن الجملة ثلاثة أنواع :
- ١٥ أ- الجملة الأصلية : وهي التي تقتصر على ركني
- ١٦ الإسناد .
- ١٧ ب- الجملة الكبرى : وهي ما تتركب من مبتدأ خبره
- ١٨ جملة اسمية أو فعلية .
- ١٩ ج- الجملة الصغرى : وهي الجملة الاسمية أو الفعلية إذا
- ٢٠ وقعت إحداها خبراً لمبتدأ^(١٦٥) .
- ٢١ ويلاحظ هذا المسلّك أيضاً لدى الدكتور مهدي الخزومي

- ١ الذي لم يخرج عن تقسيم القدماء حين قسم الجملة إلى فعلية
- ٢ واسمية وظرفية ، وإن كان في تقسيمه هذا قد اعتمد على
- ٣ المسند لا المسند إليه ؛ «لأن أهمية الخبر أو الحديث إنما تقوم
- ٤ على ما يؤديه المسند من وظيفة ، وعلى ما للمسند من
- ٥ دلالة»^(١٦٦) .
- ٦ والدكتور فخر الدين قباوة من متبعي هذا السلك كذلك .
- ٧ فقد ذكر أن أقسام الجمل ثلاثة : الاسمية والفعلية والشرطية ،
- ٨ ومناطه في هذا التقسيم هو المناط التقليدي ، أي ما تبدأ به
- ٩ الجملة^(١٦٧) .
- ١٠ ولم يخرج الدكتور شوقي ضيف عن هذا المسلك ، إذ قسم
- ١١ الجملة البسيطة في العربية إلى اسمية وفعلية ، وفق ما تبدأ به
- ١٢ الجملة ، وإن كان قد ذكر أيضاً أن الجمل تقسم - بحسب
- ١٣ علاقتها في داخل الفِقر - إلى مستقلة وخاضعة غير
- ١٤ مستقلة^(١٦٨) .
- ١٥ وقد هاجم الدكتور عمايرة تقسيمات القدماء للجملة لكونها
- ١٦ معتمدة ، بشكل كلي ، على الشكل أو المبنى دون المضمون أو
- ١٧ المعنى^(١٦٩) ، لكنه ما لبث أن أقر بالجملتين الاسمية والفعلية من
- ١٨ خلال إيمانه - بناء على نظرية تشومسكي التحويلية - بوجود
- ١٩ الجملة التوليدية الاسمية والجملة التوليدية الفعلية اللتين
- ٢٠ تتحولان إلى الجمل الاسمية التحويلية والجمل الفعلية
- ٢١ التحويلية^(١٧٠) . وقد رأى أن الجملة الشرطية ما هي إلا جملة

- ١ تحويلية اسمية أو فعلية^(١٧١) ، والجملة الظرفية ما هي إلا جملة
- ٢ اسمية توليدية أو تحويلية^(١٧٢) .
- ٣ المسلك الآخر : يُلمح هذا المسلك لدى الدكتور عبد
- ٤ الرحمن أيوب الذي أتى بتقسيم غير مألوف عند القدماء ، حين
- ٥ ذهب إلى «أن الجمل في العربية نوعان : إسنادية وغير
- ٦ إسنادية ، والجمل الإسنادية تنحصر في الجمل الاسمية
- ٧ والجمل الفعلية . أما الجمل غير الإسنادية فهي جملة النداء
- ٨ وجملة نعم وبئس وجملة التعجب ، وهذه لا يمكن أن تعتبر من
- ٩ الجمل الفعلية لمجرد تأويل النحاة لها بعبارات فعلية»^(١٧٣) .
- ١٠ وقد سعى الدكتور محمد إبراهيم عبادة إلى طرح تقسيم
- ١١ جديد للجملة العربية حين قسّمها إلى :
- ١٢ ١- الجملة البسيطة : وهي المكونة من مركب إسنادي واحد
- ١٣ بلا متعلقات ، مثل : الشمس طالعة .
- ١٤ ٢- الجملة الممتدة : وهي المكونة من مركب إسنادي واحد مع
- ١٥ المتعلقات ، مثل : الشمس طالعة بين السحاب .
- ١٦ ٣- الجملة المزدوجة أو المتعددة : وهي المكونة من مركبين
- ١٧ إسناديين مستقلين لا يربطهما إلا العطف ، مثل : حضر
- ١٨ محمد وغاب علي .
- ١٩ ٤- الجملة المركبة : وهي المكونة من مركبين إسناديين ،
- ٢٠ أحدهما مرتبط بالآخر ومتوقف عليه ، مثل : حيثما تستقم
- ٢١ يقدر الله نجاحًا .

- ١ ٥- الجملة المتداخلة : وهي المكونة من مركبين إسناديين بينها
٢ تداخل تركيبى ، مثل : الطائر يغرد .
- ٣ ٦- الجملة المتشابهة : وهي المكونة من مركبات إسنادية أو
٤ مركبات مشتملة على إسناد ، وقد تلتقي فيها الجملة
٥ المركبة بالجملة المتداخلة بالجملة المزدوجة ، مثل : من
٦ يتصدق يتغني وجه الله يقبل الله صدقته ويجزل
٧ الثواب (١٧٤) .
- ٨ كما قام الدكتور علي جابر المنصوري بتقسيم الجمل
٩ حسب دلالتها الزمنية إلى :
- ١٠ ١- الجمل التي لا يراد بها الزمن : وهي الجمل الاسمية
١١ والظرفية المكانية والفعلية التي تعبر عما يثبت اتصاف
١٢ المسند إليه بالمسند .
- ١٣ ٢- الجمل الزمنية : وهي الاسمية المرتبطة بالقرائن الدالة على
١٤ الزمن ، والجمل الظرفية الزمنية ، والجمل الفعلية التي
١٥ يشير فيها المسند إلى الزمن ، أو التي ترتبط بها قرائن
١٦ خارجة عن نطاق الإسناد لفظية أو معنوية تشير إلى
١٧ الزمن (١٧٥) .
- ١٨ ويقسم الباحث البريطاني جون لاينز الجمل إلى بسيطة
١٩ ومؤلفة ، ويذكر أن الجملة البسيطة هي التي تحتوي على عبارة
٢٠ واحدة ، أما الجملة المؤلفة فهي على نوعين : الجملة المركبة
٢١ والجملة المعقدة . فالجملة المركبة هي التي يمكن تحليلها إلى

- ١ عبارتين متكافئتين أو أكثر ، والجملة المعقدة هي التي يمكن
- ٢ تحليلها إلى عبارة رئيسة وما لا يقل عن عبارة ثانوية
- ٣ واحدة^(١٧٦) .
- ٤
- ٥ **حول الفعلية والاسمية:**
- ٦ بعيداً عن التقسيمات الشكلية المعتمدة على المتقدم من
- ٧ المسند والمسند إليه ، راح الباحثون المحدثون يحاولون تمحيص
- ٨ الفارق الأساس الذي تختلف ، وفقاً له ، الجملتان الاسمية
- ٩ والفعلية . فمال بعضهم إلى أن الفارق إنما هو في طبيعة المسند
- ١٠ في كل منهما ، قال برجشتراسر :
- ١١ «فالجملة إما اسمية أو فعلية . والنحويون فرقوا بينهما
- ١٢ تفریقاً أشد من الحقيقة ، حتى إنهم عبروا عند المسند إليه في
- ١٣ الجملة الاسمية بعبارة واحدة هي : المبتدأ ، وعبروا عنه في
- ١٤ الجملة الفعلية بعبارة أخرى وهي : الفاعل ، مع أن الفرق بين
- ١٥ الجنسين في المسند فقط»^(١٧٧) .
- ١٦ وإلى مثل هذا الأساس من التفرقة ذهب الدكتور المخزومي ،
- ١٧ إذ قال :
- ١٨ «الجملة الفعلية هي الجملة التي يدل فيها المسند على
- ١٩ التجدد ، أو التي يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافاً
- ٢٠ متجدداً . وبعبارة أوضح هي التي يكون فيها المسند فعلاً
- ٢١ (. . .) أما الجملة الاسمية فهي التي يدل فيها المسند على

- ١ الدوام ، والثبوت ، أو التي يتصف فيها المسند إليه بالمسند
- ٢ اتصافاً ثابتاً غير متجدد ، أو بعبارة أوضح : هي التي يكون فيها
- ٣ المسند اسماً . . . (١٧٨) .
- ٤ وقد اعتمد الخزومي فيما ذهب إليه على ما ذكره الجرجاني
- ٥ والقزويني من فرق بين دلالاتي الاسم والفعل ، مما سبق نقله .
- ٦ وهذا الذي ذكره الخزومي يقترب كثيراً مما ذكره فندريس
- ٧ من فارق بين الجملتين في جميع اللغات ، حين قال : « بالجملة
- ٨ الفعلية يُعبّر عن الحدث مسنداً إلى زمن ، منظوراً إليه باعتبار
- ٩ مدة استغراقه منسوباً إلى فاعل موجهاً إلى مفعول إذا لزم
- ١٠ الأمر : اسمع الموسيقى ، بيير كان يشرب نبيذاً ، سيجر الحصان
- ١١ العربة إلخ ، فموضوع الجملة الفعلية أن تأمر بحدث أو أن تقرر
- ١٢ حدثاً أو أن تتخيل حدثاً (. . .) . تختلف الجملة الاسمية كل
- ١٣ الاختلاف عن الجملة الفعلية ، فهي يعبر بها عن نسبة صفة
- ١٤ إلى شيء : البيت جديد ، الغداء حاضر ، الدخول على
- ١٥ اليمين ، قمبيز ملك ، زيد حكيم . والجملة الاسمية تتضمن
- ١٦ طرفين : المسند إليه والمسند ، وكلاهما من فصيلة
- ١٧ الاسم . . . » (١٧٩) .
- ١٨ لكن الدكتور إبراهيم السامرائي لم يرضَ بما ذهب إليه
- ١٩ الدكتور الخزومي من دلالة المسند في الجملة الفعلية ، في كل
- ٢٠ الأحوال ، على التجدد ، قائلاً :
- ٢١ «وكيف لنا أن نفهم التجدد والحدوث في قولنا : مات

- ١ محمد وهلك خالد وانصرف بكر؟ فهذه الأفعال كلها أحداث
- ٢ منقطعة لم يكن لنا أن نجريها على التجدد . ولعله قد فات
- ٣ الأستاذ المخزومي شيء في مقالة عبد القاهر الجرجاني هو أن
- ٤ المثال الذي جاء فيها^(١٨٠) كان الفعل فيه «ينطلق» ، وبناء
- ٥ «يفعل» أو المضارع يفيد التجدد والحدوث . واختيار الجرجاني
- ٦ لـ«ينطلق» مفيد له في إثبات مقالته ، أما أن يكون الفعل : سافر
- ٧ وذهب ومات وما إلى هذا فليس في ذلك ما يحقق غرض
- ٨ الجرجاني ولا ما ذهب إليه الأستاذ المخزومي^(١٨١) .
- ٩ وبناءً على هذا الاعتراض من الدكتور السامرائي ذهب
- ١٠ الدكتور العزاوي إلى القول بأنه : «من هنا لا يمكن تحديد الجملة
- ١١ الفعلية بأنها الجملة التي يفيد فيها المسند ، وهو الفعل ،
- ١٢ التجدد ، أو التي يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافاً
- ١٣ متجدداً ؛ لأن هذا إن صدق على الجملة الفعلية المضارعية فإنه
- ١٤ لا يصدق على الجملة الفعلية الماضوية . ولعل القول بأن الجملة
- ١٥ الفعلية ما كان المسند فيها فعلاً والجملة الاسمية ما كان المسند
- ١٦ فيها اسماً . وهو قول موفق ، ولا عبرة بموقع المسند فعلاً كان أم
- ١٧ اسماً من الجملة^(١٨٢) .
- ١٨ لكن قد يقال هنا : لئن كان عبد القاهر الجرجاني قد
- ١٩ اقتصر في تمثيله على الفعل المضارع فإنَّ الخطيب القزويني قد
- ٢٠ مثَّل بالفعل الماضي أيضاً ذاهباً إلى إفادته التجدد والحدوث ،
- ٢١ فذكر قوله تعالى : (سواء عليكم أَدَعَوْتَهُمْ أم أنتم صامتون) -

- ١ الأعراف ١٩٣ ، وقال : «أي أحدثتم دعاءهم أم استمر صمتكم
- ٢ عنه ، فإنه كانت حالهم المستمرة أن يكونوا صامتين عن
- ٣ دعائهم ، فقيل : لم يفترق الحال بين إحداثكم دعاءهم وما أنتم
- ٤ عليه من عادة صمتكم عن دعائهم» (١٨٣) .
- ٥ وذكر أيضاً قوله تعالى : (قالوا أجيئنا بالحق أم أنت من
- ٦ اللاعبين) - الأنبياء ٥٥ ، وقال : «أي أحدثت عندنا تعاطي
- ٧ الحق فيما نسمعه منك أم اللعب - أي أحوال الصبا - بعد
- ٨ مستمرة عليك؟» (١٨٤) .
- ٩ وهذا يعني أن ما ذهب إليه الدكتور المحزومي لم يكن بمنأى
- ١٠ عن كلمات البلاغيين ، كما لربما حاول الدكتور السامرائي أن
- ١١ يوحى في اعتراضه .
- ١٢ والدكتور شوقي ضيف في مقام ذكره للفوارق بين الجملتين
- ١٣ لم يكتف بكون الاسمية دالة على الدوام والاستمرار بخلاف
- ١٤ الفعلية ، بل أضاف إلى ذلك فارقين آخرين :
- ١٥ أحدهما : إن المتكلم إذا قال : «سافر زيد» فهو لا يريد أكثر
- ١٦ من أن يذكر سفره ، وأما إذا قال : «زيد سافر» فأتى بجملة
- ١٧ اسمية ، فهو يريد أن يلفت انتباه السامع إلى زيد نفسه أولاً ،
- ١٨ وإلى أنه سافر ثانياً ، وكأن السفر كان بعيد الوقوع منه لسبب
- ١٩ من الأسباب أو كان غير مضمون .
- ٢٠ والآخر : إن الجملة الاسمية أكثر لواحق ؛ لأنها قد تتركب
- ٢١ من اسم وفعل ، وهذا الفعل قد تكون له لواحق متعددة ،

- ١ فتحمل الجملة الاسمية الفعل ولواحقه . وقد يكون الخبر اسم
- ٢ فاعل فتكون له لواحقه . وقد تكون ثمة لواحق للمبتدأ كما لو
- ٣ كان مصدرًا أو صفة مشبهة أو اسم تفضيل أو ضميرًا أو كان
- ٤ في حاجة إلى بيان الجهة التي سيتناولها من أجلها الخبر ، أو
- ٥ كان قد أتبع بتابع من التوابع الأربعة^(١٨٥) .
- ٦ لكن هذا الفارق الأخير الذي ذكره الدكتور ضيف غير
- ٧ واضح ، إذ لماذا تكون للفعل لواحق متعددة عندما يقع في
- ٨ جملة اسمية ولا تكون له هذه اللواحق عندما تكون الجملة
- ٩ فعلية؟
- ١٠ ولماذا تكون للمصدر أو الصفة المشبهة أو اسم التفضيل أو
- ١١ الضمير لواحق إذا كان مبتدأ في جملة اسمية ولا تكون له هذه
- ١٢ اللواحق إذا كان فاعلاً أو مفعولاً به في جملة فعلية؟
- ١٣ وهكذا يمكن أن يقال في سائر ما ذكره الدكتور ضيف في
- ١٤ هذا الفارق .
- ١٥
- ١٦
- ١٧
- ١٨
- ١٩
- ٢٠
- ٢١

الهوامش

- ١
- ٢
- ٣ - المقابسات : أبو حيان التوحيدى ، تحقيق حسن السندويي ، المقابسة ، ٢٢ ،
- ٤ ص ١٦٩ .
- ٥ - إحصاء العلوم : الفارابي ، تحقيق د . عثمان أمين ، ص ٦٨ .
- ٦ - مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم : طاش كبري زاده ، ج ١ ،
- ٧ ص ٢٨٨ .
- ٨ - أرسطو : عبد الرحمن بدوي ، ص ٤٠ .
- ٩ - نفسه ، ص ٤٠ .
- ١٠ - نفسه ، ص ٤١ .
- ١١ - قد اتفقنا على غض النظر عن شبهة نسبة الكتاب إلى غير أرسطو .
- ١٢ - تلخيص كتاب العبارة : ابن رشد ، ص ٦٥ ، وشرح الفارابي لكتاب أرسطو
- ١٣ طليس في العبارة ، ص ٤٨ .
- ١٤ - فن الشعر : أرسطو ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، ص ٥٥ .
- ١٥ - ١٠- الخطابة : أرسطو ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، ص ٢٠٦ .
- ١٦ - ١١- الشفاء : ابن سينا ، المجلد الأول ، كتاب العبارة ، ص ٢٩ .
- ١٧ - ١٢- تلخيص كتاب العبارة : ابن رشد ، ص ٦٣ .
- ١٨ - ١٣- منطق أرسطو ، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، ج ١ ، ص ٦١ .
- ١٩ - ١٤- كذا ، والصحيح «وتمشي» بقريئة قوله «وكذلك التاء» ، وبقية كلامه .
- ٢٠ - ١٥- الشفاء : ابن سينا ، المجلد الأول ، كتاب العبارة ، ص ١٨ .
- ٢١ - ١٦- منطق أرسطو ، ج ١ ، ص ٦٢ .
- ٢١ - ١٧- نفسه ، ج ١ ، ص ٦٣ .

١	١٨- يُراجع هذا التقسيم لدى ابن رشد مثلاً : تلخيص كتاب العبارة ، ص ٦٦ .
٢	١٩- منطق أرسطو ، ج ١ ، ص ٦٣ .
٣	٢٠- تلخيص كتاب العبارة : ابن رشد ، ص ٦٩ ، وتحرير القواعد المنطقية : الرازي ،
٤	ص ٨٢ .
٥	٢١- تحرير القواعد المنطقية : قطب الدين محمود الرازي ، ص ٨٢ .
٦	٢٢- متن الرسالة الشمسية الموجود في تحرير القواعد المنطقية ، ص ٨٢ .
٧	٢٣- نفسه ، ص ٨٤ .
٨	٢٤- شرح الفارابي لكتاب أرسطو طاليس في العبارة ، ص ٥٣ .
٩	٢٥- بتصرف عن : مناهج البحث عند مفكري الإسلام : د . علي سامي النشار ،
١٠	ص ٥٧-٥٨ .
١١	٢٦- شرح الفارابي لكتاب أرسطو طاليس في العبارة ، ص ٦٤ .
١٢	٢٧- الشفاء : ابن سينا ، المجلد الأول ، كتاب العبارة ، ص ٧٦ .
١٣	٢٨- نفسه ، المجلد الأول ، كتاب العبارة ، ص ٣٩ .
١٤	٢٩- تلخيص كتاب العبارة : ابن رشد ، ص ٦٩ .
١٥	٣٠- إحصاء العلوم : الفارابي ، ص ٧٧ .
١٦	٣١- تلخيص كتاب العبارة : ابن رشد ، ص ٦٩ .
١٧	٣٢- الشفاء : ابن سينا ، كتاب العبارة ، ص ٧٨ .
١٨	٣٣- يُلاحظ كلام الدكتور جبرار جهامي في مقدمته التحليلية لكتاب ابن رشد
١٩	«تلخيص منطق أرسطو» ، ج ١ ، ص ٩٠ .
٢٠	٣٤- الإحكام في أصول الأحكام : الأمدى ، ج ١ ، ص ٦-٧ ، ويراجع : المنحول من
٢١	تعليقات الأصول : الغزالي ، ص ٤ .
	٣٥- التصور اللغوي عند الأصوليين : د . السيد أحمد عبد الغفار ، ص ٦٩ .

- ١ -٣٦- يراجع مثلاً: المحصول في علم أصول الفقه : فخر الدين الرازي ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٣٣-٢٩٧ .
- ٢ -٣٧- روضة الناظر وجنة المناظر : المقدسي ، ص ١٥٦ ، ويلاحظ أيضاً : اللمع في أصول الفقه : الفيروزآبادي ، ص ٧ .
- ٣ -٣٨- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول : الشوكاني ، ص ١٢ ، ويراجع أيضاً : الإحكام للآمدي ، ج ١ ، ص ٥٥ .
- ٤ -٣٩- البحث النحوي عند الأصوليين : د . مصطفى جمال الدين ، ص ٢٤٤ .
- ٥ -٤٠- المرجع نفسه ، ص ٢٥١ .
- ٦ -٤١- المنخول من تعليقات الأصول : أبو حامد الغزالي ، ص ٧٩ .
- ٧ -٤٢- واضحٌ هنا ميل الرازي إلى الرأي المعروف عن النحاة من اشتراط الإفادة في «الكلام» ، مخالفاً بذلك ما هو معروف لدى الأصوليين كما سبق . وستأتي الإشارة إلى منحاه هذا لاحقاً .
- ٨ -٤٣- المحصول في علم أصول الفقه : فخر الدين الرازي ، ج ١ ق ١ ، ص ٢٣٩-٢٤٠ .
- ٩ -٤٤- المنخول من تعليقات الأصول : الغزالي ، ص ١٠٢ .
- ١٠ -٤٥- البحث النحوي عند الأصوليين : د . مصطفى جمال الدين ، ص ١٢ .
- ١١ -٤٦- المستصفي من علم الأصول : الغزالي ، ج ١ ، ص ٣٠ ، ويراجع كذلك : التحصيل من المحصول : الأرموي ، ج ١ ، ص ٢٠٠ .
- ١٢ -٤٧- يُراجع : المنخول من تعليقات الأصول : الغزالي ، ص ١٦٤ .
- ١٣ -٤٨- المرجع نفسه ، ص ٧٤ .
- ١٤ -٤٩- فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت : الأنصاري ، مطبوع بذييل المستصفي للغزالي ، ج ١ ، ص ٢٠٣ .
- ١٥ -٥٠- يراجع التحصيل من المحصول : الأرموي ج ١ ص ٢٢١-٢٣٩ والمعتمد لأبي

١	الحسين البصري ج ١ ص ١٦-٣٨ .
٢	٥١- دروس في علم الأصول : السيد محمد باقر الصدر ، الحلقة الثالثة ، القسم
٣	الأول ، ص ١٠٣ .
٤	٥٢- تراجع تفصيلات هذه الآراء في : البحث النحوي عند الأصوليين ، ص ٢٤٥-
٥	٢٤٧ .
٦	٥٣- تراجع التفصيلات في : دروس في علم الأصول : السيد الصدر ، ح ٣ ق ١
٧	ص ١٠٤-١٠٦ .
٨	٥٤- يراجع : البحث النحوي عند الأصوليين ، ص ٢٤٩-٢٥٠ .
٩	٥٥- يراجع مثلاً : المنحول للغزالي ، ص ٢٠٨ وما بعدها .
١٠	٥٦- دراسة المعنى عند الأصوليين : د . طاهر سليمان حموده ، ص ١٥٥-١٦٥ .
١١	٥٧- الإحكام : الأمدي ، ج ١ ، ص ٥٥-٥٦ .
١٢	٥٨- الحصول في علم أصول الفقه : الرازي ، ج ١ ق ١ ص ٢٣٨ .
١٣	٥٩- ص ١٠ من هذا البحث .
١٤	٦٠- الحصول : الرازي ، ج ١ ق ١ ص ٣٨٢ .
١٥	٦١- الإحكام : الأمدي ، ج ١ ص ٥٦ .
١٦	٦٢- المستصفى من علم الأصول : الغزالي ، ج ١ ص ١٠ .
١٧	٦٣- الإحكام : الأمدي ، ج ١ ، ص ١٣ .
١٨	٦٤- المعتمد في أصول الفقه : أبو الحسين محمد البصري المعتزلي ، ج ١ ، ص ١١-١٢ .
١٩	٦٥- في النحو العربي ، نقد وتوجيه : د . مهدي الخزومي ، ص ٣٣-٣٤ .
٢٠	٦٦- المرجع نفسه .
٢١	٦٧- الكتاب : سيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون ، ج ١ ، ص ١٢٢ .
	٦٨- كالدكتور محمد إبراهيم عباده في (الجملة العربية) ص ٢٨ ، والدكتور خليل

١	عمايرة في : (في نحو اللغة وتراكيبها) ، ص ٧٥-٧٦ .
٢	٦٩- شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية : ابن هشام ، ج ١ ، ص ٢٢٩ .
٣	٧٠- المرجع نفسه .
٤	٧١- المفصل : الزمخشري ، ص ٦ .
٥	٧٢- همع الهوامع : السيوطي ، ج ١ ، ص ٣٧ .
٦	٧٣- ذهب الدكتور محمد إبراهيم عباده في كتابه «الجملة العربية» ، ص ٢٩ إلى
٧	وجود التناقض .
٨	٧٤- الخصائص : ابن جنبي ، ج ١ ، ص ١٨ .
٩	٧٥- اللمع في العربية : ابن جنبي ، ص ٢٦ .
١٠	٧٦- شرح الكافية في النحو : رضي الدين الاسترآبازي ، ج ١ ، ص ٨ .
١١	٧٧- مغني اللبيب : ابن هشام ، ج ٢ ، ص ٣٧٤ .
١٢	٧٨- من رسائل ابن هشام النحوية ، تحقيق حسن إسماعيل مروة ، ص ١٤٠ .
١٣	٧٩- همع الهوامع : السيوطي ، ج ١ ، ص ٣١ .
١٤	٨٠- المرجع نفسه ، ص ٣٦ .
١٥	٨١- الرأيان السابقان في الجملة والكلام متفقان على أن كل كلام جملة ، ومن هنا
١٦	يكون الحديث عن أقسام الكلام حديثاً عن أقسام الجملة .
١٧	٨٢- شرح اللمحة البدرية : ابن هشام ، ج ١ ، ص ٢٢٩ وما بعدها .
١٨	٨٣- همع الهوامع : السيوطي ، ج ١ ، ص ٣٤-٣٥ .
١٩	٨٤- في النحو العربي ، نقد وتوجيه : د . مهدي الخزومي ، ص ٣٩ .
٢٠	٨٥- الكتاب : سيويه ، ج ١ ، ص ٢٣-٢٤ .
٢١	٨٦- المقتضب : المبرد ، ج ٢ ، ص ٥٤ .
	٨٧- اللمع في العربية : ابن جنبي ، ص ٢٦ .

١	٨٨- الكوفيون يقولون بجواز تقدم الفاعل على فعله ، لاحظ : الموفي في النحو
٢	الكوفي ، للكنغراوي ، ص ١٨ .
٣	٨٩- الخصائص : ابن جني ، ج ٢ ، ص ٣٦٣ .
٤	٩٠- همع الهوامع : السيوطي ، ج ١ ، ص ٣٧ .
٥	٩١- مغني اللبيب : ابن هشام ، ج ٢ ، ص ٣٧٦ .
٦	٩٢- في النحو العربي ، نقد وتوجيه : د . مهدي الخزومي ، ص ٥١-٥٢ .
٧	٩٣- في النحو العربي ، قواعد وتطبيق : د . مهدي الخزومي ، ص ٨٦-٨٧ .
٨	٩٤- شرح المفصل ، ابن يعيش ، ج ١ ، ص ٨٨ .
٩	٩٥- المفصل : الزمخشري ، ص ٢٤ .
١٠	٩٦- شرح المفصل : ابن يعيش ، ج ١ ، ص ٨٨ .
١١	٩٧- مغني اللبيب : ابن هشام ، ج ٢ ، ص ٣٧٦ .
١٢	٩٨- شرح المفصل : ابن يعيش ، ج ١ ، ص ٨٩ .
١٣	٩٩- همع الهوامع : السيوطي ، ج ١ ، ص ٣٨-٣٩ .
١٤	١٠٠- مغني اللبيب : ابن هشام ، ج ٢ ، ص ٣٨٠ .
١٥	١٠١- في النحو العربي ، نقد وتوجيه : د . الخزومي ، ص ٦١ .
١٦	١٠٢- الإيضاح في علل النحو : أبو القاسم الزجاجي ، تحقيق مازن المبارك ، ص ٤١ .
١٧	١٠٣- همع الهوامع : السيوطي ، ج ١ ، ص ٦ .
١٨	١٠٤- المقتضب : المبرد ، ج ١ ، ص ٣ .
١٩	١٠٥- الأشباه والنظائر في النحو : السيوطي ، الجزء الثاني من المجلد الأول ، ص ٣-
٢٠	٤ .
٢١	١٠٦- الإيضاح في علل النحو : الزجاجي ، ص ٤٦ .

١	١٠٧- المرجع نفسه ، ص ٤٨ .
٢	١٠٨- الخصائص : ابن جنبي ، ج ١ ، ص ٤٢-٤٣ .
٣	١٠٩- من أسرار اللغة : د . إبراهيم أنيس ، ص ٢٩٦ .
٤	١١٠- كتاب الصناعتين : أبو هلال العسكري ، ص ٦٩ .
٥	١١١- دلائل الإعجاز : الجرجاني ، بتحقيق محمود شاكر ، ص ٤٤-٤٥ .
٦	١١٢- المرجع نفسه ، ص ١٧٧-١٨٧ .
٧	١١٣- المرجع نفسه ، ص ٢٦١ .
٨	١١٤- ص ٢٠ من هذا البحث .
٩	١١٥- دلائل الإعجاز : الجرجاني ، ص ٣٥٢ .
١٠	١١٦- الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني ، ص ١٧ .
١١	١١٧- المرجع نفسه ، ص ٥٣ .
١٢	١١٨- مفتاح العلوم : السكاكي ، ص ٢١٧ ، وتلخيص المفتاح : القزويني ، ص ١١٥ .
١٣	١١٩- التبيان في علم المعاني والبديع والبيان : العلامة الطيبي ، ص ٩٧ .
١٤	١٢٠- دلائل الإعجاز : الجرجاني ، ص ١٣٢ .
١٥	١٢١- مختصر المعاني : التفتازاني ، مطبوع في ذيل تلخيص المفتاح ، ص ١١٥ .
١٦	١٢٢- المرجع نفسه ، ص ٩٨ .
١٧	١٢٣- التبيان : الطيبي ، ص ٩٧ .
١٨	١٢٤- مفتاح العلوم : السكاكي ، ص ١٦٤ .
١٩	١٢٥- الإيضاح : القزويني ، ص ١٧ .
٢٠	١٢٦- البلاغة العربية : د . علي عشري زايد ، ص ٢٠٥ .
٢١	١٢٧- مفتاح العلوم : السكاكي ، ص ١٦٦-١٦٧ .

- ١ -١٢٨- تلخيص المفتاح : القزويني ، ص ٢٨-٢٩ .
- ٢ -١٢٩- البحث البلاغي عند العرب : د . شفيح السيد ، ص ١٤٦ .
- ٣ -١٣٠- البلاغة فنونها وأفنانها : د . فضل حسن عباس ، ٨٨/١ .
- ٤ -١٣١- دلائل الإعجاز : الجرجاني ، ص ٣٠ .
- ٥ -١٣٢- مفتاح العلوم : السكاكي ، ص ١٦٨ .
- ٦ -١٣٣- المرجع نفسه ، ص ٢١٩ .
- ٧ -١٣٤- تلخيص المفتاح : القزويني ، ص ١١٦ .
- ٨ -١٣٥- دلائل الإعجاز : الجرجاني ، ص ١٢٨-١٢٩ .
- ٩ -١٣٦- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : يحيى بن حمزة العلوي ، ج ٢ ، ص ٣١ .
- ١٠ -١٣٧- المثل السائر : ابن الأثير ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ج ٢ ، ص ٥١ .
- ١٢ -١٣٨- دلائل الإعجاز : الجرجاني ، ص ١٧٤ .
- ١٣ -١٣٩- مفتاح العلوم : السكاكي ، ص ٢١٨ .
- ١٤ -١٤٠- الإيضاح : الخطيب القزويني ، ص ٩٩ .
- ١٥ -١٤١- أساليب بلاغية : د . أحمد مطلوب ، ص ١٤١-١٤٢ .
- ١٦ -١٤٢- دلائل الإعجاز (المدخل) : الجرجاني ، ص ٧ .
- ١٧ -١٤٣- مفتاح العلوم : السكاكي ، ص ١٦٧ .
- ١٨ -١٤٤- دلائل الإعجاز (المدخل) : الجرجاني ، ص ٤ .
- ١٩ -١٤٥- المرجع نفسه ، ص ٤١٢-٤١٣ .
- ٢٠ -١٤٦- النحو العربي والدرس الحديث : د . عبده الراجحي ، ص ٣٥ .
- ٢١ -١٤٧- اللغة : فندريس ، ترجمة الدواخلي والقصاص ، ص ١٠١ .

- ١-١٤٨- المرجع نفسه . ١
- ١٤٩- الجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : مقالة للدكتور نعمة العزاوي في كتاب دراسات في اللغة ، ص١٥٩ . ٢
- ١٥٠- دلائل الإعجاز : الجرجاني ، ص٥٢٧ . ٣
- ١٥١- في النحو العربي ، قواعد وتطبيق : د . مهدي الخزومي ، ص٨٣ . ٤
- ١٥٢- من أسرار اللغة : د . إبراهيم أنيس ، ص٢٧٦-٢٧٧ . ٥
- ١٥٣- المرجع نفسه . ٦
- ١٥٤- الجملة العربية : د . محمد إبراهيم عباده ، ص٣٠ . ٧
- ١٥٥- علم اللغة العام : دي سوسير ، ترجمة د . يوثيل يوسف عزيز ، ص٣٢ وما بعدها . ٨
- ١٥٦- اللغة العربية معناها ومبناها : د . تمام حسان ، ص٣٢ . ٩
- ١٥٧- علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي : د . محمود السعرا ، ص٥٥ . ١٠
- ١٥٨- في علم اللغة العام : د . عبد الصبور شاهين ، ص٤٩ . ١١
- ١٥٩- الجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ص١٤٨ . ١٢
- ١٦٠- النحو الوافي : د . عباس حسن ، ج١ ، ص١٥ . ١٣
- ١٦١- التطور النحوي للغة العربية : برجشتراسر ، تعليق الدكتور رمضان عبد التواب ، ص١٢٥ . ١٤
- ١٦٢- في النحو العربي : عبد الرحيم رضوان ، ص٤٢-٤٣ . ١٥
- ١٦٣- في نحو اللغة وتراكيبها : د . خليل أحمد عمارة ، ص٧٧-٧٨ . ١٦
- ١٦٤- النحو الوافي : د . عباس حسن ، ج١ ، ص٤٦٦ . ١٧
- ١٦٥- المرجع نفسه ، ج١ ، ص١٦ . ١٨
- ١٦٦- في النحو العربي ، قواعد وتطبيق : د . مهدي الخزومي ، ص٨٦ . ١٩
- ٢٠ ٢١

- ١-١٦٧- إعراب الجمل وأشباه الجمل : د . فخر الدين قباوة ، ص ١٤ . ١
- ١٦٨- تجديد النحو : د . شوقي ضيف ، ص ٢٥٦ وما بعدها . ٢
- ١٦٩- في نحو اللغة وتراكيبها : د . خليل أحمد عمارة ، ص ٨١ . ٣
- ١٧٠- المرجع نفسه ، ص ٨٧-٨٨ . ٤
- ١٧١- المرجع نفسه ، ص ١٢١ . ٥
- ١٧٢- المرجع نفسه ، ص ١٢٩ . ٦
- ١٧٣- دراسات نقدية في النحو العربي ١/١٢٩ ، نقلًا عن «الجملة العربية . . .» للجزاوي ، ص ١٤٥ . ٧
- ١٧٤- الجملة العربية : د . محمد إبراهيم عباده ، ص ١٥٣-١٦٤ . ٨
- ١٧٥- الدلالة الزمنية في الجملة العربية : د . علي جابر المنصوري ، ص ٥١-٥٢ . ٩
- ١٧٦- اللغة والمعنى والسياق : جون لاينز ، ترجمة د . عباس صادق الوهاب ، ص ١٣٥-١٣٦ . ١٠
- ١٧٧- التطور النحوي للغة العربية : برجستراسر ، ص ١٣٢ . ١١
- ١٧٨- في النحو العربي ، نقد وتوجيه : د . مهدي الخزومي ، ص ٤١-٤٢ . ١٢
- ١٧٩- اللغة : فندريس ، ترجمة الدواخلي والقصاص ، ص ١٦٢-١٦٣ . ١٣
- ١٨٠- إشارة إلى المثال : زيد هو ذا ينطلق . ١٤
- ١٨١- الفعل زمانه وأبنيته : د . إبراهيم السامرائي ، ص ٢٠٤-٢٠٥ . ١٥
- ١٨٢- الجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : د . نعمة رحيم العزاوي ، ص ١٥٢-١٥٣ . ١٦
- ١٨٣- الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني ، ص ١٠٠ . ١٧
- ١٨٤- المرجع نفسه . ١٨
- ١٨٥- تجديد النحو : د . شوقي ضيف ، ص ٢٥٣-٢٥٥ . ١٩

المصادر والمراجع		١
		٢
١- إحصاء العلوم : أبو نصر الفارابي ، تحقيق د . عثمان أمين ،		٣
ط ٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .		٤
٢- الإحكام في أصول الأحكام : علي بن محمد الأمدي ،		٥
مكتبة محمد علي صبيح وأولاده ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .		٦
٣- أرسطو : عبد الرحمن بدوي ، ط ٢ ، وكالة المطبوعات		٧
بالكويت ودار القلم ، بيروت ، ١٩٨٠ م .		٨
٤- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول : محمد		٩
بن علي الشوكاني ، ط ١ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي		١٠
وأولاده ، القاهرة ، ١٩٣٧ م .		١١
٥- أساليب بلاغية : د . أحمد مطلوب ، ط ١ ، وكالة		١٢
المطبوعات ، الكويت ، ١٩٨٠ م .		١٣
٦- الأشباه والنظائر في النحو : جلال الدين السيوطي ، مكتبة		١٤
الكلية الأزهرية ، القاهرة ، ١٩٧٥ م .		١٥
٧- إعراب الجمل وأشباه الجمل : د . فخر الدين قباوة ، ط ١ ،		١٦
دار الأصمعي ، حلب ، ١٩٧٢ م .		١٧
٨- الإيضاح في علل النحو : أبو القاسم الزجاجي ، تحقيق		١٨
مازن المبارك ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .		١٩
٩- الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني ، تحقيق		٢٠
بهيج غزاوي ، ط ١ ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ١٩٨٨ م .		٢١

- ١ ١٠- البحث البلاغي عند العرب : د . شفيع السيد ، دار الفكر
٢ العربي ، القاهرة ، د.ت .
- ٣ ١١- البحث النحوي عند الأصوليين : مصطفى جمال الدين ،
٤ منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ١٩٨٠م .
- ٥ ١٢- البلاغة العربية : علي عشري زايد ، مكتبة الشباب ،
٦ مصر ، ١٩٧٧م .
- ٧ ١٣- البلاغة فنونها وأفنانها : د . فضل حسن عباس ، ط ٢ ،
٨ دار الفرقان ، عمّان ، ١٩٨٩م .
- ٩ ١٤- التبيان في علم المعاني والبديع والبيان : شرف الدين
١٠ الطيبي ، تحقيق د . هادي عطية الهلالي ، ط ١ ، عالم
١١ الكتب ومكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٧م .
- ١٢ ١٥- تجديد النحو : د . شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ،
١٣ ١٩٨٢م .
- ١٤ ١٦- تحرير القواعد المنطقية : قطب الدين محمود الرازي ، دار
١٥ إحياء الكتب العربية ، د.ت .
- ١٦ ١٧- التحصيل من المحصول : سراج الدين الأرموي ، تحقيق د .
١٧ عبد الحميد علي أبو زنيد ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ،
١٨ بيروت ، ١٩٨٨م .
- ١٩ ١٨- التصور اللغوي عند الأصوليين : د . السيد أحمد عبد
٢٠ الغفار .
- ٢١ ١٩- التطور النحوي للغة العربية : برجشتراسر ، إخراج الدكتور

- ١ رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي
٢ بالرياض ، ١٩٨٢م .
- ٣ ٢٠- تلخيص كتاب العبارة : ابن رشد ، تحقيق د . محمود
٤ قاسم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨١م .
- ٥ ٢١- تلخيص المفتاح : الخطيب القزويني وبذيله مختصر
٦ المعاني : التفتازاني ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ،
٧ القاهرة ، ١٩٦٥م .
- ٨ ٢٢- تلخيص منطق أرسطو : ابن رشد ، تحقيق د . جيرار
٩ جهامي ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ، ١٩٨٢م .
- ١٠ ٢٣- الجملة العربية : د . محمد إبراهيم عباده ، منشأة
١١ المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٨٤م .
- ١٢ ٢٤- الجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : د .
١٣ نعمة رحيم العزاوي ، بحث من بحوث كتاب : (دراسات
١٤ في اللغة) ، رقم (١) من سلسلة كتاب المورد ، دار الشؤون
١٥ الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦م .
- ١٦ ٢٥- الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمد
١٧ علي النجار ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٠م .
- ١٨ ٢٦- الخطابة : أرسطو ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، دار
١٩ الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦م .
- ٢٠ ٢٧- دراسة المعنى عند الأصوليين : د . طاهر سليمان حموده ،
٢١ الدار الجامعية ، مصر ، د . ت .

- ١ ٢٨- دروس في علم الأصول : محمد باقر الصدر ، ط ٢ ،
٢ مجمع الصدر العلمي ، قم ، إيران ، ١٤٠٨ هـ .
- ٣ ٢٩- دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود
٤ شاکر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٤ م .
- ٥ ٣٠- الدلالة الزمنية في الجملة العربية : د . علي جابر
٦ المنصوري ، ط ١ ، مطبعة الجامعة ، بغداد ، ١٩٨٤ م .
- ٧ ٣١- روضة الناظر وجنة المناظر : ابن قدامة المقدسي ، مراجعة
٨ سيف الدين الكاتب ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،
٩ ١٩٨١ م .
- ١٠ ٣٢- شرح الفارابي لكتاب أرسطو طاليس في العبارة : تحقيق
١١ ولهلم كوتش اليسوعي وستانلي مارو اليسوعي ، ط ٢ ، دار
١٢ المشرق ، بيروت ، د . ت .
- ١٣ ٣٣- شرح الكافية في النحو : رضي الدين الاسترآبادي ،
١٤ ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٩ م .
- ١٥ ٣٤- شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية : ابن هشام
١٦ الأنصاري ، تحقيق د . هادي نهر ، مطبعة الجامعة ، بغداد ،
١٧ ١٩٧٧ م .
- ١٨ ٣٥- شرح المفصل : موفق الدين ابن يعيش ، إدارة المطبعة
١٩ المنيرية ، مصر ، د . ت .
- ٢٠ ٣٦- الشفاء : ابن سينا ، تحقيق الأب قنواتي ورفيقيه ،
٢١ منشورات مكتبة النجفي ، قم ، إيران ، ١٤٠٥ هـ .

- ١ ٣٧- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز :
- ٢ يحيى بن حمزة العلوي اليمني ، مطبعة المقتطف ،
- ٣ مصر ١٩١٤ م .
- ٤ ٣٨- علم اللغة العام : دي سوسير ، ترجمة د . يوثيل يوسف
- ٥ عزيز ، بيت الموصل ، بغداد ، ١٩٨٨ م .
- ٦ ٣٩- علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي : د . محمود السعران ،
- ٧ دار النهضة العربية ، بيروت ، د . ت .
- ٨ ٤٠- الفعل زمانه وأبنيته : د . إبراهيم السامرائي ، ط ٢ ،
- ٩ مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٠ م .
- ١٠ ٤١- فنّ الشعر : أرسطو ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، دار
- ١١ الثقافة ، بيروت ، د . ت .
- ١٢ ٤٢- في علم اللغة العام : د . عبد الصبور شاهين ، ط ٤ ،
- ١٣ مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٤ م .
- ١٤ ٤٣- في النحو العربي : عبد الرحيم رضوان ، مركز الفرقان
- ١٥ الثقافي ، إربد ، ١٩٨٥ م .
- ١٦ ٤٤- في النحو العربي ، قواعد وتطبيق : د . مهدي الخزومي ،
- ١٧ ط ٢ ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٦ م .
- ١٨ ٤٥- في النحو العربي ، نقد وتوجيه : د . مهدي الخزومي ،
- ١٩ ط ١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٤ م .
- ٢٠ ٤٦- في نحو اللغة وتراكيبها : د . خليل أحمد عمارة ، ط ١ ،
- ٢١ عالم المعرفة ، جدة ، السعودية ، ١٩٨٤ م .

- ١ ٤٧- الكتاب : سيويه ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار القلم ،
٢ ١٩٦٦ م .
- ٣ ٤٨- كتاب الصناعتين : أبو هلال العسكري ، ط ٢ ، دار
٤ الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٤ م .
- ٥ ٤٩- اللغة : ج ، فندريس ، ترجمة الدواخلي والقصاص ،
٦ مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٠ م .
- ٧ ٥٠- اللغة العربية معناها ومبناها : د . تمام حسان ، ط ٣ ،
٨ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٥ م .
- ٩ ٥١- اللغة والمعنى والسياق : جون لاينز ، ترجمة د . عباس
١٠ صادق الوهاب ، ط ١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،
١١ ١٩٨٧ م .
- ١٢ ٥٢- اللمع في أصول الفقه : أبو إسحاق الفيروزآبادي
١٣ الشافعي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥ م .
- ١٤ ٥٣- اللمع في العربية : ابن جنبي ، تحقيق فائز فارس ، ط ١ ،
١٥ دار الأمل ومكتبة الكندي ، إربد ، ١٩٨٨ م .
- ١٦ ٥٤- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ابن الأثير ،
١٧ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ،
١٨ بيروت ، ١٩٩٠ م .
- ١٩ ٥٥- المحصول في علم أصول الفقه : فخر الدين الرازي ، تحقيق
٢٠ د . طه العلواني ، ط ١ ، جامعة الإمام محمد بن سعود
٢١ الإسلامية ، السعودية ، ١٩٧٩ م .

- ١ ٥٦- المستصفى من علم الأصول : أبو حامد الغزالي ، مكتبة
٢ المثنى ، بغداد ، د.ت ، بالأوفست عن الطبعة الأولى ،
٣ المطبعة الأميرية ، ببولاق ، مصر ، ١٣٢٢هـ .
- ٤ ٥٧- المعتمد في أصول الفقه : أبو الحسين البصري المعتزلي ،
٥ تحقيق محمد حميد الله ، المعهد العلمي الفرنسي
٦ للدراسات العربية ، دمشق ، ١٩٦٤م .
- ٧ ٥٨- مغني اللبيب عن كتب الأعراب : ابن هشام ، تحقيق
٨ محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي ،
٩ بيروت ، د.ت .
- ١٠ ٥٩- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ،
١١ طاش كبري زاده ، تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو
١٢ النور ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، د.ت .
- ١٣ ٦٠- مفتاح العلوم : السكاكي ، تحقيق نعيم زرزور ، ط ١ ، دار
١٤ الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣م .
- ١٥ ٦١- المفصل في علم العربية : أبو القاسم محمود الزمخشري ،
١٦ ط ٢ ، دار الجيل ، بيروت ، د.ت .
- ١٧ ٦٢- المقابسات : أبو حيان التوحيد ، تحقيق حسن
١٨ السندوبي ، ط ١ ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ،
١٩ ١٩٢٩م .
- ٢٠ ٦٣- المقتضب : أبو العباس المبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق
٢١ عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، د.ت .

- ١ ٦٤- من أسرار اللغة : د . إبراهيم أنيس ، ط٦ ، مكتبة الأنجلو
٢ المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٨ م .
- ٣ ٦٥- مناهج البحث عند مفكري الإسلام : د . علي سامي
٤ النشار ، ط٤ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨ م .
- ٥ ٦٦- المنحول من تعليقات الأصول : الغزالي ، تحقيق محمد
٦ حسن هيتو ، ط٢ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٠ م .
- ٧ ٦٧- من رسائل ابن هشام النحوية : تحقيق حسن إسماعيل
٨ مروة ، ط١ ، مكتبة سعد الدين ، دمشق ، ١٩٨٨ م .
- ٩ ٦٨- منطق أرسطو : تحقيق عبد الرحمن بدوي ، دار الكتب
١٠ المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٨ م .
- ١١ ٦٩- الموفي في النحو الكوفي : صدر الدين الكنغراوي ، شرح
١٢ محمد بهجة البيطار ، مطبوعات المجمع العلمي العربي
١٣ بدمشق ، د . ت .
- ١٤ ٧٠- النحو العربي والدرس الحديث : د . عبده الراجحي ، دار
١٥ النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٩ م .
- ١٦ ٧١- النحو الوافي : عباس حسن ، ط٩ ، دار المعارف ، القاهرة ،
١٧ ١٩٨٧ م .
- ١٨ ٧٢- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : جلال الدين
١٩ السيوطي ، تحقيق عبد السلام هارون وعبد العال مكرم ،
٢٠ ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٧ م .
- ٢١

	١
	٢
«الضحولة» في «فحولة الشعراء»	٣
	٤
الكتاب - أو «الرسالة» حسب تعبير محقق الكتاب	٥
المستشرق تشارلس توري ومقدمه الدكتور صلاح الدين المنجد	٦
- هو عبارة عن آراء الراوية والعالم اللغوي والناقد عبد الملك بن	٧
قريب الأصمعي (ت ٢١٠هـ) في مجموعة كبيرة من الشعراء	٨
الجاهليين والإسلاميين ، وقد رواها عنه تلميذه أبو حاتم	٩
السجزي (أو السجستاني كما ذكره توري) ، ورواها عن أبي	١٠
حاتم تلميذه ابن دريد اللغوي ، ويذكر كاتب المقدمة أن	١١
المستشرق توري كان قد نشر هذه الرسالة في عام ١٩١١م في	١٢
المجلد ٦٥ من مجلة جمعية المستشرقين الألمان مع ترجمة	١٣
إنجليزية ، ويبدو أن أبناء العربية لم يطلعوا عليها ، ولم يفيدوا	١٤
منها في دراساتهم عن الشعر القديم ^(١) .	١٥
وبادئ ذي بدء لابد من عرض بعض الملاحظات :	١٦
	١٧
الملاحظة الأولى:	١٨
ثمة حقيقة لا يمكن أن تعزب عن بال أي قارئ لهذا	١٩
الكتاب ، وهي حقيقة أن الأصمعي لا يمكنه التحرر بشكل	٢٠
واضح من قيود فكرة «الثبوت» التي تظل تنبثق أمام عيني	٢١

- ١ القارئ طوال قراءته للكتاب ، ويمكنني ملاحظة ملامح فكرة
٢ الثبوت في :
٣ أ- عنوان الكتاب : إذ أن كلمة «فحولة» تعيد ذهن القارئ إلى
٤ حياة الأعراب في البادية مع ما لديهم من دواب ينتفعون
٥ بها في أغراض شتى ، وإلى مدى اعتزازهم «بالفحل»
٦ منها .
٧ ب- اعتزاز الأصمعي بطريقة العرب : ف شعر الشاعر لا يمكن أن
٨ يرتقي - في نظر الأصمعي - إلى مراتب عالية إن لم
٩ يشبه شعر العرب القدماء ، ونجد هذا واضحاً في تعليق
١٠ الأصمعي على ذي الرمة ، إذ قال : «حجة لأنه بدوي ،
١١ ولكن ليس يشبه شعره شعر العرب ، إلا واحدة التي تشبه
١٢ العرب وهي التي يقول فيها إلخ»^(٢) .
١٣ وسيأتي لاحقاً بعض الحديث عن هذه النقطة .
١٤ ج- البداوة : فكون الشاعر بدوياً موجب لرفعة شأنه في نظر
١٥ الأصمعي ، كما أن كونه حضرياً يعني نزوله عن الرتبة
١٦ العليا ، فذو الرمة حجة لأنه بدوي كما قرأنا في النص
١٧ السابق ، والكميت لا يحتج بشعره لأنه ليس كذلك كما
١٨ يروي لنا أبو حاتم :
١٩ «قلت للأصمعي ، أتجيز «إنك لتُبرق لي وتُرعد»؟ ، فقال :
٢٠ لا ، إنما هو «تُبرق وتُرعد» ، فقلت له : فقد قال الكميت :
٢١

- ١ أبرق وأرعِــــد يا يزيــــ
- ٢ يد فما وعيدك لي بضائر
- ٣ فقال : ذاك جرمقاني من أهل الموصل ، ولا آخذ
- ٤ بلغته»^(٣) .
- ٥ وما هذا المنحى من الأصمعي إلا لغلبة روح «العالم
- ٦ اللغوي» الحريص على سماع اللغة من الأعراب عليه ،
- ٧ وليس هذا بغريب على رجل كالأصمعي قضى حياته في
- ٨ نقل اللغة حتى عن صبية الأعراب ، فقد روى القالي في
- ٩ أماليه (٤٠/١) عن الأصمعي قوله : «رأيت في البادية
- ١٠ صبية يتزاجرون ، فوقفت أسمعهم فمنعوني ، فتنحيت
- ١١ جانباً وصرت أدوّن أقوالهم ، فمر بي شيخ من ذلك الحي
- ١٢ ورأى ما أصنع فقال : أتكتب قول هؤلاء الأقرام الأدناع؟
- ١٣ ففرحتُ بكلمة أدناع ومعناها السفلة ، فدوتها»^(٤) .
- ١٤ د- الاعتزاز بالقدماء : وهنا تبرز فكرة «الثبوت» لدى
- ١٥ الأصمعي بشكل سافر واضح ، ف «جرير والفرزدق
- ١٦ والأخطل لو كانوا في الجاهلية كان لهم شأن»^(٥) ، وثمة
- ١٧ أمثلة مماثلة ستأتي الإشارة إليها لاحقاً .
- ١٨ ويبدو أن هذا الإعجاب بالقدماء كان قد ملك على
- ١٩ الأصمعي لبّه ، ومنّ منّا ينسى قصته الطريفة حينما أنشد
- ٢٠ بيتين ظنهما لشاعر قديم فقال : «هذا والله هو الديباج
- ٢١ الخسرواني» ، فلمّا أُخبر بأنهما لشاعر معاصر تراجع عن رأيه

- ١ السابق قائلاً: «لا جرم، والله إنَّ أثر الصنعة والتكلف بيِّن
- ٢ عليهما»؟^(٦).
- ٣ ونتيجةً لهذا الإعجاب وجدنا الأصمعي لا يعطي وصف
- ٤ «الفحولة» إلا لقليل من الشعراء الإسلاميين، إذ لم يكن
- ٥ إعطاء هذا الوصف لهم سهلاً عليه كما لاحظ توري^(٧).
- ٦ **الملاحظة الثانية:** إذا نحن ألقينا نظرة سريعة على
- ٧ معاجم اللغة للبحث عن معنى «الفحولة» فسنجدها تقول:
- ٨ «الفحل: الذكر من كل حيوان، والجمع فحول وأفحل
- ٩ وفحال وفحالة وفحولة»^(٨).
- ١٠ «فحولة الشعراء هم الذين غلبوا بالهجاء من هاجاهم مثل
- ١١ جرير والفرزدق وأشباههما، وكذلك كل من عارض شاعراً
- ١٢ فغلب عليه»...^(٩).
- ١٣ وكنا نتوقع من الأصمعي أن يتحدث عن معنى «الفحولة»
- ١٤ لديه بشيء من هذا القبيل، لكننا وجدناه يجيب عن سؤال
- ١٥ أبي حاتم عن معنى «الفحل» بقوله: «له مزية على غيره كمزية
- ١٦ الفحل على الحقاق»^(١٠).
- ١٧ ومن الواضح أنَّ ربط معنى «الفحولة» بالتمييز (بمعناه
- ١٨ الواسع، أيًا كان مجاله) يمنح اللفظة مدلولاً وسيعاً شاسعاً،
- ١٩ وهذا ما سيظهر عند الحديث عن المقاييس المعتمدة.
- ٢٠ **الملاحظة الثالثة:** تَغْلُبُ على الكتاب صفة «الارتجال»
- ٢١ و«الفورية»؛ لأنه في معظمه عبارة عن أجوبة للأصمعي عن

- ١ أسئلة وجَّهها إليه تلميذه أبو حاتم ، فأجاب الأصمعي ، ودوّن
- ٢ أبو حاتم إجاباته في الحال ؛ ومن الطبيعي بعد ذلك أن تنعكس
- ٣ صفة الارتجال هذه على مضمون إجابات الأصمعي ، وتثير
- ٤ لدينا تساؤلاً بل تساؤلات عن مدى دقته في هذه الإجابات ،
- ٥ وهذه التساؤلات لها مسوغاتها من الكتاب ذاته ، ولنلاحظ هذه
- ٦ الفقرة :
- ٧ « . . . وسألته آخر ما سألته قبيل موته : من أول الفحول؟
- ٨ قال النابغة الذبياني ، ثم قال : ما أرى في الدنيا لأحد مثل
- ٩ قول امرئ القيس :
- ١٠ وقاهم جدّهم ببني أبيهم
- ١١ وبالأشقين ما كان العقاب
- ١٢ قال أبو حاتم : فلما رأني أكتب كلامه فكّر ثم قال : بل
- ١٣ أولهم كلهم في الجودة امرؤ القيس ، له الخطوة والسبق ، وكلهم
- ١٤ أخذوا من قوله واتبعوا مذهبه . . . » (١١) .
- ١٥ فمن الواضح هنا أن الأصمعي قد عدل عن جواب سابق
- ١٦ إلى جواب لاحق بعدما لاحظ أن أبا حاتم يكتب ما يقوله ،
- ١٧ ومن هنا تكون ملاحظة توري من أنه « لا يمكننا الوثوق بأنّ ما
- ١٨ سجّله أبو حاتم من كلام الأصمعي يعطينا ما كان الأصمعي
- ١٩ نفسه سيّدونه كتقييم أخير في محاولة جادة لتصنيف شعراء
- ٢٠ العرب » (١٢) ، ملاحظة صائبة .
- ٢١ وسواء أكانت الآراء الواردة في الكتاب تمثّل الرأي الأخير

- ١ للأصمعي أم لم تكن كذلك فهي الآراء التي سيصب الحديث
- ٢ حولها .
- ٣ **الملاحظة الرابعة:** يُلاحظ على الأصمعي في هذا
- ٤ الكتاب - أنه وفي كثير من الأحيان - لم يبين المقاييس التي
- ٥ على أساسها عدّ هذا فحلاً ولم يعدّ ذاك كذلك ، بل اكتفى
- ٦ بإطلاق أحكامه وحسب ، ومن هنا كانت «القيمة العلمية
- ٧ للرسالة كنقد أدبي قيمة متدنية»^(١٣) ، حيث لا يكون بوسعنا
- ٨ الآن أن نحدد المقاييس التي اعتمدها الأصمعي في حالات
- ٩ الشعراء الذين اكتفى بإطلاق لفظه «فحل» أو «ليس بفحل»
- ١٠ عليهم ، وما أكثر هذه الحالات! كما أنه يمكن ملاحظة أنه في
- ١١ الحالات الأخرى قد أتى بمقاييس متفرقة يكاد لا يجمع بينها
- ١٢ جامع إلا اللهم ما بيّنته من غلبة فكرة «الثبوت» على تفكيره .
- ١٣ وخلاصة ما أردتُ قوله هنا هو أن الكتاب - من جهة
- ١٤ طابعه العام - ليس إلاً بياناً لنظرات خاصة وانطباعات
- ١٥ شخصية لدى الأصمعي حول مجموعة من الشعراء الذين
- ١٦ سئل عنهم .
- ١٧ ولننتقل بعد هذا إلى الحديث عن مضمون الكتاب بشكل
- ١٨ أوسع ، فالشعراء - في نظر الأصمعي - إما فحول وإما غير
- ١٩ فحول ، ولكنني - توخياً لبعض الدقة - سأقسمهم إلى ثلاث
- ٢٠ فئات هي :
- ٢١ أ- فئة الشعراء الذين وصفهم بالفحولة .

ب- فئة الشعراء الذين نفى عنهم صفة الفحولة بصريح	١
العبارة .	٢
ج- فئة الشعراء الذين لم يصفهم بالفحولة لكنه لم ينفِ	٣
الفحولة عنهم بصراحة .	٤
ومع أنه يمكن إرجاع الفئة الأخيرة إلى الثانية ببساطة (إذ	٥
الشعراء إما فحول وإما غير فحول) إلا أنني لجأتُ إلى هذا	٦
الفصل بين الفئتين فاتحاً المجال أمام أية محاولة مستقبلية	٧
لكشف السر في اختلاف تعبير الأصمعي .	٨
أ- فئة الشعراء الفحول : وتضم هذه الفئة كلاً من :	٩
١- النابغة الذبياني : وهو أول الفحول في الرأي الأول	١٠
للأصمعي (ص ٩) .	١١
٢- امرؤ القيس : وهو أولهم في الرأي الثاني (ص ٩) .	١٢
٣- طفيل الغنوي (ص ١٠) .	١٣
٤- علقمة بن عبدة (ص ١١) .	١٤
٥- الحارث بن حلزة (ص ١١) .	١٥
٦- المسيّب بن علس (ص ١١) .	١٦
٧- حسان بن ثابت (ص ١١) .	١٧
٨- قيس بن الخطيم (ص ١١) .	١٨
٩- المرقشان (ص ١٢) .	١٩
١٠- قميئة بن سعد بن مالك (ص ١٢) .	٢٠
١١- الشماخ (ص ١٢) .	٢١

١٢- مالك بن حريم الهمداني (ص ١٢) .	١
١٣- كعب بن جعيل (قال عنه : «أظنه من الفحول ولا	٢
أستيقنه» ، ص ١٢) .	٣
١٤- أبو ذؤيب الهذلي (ص ١٤) .	٤
١٥- ساعدة بن جؤية (ص ١٤) .	٥
١٦- أبو خراش الهذلي (ص ١٤) .	٦
١٧- أعشى همدان (ص ١٤) .	٧
١٨- خدّاش بن زهير العامري (ص ١٤) .	٨
١٩- المتلمس (ص ١٥) .	٩
٢٠- دريد بن الصمة (ص ١٥) .	١٠
٢١- أعشى باهلة (ص ١٥) .	١١
١٢- ب- فئة الشعراء غير الفحول الذين نفى الأصمعي عنهم	١٢
الفحولة بصراحة وهم :	١٣
١- أعشى بني قيس بن ثعلبة (ص ١١) .	١٤
٢- عمرو بن كلثوم (ص ١١) .	١٥
٣- عدي بن زيد (ص ١١) .	١٦
٤- أبو زييد (ص ١٢) .	١٧
٥- عروة بن الورد (شاعر كريم وليس بفحل) ص ١٢ .	١٨
٦- الحويدرة (ص ١٢) .	١٩
٧- المهلهل (ص ١٢) .	٢٠
٨- الراعي (ص ١٢) .	٢١

٩- ابن مقبل (ص ١٢) .	١
١٠- ابن أحمر الباهلي (ص ١٢) .	٢
١١- ثعلبة بن صعير المازني (ص ١٢) .	٣
١٢- الأغب (ليس بفحل ولا مفلح) ص ١٣ .	٤
١٣- معقرّ البارقي (ص ١٤) .	٥
١٤- كعب بن سعد الغنوي (ليس من الفحول إلا في المرثية) ص ١٤ .	٦ ٧
١٥- الأسود بن يعفر النهشلي (يشبه الفحول) ص ١٤ .	٨
١٦- عمرو بن شاس الأسدي (ص ١٥) .	٩
١٧- لبيد بن ربيعة (ص ١٥) .	١٠
١٨- جرادة بن عميلة العنزي (له أشعار تشبه أشعار الفحول) ص ١٥ .	١١ ١٢
١٩- أوس بن غلفاء الهجيمي (ص ١٥) .	١٣
٢٠- كعب بن زهير (ص ١٥) .	١٤
٢١- سليك بن السلكة (ص ١٥) .	١٥
٢٢- ابن براقه الهمداني (ص ١٥) .	١٦
٢٣- حاجز الشمالي (ص ١٥) .	١٧
٢٤- تأبط شراً (ص ١٥) .	١٨
٢٥- الشنفرى الأزدي (ص ١٥) .	١٩
٢٦- الأعلم الهذلي (ص ١٥) .	٢٠
٢٧- سلامة بن جندل (ص ١٥) .	٢١

١	ج- فئة الشعراء الذين لم يُثبت ولم ينف عنهم الأصمعي
٢	الفحولة بصراحة : وهؤلاء هم :
٣	١- مزرد أخو الشماخ : (ليس بدون الشماخ ولكنه أفسد
٤	شعره بما يهجو الناس)ص١٢ .
٥	٢- أبو دؤاد : ذكر عنه الأصمعي أنه صالح ، ص١٢ .
٦	٣ ، ٤ ، ٥- جرير والفرزدق والأخطل : (لو كانوا في
٧	الجاهلية كان لهم شأن)ص١٢ .
٨	٦- حاتم الطائي : (إنما يُعدّ بكرم) ص١٤ .
٩	٧ ، ٨ ، ٩- خفاف بن ندبة وعنترة والزبرقان : (هؤلاء أشعر
١٠	الفرسان) ص١٤ .
١١	١٠- عباس بن مرداس السلمى : (مثلهم)ص١٤ .
١٢	١١- بشر بن أبي خازم : ص١٤ .
١٣	١٢- زيد الخيل الطائي : (من الفرسان) ، ص١٥ .
١٤	١٣- القحيف العامري : (ليس بفصيح ولا حجة)
١٥	ص١٦ .
١٦	١٤- زياد الأعجم : (حجة لم يتعلق عليه بلحن)ص١٦ .
١٧	١٥- عبد بني الحسحاس : (فصيح وهو زنجي أسود)
١٨	ص١٦ .
١٩	١٦- أبو دلامة : (صالح الفصاحة)ص١٦ .
٢٠	١٧- أبو عطاء السندي : (فصيح)ص١٦ .
٢١	١٨- عمر بن أبي ربيعة : (مولد وهو حجة)ص١٦ .

١٩- فضالة بن شريك الأسدي .	١
٢٠- عبد الله بن الزبير الأسدي	٢
٢١- ابن الرقيات .	٣
٢٢- الأقيشر : (ذاك مولد)ص١٦ .	٤
٢٣- ابن هرمة : (ثبت فصيح)ص١٦ .	٥
٢٤- طفيل الكناني : (مثل ابن هرمة)ص١٧ .	٦
٢٥- ابن أذينة : (تُبت في طبقة ابن هرمة وهو دونه في	٧
الشعر وقد كان مالك يروي عنه الفقه)ص١١ .	٨
٢٦- يزيد بن ضبة : (مولى لثقيف وقد قال ألف قصيدة	٩
فاقتسمتها العرب فذهبت بها)ص١٧ .	١٠
٢٧- الكميت بن زيد : (ليس بحجة لأنه مولد)ص٢٠ .	١١
٢٨- الطرماح : ص٢٠ .	١٢
٢٩- ذو الرمة : (حجة لأنه بدوي ، ولكن ليس يشبهه	١٣
شعره شعر العرب إلا واحدة إلخ)ص٢٠ .	١٤
١٥ وبعد هذا العرض السريع نأتي إلى السؤال المهم في المقام :	١٥
١٦ ما المقاييس المعتمدة لدى الأصمعي في التفاضل؟ وبعبارة	١٦
١٧ أخرى : ما أبعاد «الفحولة» في نظره؟	١٧
١٨ قبل الإجابة لا بد لنا من تذكر ما قاله المستشرق توري من	١٨
١٩ أن : «ملاحظات الأصمعي حول الشعراء التي جمعها أبو حاتم	١٩
٢٠ السجستاني تحت عنوان كتاب فحولة الشعراء لا تكوّن مؤلفاً	٢٠
٢١ تصنيفياً . إن ما لدينا هنا ببساطة هو سلسلة من الأقوال المبعثرة	٢١

- ١ ذات قيم غير متوازية ، وُضعت لمناسبات أو أسباب مختلفة ،
- ٢ وُجمعت إلى بعضها دونما أية خطة للتنظيم»^(١٤) .
- ٣ ومن هنا تبرز صعوبة محاولة الإجابة عن السؤال المطروح ،
- ٤ ومع ذلك فإنّ تتبّع الملاحظات المتفرقة التي أطلقها الأصمعي
- ٥ يوقفنا على المقاييس الآتية :
- ٦
- ٧ (١) جودة المعنى:
- ٨ فالشاعر لا يكون مُجيداً في نظر الأصمعي بمجرد عنايته
- ٩ بجانب الصنعة والشكل في شعره ، بل لا بد أن يضم إلى ذلك
- ١٠ حلاوة المعنى وشرفه ، وهذا ما نجده عند حديث الأصمعي عن
- ١١ شعر لبيد : «شعر لبيد كأنه طيلسان طبري ، يعني أنه جيد
- ١٢ الصنعة وليست له حلاوة»^(١٥) .
- ١٣
- ١٤ (٢) الإتيان بالمعنى في أقل ما يمكن من الألفاظ:
- ١٥ فإذا أتى شاعر بمعنى من المعاني في بيت كامل ، وأتى
- ١٦ شاعر ثان بالمعنى ذاته في أقل من ذلك كان الشاعر الثاني
- ١٧ أعظم درجة لدى الأصمعي ، إذ أنّ هذا الثاني سيكون بوسعه
- ١٨ أن يتناول في بيت واحد غير معنى ، ولنستمع إلى الأصمعي
- ١٩ وهو يقول : «وأوس بن حجر أشعر من زهير ولكن النابغة طأطأ
- ٢٠ منه ، قال أوس : [بجيش ترى منه الفضاء معضلاً] في قافية
- ٢١ وقال النابغة فجاء بمعناه في نصف بيت وزاد شيئاً آخر فقال :

- ١ جيش يظل به الفضاء معضلاً
- ٢ يدع الإكام كأنهن صحاري»^(١٦)
- ٣
- ٤ (٣) اتّباع طريقة العرب:
- ٥ وقد سبق أن أشرتُ إلى هذه النقطة ، وبَيَّنْتُ أنها تعكس
- ٦ مدى خضوع الأصمعي لقاعدة «الثبوت» ، ونقلتُ رأيه في ذي
- ٧ الرمة ، وأنقل هنا مثالاً آخر يبين مدى الأهمية التي كان
- ٨ الأصمعي يوليها لقضية مشابهة أشعار الأولين ، وهو ما نقله
- ٩ الأصمعي من رأي معاوية بن أبي سفيان في طفيل الغنوي ،
- ١٠ والملاحظ أن الأصمعي قد اكتفى هنا بنقل رأي معاوية من دون
- ١١ أن يعلّق عليه بشيء مما يعني تبنيّه له ، بل إنّ ملاحظة السياق
- ١٢ الذي نقل فيه الأصمعي رأي معاوية لتوحي بأنه ما نقل هذا
- ١٣ الرأي إلا تأييداً لما كان قد ذكره من حسن شعر طفيل ، وما كان
- ١٤ الأصمعي ليفعل هذا لو لم يرتض رأي معاوية .
- ١٥ وهو ذا النص : « . . . وكان معاوية بن أبي سفيان يقول :
- ١٦ دعوالي طفيلاً ، فإن شعره أشبه بشعر الأوّلين من زهير ، وهو
- ١٧ فحل»^(١٧) .
- ١٨ وفي حديث الأصمعي عن الراعي نجده يقول : «الراعي
- ١٩ أشبه شعراً بالقديم وبالأول»^(١٨) .
- ٢٠ هل لي هنا أن أزعّم أنّ تأكيد الأصمعي الشديد اتّباع
- ٢١ طريقة العرب واقتفاء آثار الأوّلين في أشعارهم كان إرهاباً أولياً

- ١ للفكرة التي بلورها العلماء اللاحقون كالأمدي والقاضي
- ٢ الجرجاني والمرزوقي وأضرابهم تحت عنوان «عمود الشعر»؟
- ٣ ليس هذا بمستبعد بتاتاً ، ولكن مع هذا فمجرد عدم
- ٤ الاستبعاد لا يشكل دليلاً .
- ٥
- ٦ (٤) إجادة الوصف:
- ٧ فهذه الإجادة هي التي صارت سبباً في منح طفيل الغنوي
- ٨ وسام «الفحولة» : «قال : ولم يكن النابغة وأوس بن حجر وزهير
- ٩ يحسنون صنعة الخيل ، ولكن طفيل غاية في النعت ، وهو
- ١٠ فحل ، ثم أنشد له .» (١٩) .
- ١١ وفي نص آخر نجد الأصمعي يقول : «وأنتع الناس لمحبوب
- ١٢ في القصيد الراعي ، وأنعتهم لمحبوب في الرجز ابن لجأ التيمي
- ١٣ واسمه عمر» (٢٠) .
- ١٤
- ١٥ (٥) التقدم الزماني:
- ١٦ فالأصمعي متيم القلب بشعراء الجاهلية بنحو خاص ، لا
- ١٧ يكاد يفضل عليهم أحداً ، وهو يرى أن من جاء متأخراً من
- ١٨ الشعراء ليس بوسعه أن يبلغ شأو المتقدمين مهما أوتي من
- ١٩ تمكّن في فنه الشعري ، ومن هنا وجدنا الأصمعي يقول :
- ٢٠ «وليس لكلب شاعر في الجاهلية قديم» (٢١) .
- ٢١ ووجدناه حينما سُئل عن جرير والفرزدق والأخطل يقول :

- ١ «هؤلاء لو كانوا في الجاهلية كان لهم شأن ، ولا أقول فيهم شيئاً
- ٢ لأنهم إسلاميون» (٢٢) .
- ٣ ولا غرو ، فالأصمعي متأثر في «ثبوت» هذا بأستاذه أبي
- ٤ عمرو بن العلاء ، كيف لا وهو الذي يروي عنه : «سمعتُ أبا
- ٥ عمرو بن العلاء يقول : لو أدرك الأخطل من الجاهلية يوماً
- ٦ واحداً ما قدّمتُ عليه جاهلياً ولا إسلامياً» (٢٣) .
- ٧ وهذا الموقف من الأصمعي الذي لا يعترف فيه بفضيلة
- ٨ شاعر ما مجرد أنه لم يدرك الجاهلية إن دلّ على شيء فإنما يدل
- ٩ على عدم موضوعية الأصمعي في نقده وتقويمه للشعر ، ولعلّ
- ١٠ بعض البحث في حياة الرجل يكشف لنا عن مواقف أخرى تجلّى
- ١١ فيها عدم موضوعيته ، فابن درستويه (ت ٣٤٥) كان يقول : «إنما
- ١٢ انحرف الأصمعي عن الكميت لمذهبه ، لا لأدبه» (٢٤) .
- ١٣ إلا أن الجدير بالذكر هنا هو أنّ موقف الأصمعي قد اختلف
- ١٤ في بعض الأحيان ، فهو حينما سئل عن أعشى همدان أجابه
- ١٥ بقوله : «هو من الفحول ، وهو إسلامي كثير الشعر» (٢٥) ، فصفة
- ١٦ «الإسلامية» هنا لا يجد الأصمعي مانعاً من جمعها مع صفة
- ١٧ «الفحولة» ، وأين هذا من النص المتقدم حينما رفض تقويم جرير
- ١٨ والفرزدق والأخطل مجرد كونهم إسلاميين؟
- ١٩ إنّ هذا التناقض في موقف الأصمعي ليعيد إلى أذهاننا ما
- ٢٠ سبق أن أشرتُ إليه من صفة «الارتجال» التي تطبّع الكتابُ
- ٢١ بطابعها .

- ١ (٦) عدم الهجاء أو التقليل منه؛
- ٢ إذ أن كثرة الهجاء في شعر الشاعر موجبة لسقوط قدر
- ٣ شعره لدى الأصمعي؛ لذا وجدناه يقول عن مزرد أخي
- ٤ الشماخ: «ليس بدون الشماخ، ولكنه أفسد شعره بما يهجو
- ٥ الناس» (٢٦).
- ٦ وهذا المقياس يبدو فيه أثر تدين الأصمعي الذي «كان لا
- ٧ ينشد ولا يفسر ما كان فيه ذكر الأنواء لقول رسول الله (ص):
- ٨ إذا ذكرت النجوم فأمسكوا؛ وكان لا يفسر ولا ينشد شعراً فيه
- ٩ هجاء، وكان لا يفسر شعراً يوافق تفسيره شيئاً من
- ١٠ القرآن» (٢٧).
- ١١
- ١٢ (٧) الوفرة العددية في القصائد؛
- ١٣ فلكي يلتحق شاعر من الشعراء بمرتبة الفحول لا يُكتفى
- ١٤ منه بقصيدة واحدة رائعة، بل لابد من توافر عدد من القصائد
- ١٥ الرائعة لديه، ولنقرأ النصوص الآتية:
- ١٦ أ- «قلت: فالحويدرة؟ قال: لو كان مثل قصيدته خمس
- ١٧ قصائد كان فحلاً» (٢٨).
- ١٨ ب- «قلت فمهلهل؟ قال: ليس بفحل، ولو كان قال مثل
- ١٩ قوله: أليلتنا بذي جشم أنيري، كان أفحلهم» (٢٩).
- ٢٠ ج- «قال: ولو قال ثعلبة بن صُعيير المازني مثل قصيدته
- ٢١ خمساً كان فحلاً» (٣٠).

- ١ د- «قلت : فمَعَقَّرَ البارقي حليف بني نمير؟ قال : لو أم خمسمًا
٢ أو ستًا لكان فحلاً» (٣١) .
- ٣ هـ- «قلت : فأوس بن غلفاء الهجيمي؟ قال : لو كان قال
٤ عشرين قصيدة لحق بالفحول ، ولكنه قُطِعَ به» (٣٢) .
- ٥ و- «قال : وسلامة بن جندل لو كان زاد شيئًا كان فحلاً» (٣٣) .
- ٦
- ٧ وبقراءة النصوص المتقدمة يثور التساؤل الآتي : كم عدد
٨ القصائد الجيدة المطلوبة من الشاعر حتى يكون فحلاً؟
- ٩ إن كلام الأصمعي هنا متفاوت ، فهو تارة لا يحدّد أي
١٠ عدد معيّن (النصّان ب ، و) ، وأخرى يكتفي بخمس قصائد
١١ (النصّان أ ، ج) ، وثالثة يتردد بين الخمس والست (النص د) ،
١٢ ورابعة يطالب الشاعر بعشرين قصيدة (النص هـ) ، وأغلب
١٣ الظن أنّ الأرقام المذكورة في كلامه ليست مرادة على نحو
١٤ الضبط والتحديد ، وإلا فما سر هذا الاختلاف في كلامه؟
- ١٥ لكن مع كل هذا نلاحظ أنّ الأصمعي نقل رأياً لأبي عمرو
١٦ بن العلاء من دون أن يعلّق عليه مما يوحي برضاه به وهو :
١٧ «سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : قصيدته التي على الرء
١٨ ألحقته بالفحول :
- ١٩ ألا بان الخليط ولم يدانى
٢٠ وقلبك في الطعائن مستعار» (٣٤)
- ٢١ فقصيدة واحدة إذن لبشر بن أبي خازم جعلته يرتقي إلى

- ١ مرتبة «الفحولة» من دون أن يحتاج إلى تعدد في مثيلاتها!
- ٢
- ٣ (٨) عدم العزوف عن الدنيا:
- ٤ للأصمعي كلمة معروفة يقول فيها: «طريق الشعر إذا
- ٥ أدخلته في باب الخير لان . . . وطريق الشعر هو طريق شعر
- ٦ الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابعة . . .»، وهذه الكلمة
- ٧ فهم منها الدكتور إحسان عباس^(٣٥) أن طريقة شعر الفحول هي
- ٨ الحديث عن الأمور الدنيوية وما يتصل بالصراع الإنساني في
- ٩ الحياة، فإذا أراد شاعر ما أن يبتعد عن هذه الطريقة ليطلب
- ١٠ بشعره الثواب الأخروي أو ليتحدث فيه عن الأمور المربوطة
- ١١ بوثاقة بالدين فإن هذا الشاعر يخرج بذلك عن الفحولة .
- ١٢ والحقيقة هي أننا نجد أثراً لفكرة الأصمعي هذه في كتابنا،
- ١٣ ولنقرأ هذين النصين مثلاً:
- ١٤ أ- «قلت: فأبو دؤاد؟ قال: صالح، لم يقل إنه فحل»^(٣٦) .
- ١٥ ب- «قلت: فلبيد بن ربيعة؟ قال: ليس بفحل، وقال لي
- ١٦ مرة أخرى: كان رجلاً صالحاً، كأنه ينفي عنه جودة
- ١٧ الشعر . . .»^(٣٧) .
- ١٨ فهذان النصان يدلان بوضوح على أن الأصمعي كان يرى
- ١٩ وجود منافاة واضحة بين «صالح الشاعر» و«فحولته»؛ ولذا لا
- ٢٠ يكون الصالح إلاً غير فحل .
- ٢١

- ١ (٩) الابتكار في المعاني؛
- ٢ يرى الأصمعي أن قيمة شعر الشاعر تتحدد - فيما
- ٣ تتحدد - بكثرة سرقاته أو قلتها : «قلت للأصمعي : كيف شعر
- ٤ الفرزدق؟ قال : تسعة أعشار شعره سرقة ، قال : وأما جرير فله
- ٥ ثلاثون قصيدة ما علمته سرق شيئاً قط إلا نصف بيت .» (٣٨) .
- ٦ فإذا كانت «السرقه» تعني عند قدماء نقادنا أي نوع من
- ٧ أنواع الاتفاق في المعنى بين شاعرين ، مهما كان وجه الاتفاق
- ٨ ضئيلاً ، فإنَّ نتيجة ذلك أنه لكي يكون الشاعر مبدعاً حقاً
- ٩ (فحلاً) فلا بد أن يكون مبتكراً في المعاني التي يتناولها في
- ١٠ شعره لئلا يوصم بالسرقة .
- ١١
- ١٢ (١٠) جواز أخذ اللغة عن الشاعر؛
- ١٣ إنَّ هذا المقياس وإن بدا غريباً جداً وناشراً في هذا المحل في
- ١٤ بدء الأمر إلا أنه من المرجح أن نلقي نظرة فاحصة أولاً على
- ١٥ بعض النصوص من الكتاب :
- ١٦ أ- «قال : وعمر بن أبي ربيعة مولد وهو حجة : سمعت أبا
- ١٧ عمرو بن العلاء يحتج في النحو بشعره ويقول هو
- ١٨ حجة» (٣٩) .
- ١٩ ب- «قال أبو حاتم : وسألت الأصمعي عن القحيف
- ٢٠ العامري الذي قال في النساء ، قال : ليس بفصيح ولا
- ٢١ حجة» (٤٠) .

- ١ ج- «وسألته عن زياد الأعجم فقال : حجة لم يتعلق عليه
٢ بلحن . . .» (٤١) .
- ٣ د- «وذو الرمة حجة لأنه بدوي . . .» (٤٢) .
- ٤ هـ- «وابن هرمة ثبَّت فصيح» (٤٣) .
- ٥ إننا نجد في هذه النماذج من النصوص كلمات مثل :
- ٦ بدوي ، وفصيح ، وثبَّت ، وحجة ، ولحن ، ومولَّد حجة ، فما
٧ ربط هذه الكلمات يا ترى بالقيمة الفنية لشعر الشاعر؟
- ٨ ألسنا نجد ارتباطاً واضحاً بين هذه الكلمات وبين منهج
٩ اللغويين القدماء ؟
- ١٠ إنَّ هذا ليكشف بوضوح عن التداخل الحاصل بين
١١ شخصيتي «عالم اللغة» و«الناقد» في الأصمعي ، مما جعله
١٢ يتخذ مقاييس لغوية في مضمارة نقدي للنتاج الشعري للشاعر ،
١٣ وكأنَّ الشاعر المفضَّل هو الشاعر الذي يمكن الاحتجاج بلغته
١٤ وأخذ اللغة عنه .
- ١٥ كانت تلکم أهم المقاييس التي أرى أن الأصمعي قد
١٦ اعتمدها في أحكامه على الشعراء .
- ١٧ هذا ، وللدكتور إحسان عباس هنا كلام يقول فيه :
- ١٨ «يتجلى لنا في هذا النص أن الفحولة صفة عزيزة تعني
١٩ التفرد الذي يتطلب :
- ٢٠ أ- غلبة صفة الشعر على كل صفات أخرى في المرء ،
٢١ فرجل مثل حاتم قد يقول قصائد ولكنه يُعدُّ في الأجواد ولا

- ١ يسمى فحلاً لأن الشعر لا يغلب عليه ، وكذلك أشباه زيد
- ٢ الخيل وعنترة فإنهم فرسان يقولون شعراً ، وحسب» (٤٤) .
- ٣ ومع أن النص الذي يتكلم عنه الدكتور إحسان هو نص
- ٤ من كتاب «الموشح» إلا أنه نص لا يكاد يختلف عن النصوص
- ٥ الموجودة بين أيدينا في «فحولة الشعراء» ، ولذا حقّ لي أن
- ٦ ألاحظ أن كلام الدكتور إحسان عباس ليس في محله وذلك
- ٧ لأمر منها :
- ٨ أولاً : إن الأوصاف التي ذكرت لهؤلاء الشعراء (الكرم ،
- ٩ الفروسية) ليست من الأوصاف المانعة من الإبداع
- ١٠ الشعري حتى نفترض أن غلبة هذه الأوصاف على
- ١١ هؤلاء الشعراء قد منعتهم من أن يرتقوا في مدارج
- ١٢ الشعر العليا .
- ١٣ ثانياً : لو كانت غلبة صفة كالفروسية مانعة من الوصول إلى
- ١٤ درجة «الفحولة» فكيف إذن صار دريد بن الصمة - في
- ١٥ نظر الأصمعي - «من فحول الفرسان ، ودريد في بعض
- ١٦ شعره أشعر من الذبياني»؟ (٤٥) .
- ١٧ كيف جاز هنا أن يجتمع الوصفان : الفحولة والفروسية ؟
- ١٨ ثالثاً : إذا كان نفي «الفحولة» وإثبات صفة أخرى للشاعر
- ١٩ يعني أنه لم يصرف فحلاً لغلبة الصفة الأخرى عليه فإننا نلاحظ
- ٢٠ أن الأصمعي حينما أراد نفي «الفحولة» عن بعض الشعراء
- ٢١ أثبت لهم صفة الفصاحة (٤٦) فهل نفهم من هذا أنهم لم يكونوا

- ١ فحولاً لأنهم كانوا فصحاء ؟
- ٢ وخالصة ما أريد قوله هنا أنّ الأصمعي لم يجعل «غلبة
- ٣ صفة الشعر على كل صفات أخرى في المرء» مقياساً من
- ٤ مقاييس الفحولة إطلاقاً ، بل غاية ما فعله هو أنه نفى صفة
- ٥ «الفحولة» نفيًا غير صريح عن كل من حاتم وعنترة وخفاف
- ٦ والزبرقان من دون أن يخبرنا بالسبب في ذلك . أما ما ذكره من
- ٧ كرم حاتم وفروسية عنترة فلم يكن ذكرًا لسبب عدم الفحولة ،
- ٨ بل كان ذكرًا لما اقترن بهذه الأسماء من أوصاف في أذهان
- ٩ الناس ، فلعل الأصمعي لم يجد من المناسب أن ير على لسانه
- ١٠ ذكر حاتم من دون أن يصفه بالكرم أو ذكر عنترة من دون أن
- ١١ يذكر فروسيته .
- ١٢ ويبدو أنّ هذا كان أمرًا متعارفًا عليه ، إذ نحن نقرأ في
- ١٣ كتاب فحولة الشعراء :
- ١٤ «أنشد حسان شعرَ عمرو بن العاص فقال : ما هو بشاعر
- ١٥ ولكنه عاقل» (٤٧) .
- ١٦ فهل يسوغ لنا أن نفهم من كلام حسان هذا أنّ عمرًا لم
- ١٧ يكن شاعرًا لأنه كان عاقلًا؟ كلا ، فغاية ما أراد حسان هو
- ١٨ نفي صفة الشاعرية عن عمرو من دون ذكر الأسباب ، أما ذكر
- ١٩ صفة «العقل» فهو ذكر لأهم ما اشتهر به عمرو بن العاص ،
- ٢٠ وبهذا النحو أيضًا ينبغي أن نفهم ما قاله الأصمعي عن حاتم
- ٢١ وعنترة وأشباههما .

الهوامش

- ١
- ٢
- ٣ -١ مقدمة الدكتور صلاح الدين المنجد ، ص ٨ .
- ٤ -٢ فحولة الشعراء ، ص ٢٠ .
- ٥ -٣ المزهري للسيوطي ، ٣٧٥/٢ .
- ٦ -٤ من مقدمة محمد مطيع حافظ على «المنتقى من أخبار الأصمعي» ، لضياء الدين المقدسي ، ص ٣٠ .
- ٧ -٥ فحولة الشعراء ، ص ١٢ .
- ٨ -٦ الموازنة ١ : ٢٣ .
- ٩ -٧ مقدمة المستشرق توري باللغة الإنجليزية ، ص ٤٠ ، سطر ٣٨ وما بعده .
- ١٠ -٨ القاموس المحيط ، مادة «فحل» .
- ١١ -٩ لسان العرب مادة «فحل» .
- ١٢ -١٠ فحولة الشعراء ، ص ٩ .
- ١٣ -١١ المصدر نفسه ، ص ٩ .
- ١٤ -١٢ مقدمة توري بالإنجليزية ، ص ٣٩ ، سطر ١٨ وما بعده .
- ١٥ -١٣ مقدمة توري ، ص ٣٩ ، السطران ٢٤ ، ٢٥ .
- ١٦ -١٤ مقدمة توري ، ص ٤٠ ، سطر ١٥ وما بعده .
- ١٧ -١٥ فحولة الشعراء ، ص ١٥ .
- ١٨ -١٦ المصدر نفسه ، ص ٩ ، ١٠ .
- ١٩ -١٧ المصدر نفسه ، ص ١٠ .
- ٢٠ -١٨ المصدر ، ص ١٢ .
- ٢١ -١٩ المصدر ، ص ١٠ .

١	٢٠- المصدر ، ص ١٨ .
٢	٢١- المصدر ، ص ١٩ .
٣	٢٢- المصدر ، ص ١٢ .
٤	٢٣- المصدر ، ص ١٣ .
٥	٢٤- تصحيح الفصح ١٧٩ نقلاً عن الدكتور نعمة رحيم العزاوي في (النقد اللغوي
٦	عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري) ، ص ١١٠ .
٧	٢٥- فحولة الشعراء ، ص ١٤ .
٨	٢٦- المصدر نفسه ، ص ١٢ .
٩	٢٧- الكامل ٣ : ٣٦ .
١٠	٢٨- فحولة الشعراء ، ص ١٢ .
١١	٢٩- المصدر والصفحة .
١٢	٣٠- المصدر والصفحة .
١٣	٣١- المصدر ، ص ١٤ .
١٤	٣٢- المصدر ، ص ١٥ .
١٥	٣٣- المصدر والصفحة .
١٦	٣٤- المصدر ، ص ١٤ .
١٧	٣٥- تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ٣٨ ، ٣٩ .
١٨	٣٦- فحولة الشعراء ، ص ١٢ .
١٩	٣٧- المصدر ، ص ١٥ .
٢٠	٣٨- المصدر ، ص ١٩ .
٢١	٣٩- المصدر ، ص ١٦ .
	٤٠- المصدر والصفحة .

١	٤١- المصدر والصفحة .
٢	٤٢- المصدر ، ص ٢٠ .
٣	٤٣- المصدر ، ص ١٦ .
٤	٤٤- تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ٤٠ .
٥	٤٥- فحولة الشعراء ، ص ١٥ .
٦	٤٦- انظر ما قاله في أبي دلامة ، ص ١٦ ، وأبي عطاء السندي ، ص ١٦ مثلاً .
٧	٤٧- فحولة الشعراء ، ص ١٩ .
٨	
٩	
١٠	
١١	
١٢	
١٣	
١٤	
١٥	
١٦	
١٧	
١٨	
١٩	
٢٠	
٢١	

1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21

	١
	٢
«الثبوت» عند ابن سلام	٣
	٤
مقدمة:	٥
«الثبوت» يُراد به ، لغةً ، الإقامة وعدم المفارقة ، إذ «يقال	٦
ثبت فلان في المكان يثبت ثبوتًا فهو ثابت إذا أقام به ، وأثبتته	٧
السقم إذا لم يفارقه . . . ورجل ثبت المقام لا يبرح» ^(١) ، وقد	٨
استعمل الدكتور إحسان عباس «الثبوت» مصطلحًا في حديثه	٩
عن كل من الأصمعي وابن سلام ، فقال عن الأول : «غير أنه	١٠
بدلاً من أن ينظر إلى المشكلة في ضوء تطوري ، نظر إليها من	١١
خلال موقف «ثابت» . . .» ^(٢) ، وقال عن الأخير : «وقد يكون	١٢
ابن سلام أشد صلة بالنقد المدرس عن الأصمعي ، ولكنه	١٣
يشبهه في أنه حصر رؤيته ضمن ذلك «الثبوت» الذي يمثله	١٤
الشعر الجاهلي والإسلامي» ^(٣) .	١٥
وواضح من خلال النصين أنفي الذكر أن المراد «بالثبوت» ،	١٦
ما كان ضدًا للتطور ، فالتطور يعني المضي إلى الأمام بينما	١٧
«الثبوت» يعني الجمود على الوضع السابق والتعصب لكل ما	١٨
هو قديم ، وبذا تظهر المناسبة بين المعنيين اللغوي	١٩
والاصطلاحي .	٢٠
أيكون الدكتور إحسان قد اقتنص هذا المصطلح من أرسطو	٢١

- ١ حينما ذكر «الثبات» مسألةً رابعةً من مسائل الأخلاق في
- ٢ المأساة؟^(٤) هذه مسألة نحن في غنى عن الولوج فيها لأنها
- ٣ تُبعدنا عن موضوعنا أولاً ، ولأنها ستحوجنا ، ثانياً ، إلى ضرب
- ٤ من التخمين الذي لسنا نريده الآن .
- ٥ إن مسألة الصراع بين القديم والجديد لم تكن من المسائل
- ٦ المقصورة على أمتنا ، إذ «لم يدخل عصر أدبي في حياة الأمم التي
- ٧ كان لها نصيب من الأدب وحظ في إتقان القول وإجادته من
- ٨ هذه المسألة ، مسألة القدماء والمحدثين ، ولم تظهر هذه المسألة
- ٩ في عصر من العصور أو عند أمة من الأمم إلا أحدثت خلافاً
- ١٠ عظيماً وجدالاً عنيفاً ، وقسمت الأدباء على اختلاف فنونهم
- ١١ الأدبية أقساماً ثلاثة : قسم يؤيد القدماء تأييداً لا احتياط فيه ،
- ١٢ وقسم يظهر المحدثين مظاهرة لا تعرف اللين ، وقسم يتوسط بين
- ١٣ أولئك وهؤلاء . . .»^(٥) . واختلاف الأدباء يتلازم مع اختلاف
- ١٤ نقاد الأدب لا محالة ، إذ الأدب والنقد توأمان لا ينفصلان .
- ١٥ ولما كانت المسألة من المسائل المثارة في تأريخ أدبنا العربي فيما
- ١٦ مضى ، وجدنا أنفسنا اليوم - حينما ننظر إلى نتاجات اللغويين
- ١٧ ورواة الأدب ونقاده القدماء مجموعةً معاً - نستمتع إلى أصوات
- ١٨ مختلفة منها ما ينادي بالتجديد ونبذ القديم ومنها ما يتروى في
- ١٩ المسألة ومنها ما يتشدد ويتعصب للقديم .
- ٢٠ ومن هذا القسم الأخير محمد بن سلامّ الجُمحي في
- ٢١ سفره المعروف : «طبقات فحول الشعراء» . فما مظاهر هذا

- ١ التعصب للقديم أي «الثبوت» لديه؟ وما أسبابه ودوافعه؟ هذان
- ٢ هما الجانبان اللذان أرمي إلى تسليط بصيص من النور الخافت
- ٣ عليهما في الصفحات الآتية .
- ٤
- ٥ **مظاهر «الثبوت» عند ابن سلام:**
- ٦ أرى أن أهم مظاهر الثبوت عند ابن سلام في كتابه
- ٧ السالف ذكره ما يأتي :
- ٨ **أ- نظام التصنيف الطبقي:**
- ٩ لست هنا أهدف إلى التوقف عند الخلاف القائم حالياً في
- ١٠ تفسير مراد ابن سلام بلفظة «طبقة» ، أأراد بالطبقة المذهب أو
- ١١ المنهج كما فهم الأستاذ محمود شاكر^(٦)؟ أم أراد بها المعنى
- ١٢ القيمي كما فهم الدكتور جهاد المجالي^(٧)؟ أم أراد معنى آخر؟ إذ
- ١٣ أن لهذا الخلاف مقاماً آخر أجدر به .
- ١٤ فما أريد الإشارة إليه هنا هو أن ابن سلام ، وعلى الرغم
- ١٥ من كونه أول الذين نعرفهم ممن طبّق النظام الطبقي على
- ١٦ الشعراء ، لم يكن مبتدع فكرة هذا النظام التصنيفي . فقد
- ١٧ سبقه إلى هذا علماء الحديث الذين ألفوا كتباً في طبقات
- ١٨ الرواة ، ومن أقدم هذه الكتب : كتاب أبي عبد الله بن عمر
- ١٩ الواقدي الذي لم يصل إلينا ، وإضافةً إليه فقد ألفت إلى ما
- ٢٠ قبل تاريخ وفاة ابن سلام (٢٣١هـ) كتب الطبقات الآتية :
- ٢١ ١- طبقات الرواة لخليفة بن خياط ومسلم بن حجاج

- ١ صاحب الصحيح ومحمد بن سعد الزهري
- ٢ البصري (ت ٢٣٠) .
- ٣ ٢- طبقات الصحابة والتابعين لأبي عبد الله محمد بن سعد الزهري البصري المتوفى سنة ٢٣٠ .
- ٤ ٣- طبقات الفرسان لأبي عبيدة معمر بن المثنى اللغوي المتوفى سنة ٢١٠ .
- ٥ ٤- طبقات الفقهاء والمحدثين للهيثم بن عدي المتوفى سنة ٢٠٧^(٨) .
- ٦ ٩ يُلاحظ أنّ كتب الطبقات السالفة - باستثناء كتاب أبي عبيدة - قد دارت في فلك واحد هو فلك الشخصيات التي
- ٧ ١٠ اقترن ذكرها بالدين مثل رواية الحديث والصحابة والتابعين
- ٨ ١٢ والفقهاء ، فماذا أرادت هذه الكتب ؟
- ٩ ١٣ لقد أرادت أن تحفظ لنا أسماء تلك الشخصيات ، وما قيل في كل منها من مدح أو قدح ، كي لا تُنسى حينما يمر الزمن
- ١٠ ١٤ عليها وتصبح «قديمة» . فهذه الكتب إذن أرادت أن تكون سداً
- ١١ ١٦ منيعاً لحماية «التراث الإسلامي» ، وهي بهذا كانت تؤدي مهمة جليلة ولا ريب ؛ لأن حماية الدين كان الغاية والباعث .
- ١٢ ١٧ أتى ابن سلام فوجد كتب الطبقات ماثلة أمامه ، فَحَدَا
- ١٣ ١٩ حذوها ، وطَبَّقَ فكرتها على الشعراء ، إذ كان الحفاظ على «القديم» همّاً يؤرقه . وبذا كان نظام التصنيف الطبقي الذي
- ١٤ ٢١ اعتمده ابن سلام مظهرًا من مظاهر «الثبوت» لديه .

- ١ وذهب ابن سلام إلى أبعد من مجرد اعتماد التصنيف
- ٢ الطبقي ، إذ استعار من كُتّاب الطبقات أهم مقاييسهم ، وهما
- ٣ مقياسا الزمان والمكان . فقد (اعتمد ابن سعد عنصر الزمان
- ٤ وجعله مقياساً في بناء طبقاته جميعها ، والمقصود بالزمان عنده
- ٥ القِدَم في الإسلام ، وهذا مقياسه الأساسي ، إذ ابتدأ
- ٦ بالمهاجرين البدرين ثم بالأنصار البدرين ، ثم من دخل
- ٧ الإسلام قديماً ولكنه لم يشهد بدرّاً وإنما هاجر إلى الحبشة أو
- ٨ شهد أحداً ، ففاضل بين المسلمين حسب المشاهد التي
- ٩ شهدوها . . . أما مقياس المكان عند ابن سعد فهو واضح في
- ١٠ ترجمته للصحابة وفق أمصارهم التي أقاموا فيها ، فابتدأ بمن في
- ١١ المدينة ، فمكة ، فالطائف ، فاليمن ، فاليمامة ، وبعد أن ترجم
- ١٢ لمدن الجزيرة انتقل إلى العراق ، فابتدأ بالترجمة لمن في الكوفة
- ١٣ ثم البصرة ، وبعد ذلك انتقل إلى الشام ، فمصر ، ناهجاً هذا
- ١٤ النهج^(٩) . والزمان والمكان من مظاهر الثبوت عند ابن سلام
- ١٥ كما سيأتي التوضيح لاحقاً .
- ١٦ وكان استعمال ابن سلام لنظام التصنيف الطبقي
- ١٧ استعمالاً صارماً ، فقد التزم بذكر عشر طبقات للجاهليين وعشر
- ١٨ طبقات أُخر للإسلاميين ، والتزم بأن تحوي كل طبقة أربعة من
- ١٩ الشعراء لا يزيدون ولا ينقصون . وأدّت به صرامته الحادة هذه
- ٢٠ إلى الوقوع في مجموعة من المآخذ ، منها :
- ٢١ أ- أنه جعل أوس بن حجر في الطبقة الثانية من طبقات

- ١ الجاهليين مع اعترافه باستحقاقه الكون في الطبقة الأولى ،
- ٢ وما كان سبب تأخيره إلى الثانية إلا صرامة الالتزام بالعدد
- ٣ في كل طبقة ، يقول : «وأوس نظير الأربعة المتقدمين ، إلا
- ٤ أنا اقتصرنا في الطبقات على أربعة رهط»^(١٠) .
- ٥ ب- جعل الراعي النميري في الطبقة الأولى من طبقات
- ٦ الإسلاميين إلى جانب جرير والفرزدق والأخطل ، ورأيه
- ٧ هذا لم يقبله أحد كما يقول الأستاذ طه أحمد
- ٨ إبراهيم^(١١) . ويبدو أن ابن سلام كان ملتفتاً إلى كونه قد
- ٩ وضع الراعي في غير موضعه ؛ لذا وجدناه يقول :
- ١٠ «فاختلف الناس فيهم أشد الاختلاف وأكثره . وعامة
- ١١ الاختلاف ، أو كله ، في الثلاثة . ومن خالف في الراعي
- ١٢ قليل ، كأنه آخرهم عند العامة»^(١٢) . لكنها صرامة العدد ،
- ١٣ دعتة إلى فعل ما لم يكن سيفعله لولاها .
- ١٤ ج- بعد أن انتهى من عرض طبقات الشعراء الجاهليين كان
- ١٥ من المتوقع أن يشرع فوراً في ذكر طبقات الإسلاميين ،
- ١٦ لكنه لم يفعل ذلك ، بل وجدناه يذكر لنا طبقة أصحاب
- ١٧ المراثي ناظراً إلى غرض من الأعراض الشعرية ، فشعراء
- ١٨ القرى العربية ناظراً إلى الإطار المكاني ، ثم الشعراء اليهود
- ١٩ ناظراً في ذلك إلى دين من الأديان . وهذا يعني أن ابن
- ٢٠ سلام كان يشعر بأن طبقاته العشر لم تف له بكل مراده ؛
- ٢١ لذا طفق يبحث عن وسائل يغطي بها النقص الذي أوقعته

- ١ صرامته في النظام الطبقي فيه . وسيأتي بعض الحديث
- ٢ عن المسألة لاحقاً .
- ٣ بالنقاط السالفة وبغيرها يتضح عدم صلاحية نظام
- ٤ الطبقات المغلقة الذي أتبعه ابن سلام ؛ لذا اقترح الدكتور
- ٥ منير سلطان منهجين بديلين هما : الطبقات المفتوحة
- ٦ والرواية^(١٣) .
- ٧
- ٨ **ب- الفحولة:**
- ٩ مع أنني سأحدث فيما يأتي عن مقاييس ابن سلام في
- ١٠ كتابه ، ومع أنّ «الفحولة» منها ، إلا أنني رأيتُ أن أتحدث عنها
- ١١ بشكل مستقل ؛ وذلك لأمرين :
- ١٢ ١- كونها في عنوان الكتاب ، فبعد أن كانت النقطة السابقة
- ١٣ تتحدث عن الكلمة الأولى في العنوان رأيتُ من المناسب
- ١٤ أن يكون الحديث بعدها عن الكلمة الثانية (الفحولة) .
- ١٥ وتجدر الإشارة هنا إلى أن وجود هذه الكلمة في العنوان هو
- ١٦ رأي الأستاذ محمود شاكر^(١٤) بناء على أدلة ارتضاها ،
- ١٧ لكن هذا الرأي لم يرتضه آخرون من مثل الدكتور منير
- ١٨ سلطان^(١٥) والدكتور جهاد المجالي^(١٦) . وليس مقامي هنا
- ١٩ مناسباً لبحث مسألة كهذه .
- ٢٠ ٢- كونها المقياس أو الأساس الأول في نظام ابن سلام الطبقي
- ٢١ كما أشار الدكتور إحسان عباس^(١٧) ، وهذا يعني أنّ ابن

- ١ سلام كان ينظر إلى الفحولة بنحو متميز عن نظره إلى
- ٢ مقاييسه الأخرى .
- ٣ لقد استخدم ابن سلام «الفحولة» في مواضع كثيرة من
- ٤ كتابه مثل :
- ٥ - «فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين
- ٦ شاعراً» (١٨) .
- ٧ - «وكان أبو ذؤيب شاعراً فحلاً لا غميمة فيه ولا
- ٨ وهن» (١٩) .
- ٩ - «وكان للشماخ أخوان ، وهو أفحلهم . . .» (٢٠) .
- ١٠ - «وكان القطامي شاعراً فحلاً . . .» (٢١) .
- ١١ ولم يكن ابن سلام أول من استخدم هذه اللفظة في
- ١٢ الميدان الشعري ، فقد سبقه إلى ذلك الأصمعي في «فحولة
- ١٣ الشعراء» ، ومن قبلهما استعملها بعض الشعراء كالحطيئة في
- ١٤ قصته المعروفة مع كعب بن زهير حين قال له : «قد علمت
- ١٥ روايتي شعر أهل البيت وانقطاعي ، وقد ذهب الفحول غيري
- ١٦ وغيرك . . .» (٢٢) ، فاللفظة إذن لم تكن جديدة ، لكن ابن
- ١٧ سلام قد نحا بها نحواً جديداً حين عدّ للفحولة درجات
- ١٨ ومراتب .
- ١٩ يبقى أن نتساءل : ما ربط «الفحولة» بموضوع الحديث أي
- ٢٠ «بالثبوت»؟
- ٢١ يضع الدكتور إحسان عباس أيدينا بمقربة من الجواب حين

- ١ يقول : «يعود بنا هذا المصطلح - أي الفحولة - إلى طريقة
- ٢ الخليل بن أحمد في انتخاب الألفاظ الدالة على الشعر من
- ٣ طبيعة الحياة البدوية . . .»^(٢٣) ، وحين يقول في موضع ثان :
- ٤ «التفت أوائل النقاد إلى حياة البداوة في اختيار المصطلح ،
- ٥ فكان مصطلح «الفحولة» الذي اختاره الأصمعي ، وربما لم يكن
- ٦ هو أول من استعمله ، مستمداً من طبيعة حيوان الصحراء -
- ٧ وخاصة الجمل - قبل أن يكون مستمداً من حقيقة التمايز بين
- ٨ الرجال في هذه الصفة»^(٢٤) .
- ٩ إذن فمصطلح «الفحولة» مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالبداوة وحياة
- ١٠ الصحراء وما فيها من جمال وحيوانات أخرى . والبداوة مرتبطة
- ١١ بدورها - في أذهان الأصمعي وابن سلام وأضرابهما - بنقاء
- ١٢ اللغة وسلامتها من عبث المحدثين ، أي أن البداوة رمز - إن صح
- ١٣ التعبير - للمحافظة على اللغة كما كانت في «القدم» ، ومن
- ١٤ هنا تنبثق قضية «الثبوت» .
- ١٥
- ١٦ **ج- مقاييس ابن سلام:**
- ١٧ ذكرتُ فيما سبق أنَّ «الفحولة» كانت المقياس الأول لدى
- ١٨ ابن سلام ، وقد صرَّح بذلك في قوله : «فاقتصرنا من الفحول
- ١٩ المشهورين على أربعين شاعراً ، فألفنا من تشابه شعره منهم إلى
- ٢٠ نظرائه ، فوجدناهم عشر طبقات ، أربعة رهط كل طبقة ،
- ٢١ متكافئين معتدلين»^(٢٥) ، وبَيَّنْتُ أن هذا المقياس مرتبط

- ١ «بالثبوت» . ومن عبارته السالفة يمكن استخراج مقياسه الثاني
- ٢ وهو «التشابه» ، وهو المقياس الذي جرّ على ابن سلام مجموعة
- ٣ من الإشكالات (٢٦) .
- ٤ وهناك مقاييس أخرى يمكن وضع اليد عليها من خلال
- ٥ كتابه ، وأهمها :
- ٦
- ٧ ١- **القدم**؛
- ٨ فابن سلام ينتمي إلى مدرسة الأصمعي الذي سُئل عن
- ٩ جرير والفرزدق والأخطل فقال : «هؤلاء لو كانوا في الجاهلية
- ١٠ كان لهم شأن ، ولا أقول فيهم شيئاً لأنهم إسلاميون» (٢٧) .
- ١١ وهي المدرسة التي هاجمها ابن قتيبة حين قال : «فإني رأيت
- ١٢ من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه
- ١٣ في متخيّره ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده إلا أنه
- ١٤ قيل في زمانه أو أنه رأى قائله ، ولم يقصر الله العلم والشعر
- ١٥ والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خصّ به قوماً دون
- ١٦ قوم . . .» (٢٨) ، والطريف أن الدكتور المجالي يرى أنّ ابن قتيبة
- ١٧ قصد في هجومه هذا ابن سلام دون غيره (٢٩) . ومن الجلي أن
- ١٨ تقديم القديم لقدمه هو «الثبوت» بعينه ، لكن أين تجلّى هذا عند
- ١٩ ابن سلام؟
- ٢٠ تجلّى في اختلاف تعامل ابن سلام مع طبقات
- ٢١ الإسلاميين عن تعامله مع طبقات الجاهليين ، فقد لاحظ

- ١ الدكتور محمد حسن عبد الله^(٣٠) أنه قلَّ وصف الشاعر بالملق
٢ والخنذيد والفحل في العصر الإسلامي ، وتوقف عند الطبقة
٣ الثالثة . وفي الطبقة الرابعة يوصف شاعران بأتهما شاعران
٤ وحسب ، وتمضي الطبقتان الخامسة والسابعة دون أوصاف .
٥ وتجلَّى أيضاً في قصره الإسلامي على من عاشوا في
٦ صدر الإسلام والدولة الأموية دون أن يتجاوزهم إلى من بعدهم
٧ كمروان بن أبي حفصة وأبي نواس وبشار ومسلم بن الوليد
٨ وأبي تمام ، وقد أرجع الدكتور بدوي طبانه هذه الظاهرة إلى
٩ سببين :
- ١٠ ١- إن الأقوال في حق هؤلاء الشعراء لم تكن قد تبلورت
١١ بعد .
- ١٢ ٢- الخشية من هجاء هؤلاء الشعراء فيما إذا تعرّض
١٣ لنقدهم^(٣١) .
- ١٤ والمسألة لا تنحصر في السببين المذكورين - على
١٥ وجاهتهما - إذ يمكن إثارة سبب آخر وهو «الثبوت» ، وهذا ما
١٦ ذهب إليه الدكتور المجالي إذ قال : «وابن سلام متعصب للقديم
١٧ بصورة مطلقة ، فهو يهمل شعراء زمانه ومنهم من كانت شهرته
١٨ تملأ الدنيا كعمر بن أبي ربيعة أو الطرماح على سبيل
١٩ المثال»^(٣٢) .
- ٢٠
٢١

- ١ ٢، ٣- الكثرة والجودة؛
- ٢ فقد اهتم ابن سلام بالكثرة في الشعر اهتمامًا بالغًا ، ولا
- ٣ أدلّ على ذلك من قوله في الطبقة الرابعة من الجاهليين : «وهم
- ٤ أربعة رهط فحول شعراء ، موضعهم مع الأوائل ، وإنما أخلّ بهم
- ٥ قلة شعرهم بأيدي الرواة»^(٣٣) ، وقوله في الطبقة السابعة من
- ٦ الجاهليين أيضًا : «أربعة رهط مُحكمون مقلون ، وفي أشعارهم
- ٧ قلة ، فذاك الذي أحرّهم»^(٣٤) .
- ٨ وكلام كهذا يعود بأذهاننا إلى الأصمعي في «فحولة
- ٩ الشعراء» حيث كان يقول مثلاً :
- ١٠ «لوقال - يعني الحويدرة - مثل قصيدته خمس قصائد
- ١١ كان فحلاً»^(٣٥) .
- ١٢ لكن إلى جانب الكثرة اهتم ابن سلام بالجودة أيضاً ، فقال
- ١٣ عن عدي بن زيد : «وله أربع قصائد غرر روائع مبرزات ، وله
- ١٤ بعدهن شعر حسن»^(٣٦) . فالكثرة والجودة لا بد أن تجتمعا في
- ١٥ شعر الشاعر ليكون مبرزاً ، وفقدان أي منهما يُسقط من قدر
- ١٦ الشاعر .
- ١٧ وثمة مقاييس أحرّ اهتم بها ابن سلام ولكن بدرجة أقل ،
- ١٨ وأهمها :
- ١٩ - تعدد الأغراض الشعرية لدى الشاعر وتنوع أوزانه
- ٢٠ الشعرية : فكثير جعله ابن سلام في الطبقة الثانية وجاء جميل
- ٢١ متأخراً عنه (في الطبقة السادسة) ، ومع ذلك يخبرنا ابن سلام

- ١ بكون جميل مقدّمًا على كثيرٍ في النسب ، فلماذا إذن تأخر
- ٢ جميل من حيث الطبقة عن كثيرٍ؟ ذلك لكون كثيرٍ متعدد
- ٣ الأغراض الشعرية» (٣٧) .
- ٤ وهو ذا ابن سلام يقول عن الأعشى : «وقال أصحاب
- ٥ الأعشى هو أكثرهم عَرُوضًا ، وأذهبهم في فنون الشعر ، وأكثرهم
- ٦ طويلة جيدة ، وأكثرهم مدحًا وهجاءً وفخرًا ووصفًا ، كل ذلك
- ٧ عنده» (٣٨) .
- ٨ هذا ، ولا يرى البحثُ الأستاذَ داود سلوم مصيبًا حينما
- ٩ نظر إلى كلام ابن سلام عن عمرو بن شاس : «كثير الشعر في
- ١٠ الجاهلية والإسلام ، أكثر أهل طبقتة شعرًا ، وكان ذا قدر وشرف
- ١١ ومنزلة في قومه» (٣٩) ، وفهم منه أنّ ابن سلام يرى النسب
- ١٢ والشرف من مقاييس التفضيل (٤٠) . إذ الحق أنّ ابن سلام قد
- ١٣ ذكر كثرة الشعر هنا مقياسًا للتفضيل ، أما ما ذكره بعد ذلك
- ١٤ فلم يكن إلا من قبيل التعريف بالشخص وذكر شيء من
- ١٥ أحواله ، وهذا ديدن ابن سلام في كتابه . وأدل دليل على عدم
- ١٦ اهتمام ابن سلام بقضية النسب والشرف هو أنه لم يُدرج عمرًا
- ١٧ هذا إلا في الطبقة العاشرة من الجاهليين ، في حين أنه أدرج
- ١٨ بعض العبيد في طبقات سابقة كسحيم (الطبقة التاسعة)
- ١٩ وعنترة (الطبقة السادسة) .
- ٢٠
- ٢١

- ١ د- آراء السالفين في نظر ابن سلام؛
- ٢ نظر ابن سلام إلى آراء العلماء والرواة السالفين نظرةً كلها
- ٣ احترام وتبجيل ، ووجدنا في أحكامه على الشعراء آثاراً لهذا
- ٤ التبجيل وذاك الاحترام ، فقد وضع امرأ القيس وزهيراً والنابغة
- ٥ والأعشى في الطبقة الأولى من طبقات فحول الجاهلية ، وكان
- ٦ تقديم هؤلاء الأربعة من الأحكام المعروفة المشهورة فقد « قيل
- ٧ لكثير - أو لنصيب - من أشعر العرب؟ فقال : امرؤ القيس إذا
- ٨ ركب ، وزهير إذا رغب ، والنابغة إذا رهب ، والأعشى إذا
- ٩ شرب»^(٤١) .
- ١٠ يقول ابن سلام في هذا الشأن : «أخبرني يونس بن حبيب
- ١١ أن علماء البصرة كانوا يقدّمون امرأ القيس بن حجر ، وأهل
- ١٢ الكوفة كانوا يقدمون الأعشى ، وأن أهل الحجاز والبادية كانوا
- ١٣ يقدّمون زهيراً والنابغة»^(٤٢) . وهذا الكلام يدل دلالة صريحة
- ١٤ على ما كان ابن سلام يكتنه في نفسه من تقدير لآراء العلماء
- ١٥ السالفين ، وعلى أن طبقتهم الأولى كانت من صنيعهم . وهذا ما
- ١٦ لاحظته الدكتور محمد زغلول سلام حين قال : «ويجيء بعد
- ١٧ امرئ القيس - عند الغالبية - النابغة والأعشى وزهير على
- ١٨ اختلاف في الترتيب ، ويكاد الإجماع على هؤلاء الثلاثة أن
- ١٩ يكون كالإجماع على تقديم امرئ القيس . . .»^(٤٣) .
- ٢٠ واتبع ابن سلام آراء سالفه أيضاً حينما جعل جريراً
- ٢١ والفرزدق والأخطل في الطبقة الأولى من طبقات الإسلاميين ،

- ١ فهذا الرأي كان من الآراء المشهورة من قبله ، إذ « كتب الحجاج
- ٢ بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم يسأله عن أشعر شعراء الجاهلية
- ٣ وأشعر شعراء وقته ، فقال : أشعر الجاهلية امرؤ القيس ،
- ٤ وأضربهم مثلاً طرفه ، وأما شعراء الوقت فالفرزدق أفخرهم ،
- ٥ وجريبر أهجهم ، والأخطل أوصفهم» (٤٤) .
- ٦ ويمثّل الأستاذ طه أحمد إبراهيم بمثال ثالث لأخذ ابن
- ٧ سلامّ بآراء سالفه ، وهو يرتبط بالشاعرين علقمة الفحل وسويد
- ٨ بن أبي كاهل (٤٥) .
- ٩ هذا ، وما كنتُ لأعدّ استهداء ابن سلامّ بآراء سالفه
- ١٠ مظهرًا من مظاهر الثبوت لديه ، لولا أنه اتخذ من تلك الآراء
- ١١ عقلاً يعقل به رأيه وذوقه ، فغدت آراء سابقه قيوداً لآرائه هو ،
- ١٢ بعد أن كان من المفروض أن تكون مجرد علامات هادية على
- ١٣ الطريق . ولنستمع إلى ابن سلامّ وهو يقول لنا : « وقد اختلفت
- ١٤ العلماء بعدُ في بعض الشعر ، كما اختلفت في سائر الأشياء ،
- ١٥ فأما ما اتفقوا عليه فليس لأحد أن يخرج منه» (٤٦) كي تتضح
- ١٦ لنا هذه الحقيقة .
- ١٧ وستزداد الحقيقة اتضاحًا حين نقرأ قوله : «وعبيد بن
- ١٨ الأبرص قديم ، عظيم الذكر ، عظيم الشهرة ، وشعره مضطرب
- ١٩ ذاهب ، لا أعرف له إلا قوله :
- ٢٠ أفر من أهله ملحوب
- ٢١ فالقطبيات فالذنوبُ

- ١ ولا أدري ما بعد ذلك» (٤٧) .
- ٢ لا يحفظ ابن سلام لعبيد سوى هذا البيت ، ومع ذلك فقد
- ٣ جعله في الطبقة الرابعة من طبقات الجاهليين مقدّمًا على
- ٤ كثيرين ، متجاوزًا في فعله هذا مقياس «الكثرة» الأثير لديه ،
- ٥ فلماذا هذا كله؟
- ٦ لأنّ عبيد بن الأبرص قديم أولاً ، وهذا من مقاييس ابن
- ٧ سلام «الثبوتية» السالفة الذكر . ولأنه ، ثانيًا ، عظيم الذكر
- ٨ وعظيم الشهرة!
- ٩ لهذا وأمثاله كان من السائغ جدًا أن يقول الأستاذ طه
- ١٠ إبراهيم : «وكان لنا أن ننتظر من ابن سلام ، وقد تأخر به العهد
- ١١ عن كل ما ذكرنا ، تحليلاً للشعر فسيحًا عميقًا يلائم انفساح
- ١٢ النقد في الميادين الأخرى ، ولكننا لا نجده يتقدم في تذوق
- ١٣ الأدب خطوة عن الذين عاصروه أو سبقوه» (٤٨) .
- ١٤ ومع هذا فلا أريد أن أغمط ابن سلام حقّه ؛ لذا أجد لزامًا
- ١٥ عليّ أن أشير إلى أنه وجد في نفسه من الجرأة ما يمكنه ، في
- ١٦ بعض الأحيان ، من مخالفة آراء الآخرين . ومن ذلك ما قاله
- ١٧ عن كثير : «وكان كثير شاعر أهل الحجاز ، وإنهم ليقدمونه على
- ١٨ بعض من قدمنا عليه . . .» (٤٩) . إلا أن موارد هذه المخالفة قليلة
- ١٩ جدًا ، ولذا كانت آراء السالفين تمثّل مظهرًا أكيدًا من مظاهر
- ٢٠ الثبوت عند ابن سلام .

- ١ هـ- فكرة وحدة البيت؛
- ٢ وهي الفكرة التي بلغت مبلغًا كبيرًا من الاهتمام عند ابن
- ٣ سلام ، ونصَّ أستاذنا الدكتور يوسف بكار على أنه «يدل
- ٤ الاستقراء على أنه ربما كان ابن سلام الجمحي أول من نصَّ
- ٥ في صراحة على وحدة البيت واستقلاله من
- ٦ القدماء . . .» (٥٠) .
- ٧ يظهر اهتمام ابن سلام بالفكرة في ذكر «الأبيات المقلَّدة»
- ٨ للفرزدق^(٥١) وجرير^(٥٢) والأخطل^(٥٣) ، والبيت المقلَّد عنده
- ٩ هو: «البيت المستغني بنفسه ، المشهور الذي يُضرب به
- ١٠ المثل» (٥٤) .
- ١١ ويظهر في تعداده - في كثير من الموارد^(٥٥) - للأبيات
- ١٢ المفردة التي أعجب بها ، أو أعجب بها غيره .
- ١٣ وغني عن البيان أنَّ فكرة وحدة البيت واستقلاله بنفسه
- ١٤ من الأفكار التي استقاها ابن سلام ومعاصروه من سابقهم ،
- ١٥ فقد «حكى عن الوليد بن يزيد بن عبد الملك أنه قال : لم تقل
- ١٦ العرب بيتًا أغزل من قول جميل بن معمر :
- ١٧ لكل حديث بينهن بشاشة
- ١٨ وكل قتيل عندهن شهيد
- ١٩ وفضلته بهذا البيت سكينه بنت الحسين بن علي رضوان
- ٢٠ الله عليهم ، وأثابته به دون جماعة من حضر من
- ٢١ الشعراء» (٥٦) .

- ١ وقد سأل ابن عباس الحطيئة عن أشعر الناس فقال :
- ٢ «الذي يقول :
- ٣ ومن يجعل المعروف من دون عرضه
- ٤ يَفِرُّه ، ومن لا يَتَّقِ الشِّتْمَ يشتم
- ٥ وليس الذي يقول :
- ٦ ولست بمستبق أخاً لا تلمه
- ٧ على شعث ، أي الرجال المهذب
- ٨ بدونه ولكن الضراعة أفسدته كما أفسدت جرولاً . . .» (٥٧) .
- ٩ إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة التي تُثبت قدم هذه
- ١٠ الفكرة ، وأنَّ إصرار ابن سلام عليها لم يكن إلاَّ ضرباً من
- ١١ «الثبوت» .
- ١٢
- ١٣ - وقصره فكرة الانتحال على الشعر القديم:
- ١٤ كان ما نبّه عليه وأفاض فيه ابن سلام من حديث حول
- ١٥ ظاهرة «الانتحال» الأصل لكل الحديث الذي استفاض بعد
- ١٦ ذلك حول الظاهرة نفسها فيما يذهب الدكتور عبد الحميد
- ١٧ المسلوت (٥٨) .
- ١٨ فقد تحدّث ابن سلام عن الانتحال بشيء من الإسهاب ،
- ١٩ وأرجعه إلى عدة عوامل :
- ٢٠ ١- رواية الشعر من قبل غير المتخصصين ، كما فعل محمد بن
- ٢١ إسحاق بن يسار (٥٩) .

- ١ ٢- اختلاط الأمر على بعض الرواة^(٦٠) .
- ٢ ٣- محاولة بعض العشائر الاستزادة من الأشعار لأجل تخليد
- ٣ المآثر^(٦١) .
- ٤ ٤- تعمد بعض الرواة الكذب ، كما كان الحال مع حمّاد
- ٥ مثلاً^(٦٢) .
- ٦ وهذا كله مما يُحسب لابن سلام .
- ٧ لكن لا يغيب عن البال أنه «سيظل الانتحال موجوداً على
- ٨ مر الزمن ، وستظل الحاجة إلى هذا الناقد ملحّة كذلك ، ولكن
- ٩ ابن سلام كان يرى المشكلة في الشعر القديم دون سواه ، لتوثيق
- ١٠ ذلك الشعر...»^(٦٣) .
- ١١ وبهذا القصر لمشكلة الانتحال على الشعر القديم وحده يبرز
- ١٢ أمامنا مظهر جديد من مظاهر «الثبوت» عن ابن سلام ؛ إذ أن
- ١٣ الشعر القديم هو وحده الذي يهم ابن سلام عدم انتحاله .
- ١٤
- ١٥ ز- أفراد أصحاب المراثي وشعراء القرى العربية وشعراء اليهود
- ١٦ بالذکر؛
- ١٧ سبق أن أشرتُ إلى أن ابن سلام ، بعد أن أكمل عرض
- ١٨ طبقاته العشر المخصّصة لفحول الجاهلية ، ذكر أصحاب المراثي
- ١٩ وشعراء القرى العربية وشعراء اليهود .
- ٢٠ وقبل كل شيء أريد هنا أن أشير إلى أن ابن سلام لم يعدّ
- ٢١ كل هذه الأصناف الثلاثة من الشعراء طبقات ، وإنما جعل

- ١ أصحاب المراثي ، وحدهم ، طبقة . أما شعراء القرى العربية
- ٢ وشعراء اليهود فلم يدرجهم تحت عنوان «طبقة» ، بل قال :
- ٣ «شعراء القرى العربية ، وهي خمس . . .»^(٦٤) ، وقال : «وفي
- ٤ يهود المدينة وأكنافها شعر جيد ، منهم . . .»^(٦٥) .
- ٥ ويؤيد قولي هذا أن ابن سلام قد ألزم نفسه في طبقاته
- ٦ كلها بذكر أربعة من الشعراء في كل طبقة ، لكنه في شعراء
- ٧ القرى العربية وشعراء اليهود لم يلتزم بذلك ، فذكر من شعراء
- ٨ المدينة خمسة ، ومن شعراء مكة تسعة ، ومن شعراء الطائف
- ٩ خمسة ، ومن شعراء البحرين ثلاثة ، ومن الشعراء اليهود
- ١٠ ثمانية^(٦٦) . وهذا كله لا يعني إلا كونه لم يعد شعراء القرى
- ١١ العربية وشعراء اليهود من «الطبقات» .
- ١٢ والذي جعلني أشير إلى هذا هو أنني وجدتُ قلم الدكتور
- ١٣ إحسان عباس قد سَهَا في هذا الموضوع ، فكتب : « . . . ثم
- ١٤ أتبعهم بذكر ثلاث طبقات أخرى هي : طبقة أصحاب المراثي ،
- ١٥ وطبقة شعراء القرى العربية ، وطبقة شعراء اليهود . . .»^(٦٧) .
- ١٦ ولعلَّ مَنْ أوقعه في هذا هو محمود شاكر محقق الكتاب حين
- ١٧ كتب في الفهرست : (طبقة شعراء القرى العربية)^(٦٨) و(طبقة
- ١٨ شعراء يهود)^(٦٩) .
- ١٩ المهم الآن أن نتساءل : ما الذي دعا ابن سلام إلى إفراد
- ٢٠ هذه الأصناف الثلاثة من شعراء الجاهلية بالذكر؟ ولماذا لم
- ٢١ يُدرجهم تحت الطبقات العشر؟

- ١ التفت الباحثون إلى هذا التساؤل ، وكانت لهم في مقام
- ٢ الإجابة مجموعة من المحاولات ، وتوخياً للدقة سأخص كل
- ٣ صنف منها بجانب من الحديث .
- ٤ فأما أصحاب المراثي فقد سوَّغ الدكتور محمد مندور
- ٥ أفرادهم بالذكر بقوله : «ولقد فطن ابن سلام بذوقه الأدبي
- ٦ السليم إلى أن هؤلاء الشعراء ليسوا كغيرهم ممن صدروا عن
- ٧ فن ، بل هم إنسانيون ، قالوا الشعر لشفاء نفوسهم مما تجد ، فلم
- ٨ تأت مراثيهم مدحاً للميت فحسب ، بل عبارة عن ألمهم هم
- ٩ لفقد ذويهم ، حتى إن المديح نفسه ليلونه الأسى ، ولذلك
- ١٠ أفردهم - فيما نظن - بباب خاص وإن لم يذكر السبب»^(٧٠) .
- ١١ وقريب من هذا كلام الدكتور جهاد المجالي^(٧١) ، وكلام الدكتور
- ١٢ بدوي طبانة^(٧٢) . وربما أمكن تلخيص كل ما قالوه في : «صدق
- ١٣ العاطفة» عند أصحاب المراثي هؤلاء .
- ١٤ لكن ألا يمكن أن يسأل سائل : هل «الرثاء» هو الغرض
- ١٥ الشعري الوحيد الذي يمكن لعاطفة الشاعر فيه أن تكون
- ١٦ صادقة؟
- ١٧ والدكتور منير سلطان - وبعد أن تكلم بكلام يشبه الكلام
- ١٨ السابق - يطرح مسوِّغاً ثانياً خلاصته أن هؤلاء الشعراء قد
- ١٩ أخلصوا لفن بذاته هو الرثاء^(٧٣) .
- ٢٠ لكن ألم يكن من بين الشعراء من أخلص لفن آخر غير
- ٢١ الرثاء ؟ أليس الدكتور منير سلطان نفسه هو القائل : «فامرؤ

- ١ القيس يبرع في الوصف والنابعة في الاعتذار وزهير في الحكمة
- ٢ والأعشى في الخمر ، وفي الإسلاميين نجد الغزليين والمتزهدين
- ٣ والمتفلسين؟^(٧٤) فلماذا إذن صار أصحاب المراثي طبقة دون
- ٤ غيرهم؟
- ٥ يبدو أننا لن نضع أيدينا على الحقيقة إلا إذا لجأنا إلى فهم
- ٦ ما كان للثراء من منزلة في نظر «القدماء» . وهنا تبرز أمامنا
- ٧ مقولة الأصمعي في كعب الغنوي : «ليس من الفحول إلا في
- ٨ المراثية ، فإنه ليس في الدنيا مثلها»^(٧٥) ، ومقولة ابن رشيق :
- ٩ «وقال بعض النقاد : أصعب الشعر الرثاء ؛ لأنه لا يُعمل رغبةً
- ١٠ ولا رهبةً»^(٧٦) .
- ١١ وهاتان المقولتان تدلان بوضوح على المكانة المتميزة التي
- ١٢ كان الرثاء يحتلها في أنظار «القدماء» من بين سائر الأغراض
- ١٣ الشعرية .
- ١٤ ومن هنا قد لا أجنب الصواب إذا قلتُ : إنَّ ابن سلامَّ نظر
- ١٥ إلى هذه المكانة المتميزة للثراء عند «القدماء» حينما جعل
- ١٦ أصحاب المراثي في طبقة مستقلة ، فكان أفرادهم بالذكر من
- ١٧ مظاهر «الثبوت» لديه .
- ١٨ وأما أفراد شعراء القرى العربية بالذكر فقد احتل الدكتور
- ١٩ محمد زغلول سلام أن يكون راجعاً إلى خلط الناسخين ، بمعنى
- ٢٠ أن الحديث عن هؤلاء الشعراء ربما كان مختصاً بكتاب ثان لابن
- ٢١ سلامَّ فأدرج هنا نتيجة الخلط^(٧٧) .

- ١ واحتمل ، بل جزم ، الدكتور منير سلطان أن يكون راجعاً
- ٢ إلى إحساس ابن سلام بما يتركه اختلاف البيئة من أثر على
- ٣ ألفاظ الشعراء وتشبيهاهم وأخيلتهم الحضارية^(٧٨) .
- ٤ لكن إذا كان هذا كل ما في الأمر ، فما الذي منع ابن سلام
- ٥ من توزيع شعراء القرى المتحضرين على طبقات كما فعل مع
- ٦ شعراء البادية؟ هذا ما لم يتعرض له الدكتور منير سلطان . ونحا
- ٧ الدكتور محمد مندور نحواً ثالثاً في المسألة ، فبعد أن تحدّث عن
- ٨ ظاهرة ذكر شعراء القرى العربية قال : «هذه الظاهرة من مخلفات
- ٩ الروح الجاهلية ، روح الإقليم والقبيلة التي لم يستطع الإسلام أن
- ١٠ يحوها ، فظلت مصدراً للفتن والقتال في تاريخ العرب
- ١١ السياسي ، وللمفارقات والتلوين في تاريخهم الأدبي»^(٧٩) .
- ١٢ وربما مال البحث إلى أن كلام الدكتور مندور يحمل نوعاً
- ١٣ من التحامل الذي لا داعي إليه على ابن سلام ، والأجدى في
- ١٤ المقام ما ذكره الأستاذ طه إبراهيم في عبارته الموجزة : «وهو في
- ١٥ تقسيمه الشعراء الجاهليين إلى بادين وحاضرين مؤمن بأثر
- ١٦ البيئة في الشعراء ؛ وهو في قصره الطبقات على البدو وحدهم
- ١٧ مؤمن بأن الشعر الجاهلي في جملة شعر بادية ، ولذلك لم ينوه
- ١٨ بتلك الفروق في الإسلاميين»^(٨٠) . فهذه العبارة تحمل ، في
- ١٩ بدئها المضمون نفسه الذي حملته كلمات الدكتور منير
- ٢٠ سلطان ، وتزيد عليها بتعرضها للتساؤل الذي طرحه البحث
- ٢١ على الدكتور منير .

- ١ أجل ، لقد عَنَتِ البادية الكثير لابن سلام وأمثاله ، فهي
- ٢ المصدر الأول الذي تُستقى منه اللغة الخالية من شوائب
- ٣ المحدثين ، أي اللغة كما عرفها «القدماء» ، ومن هنا رأى ابن
- ٤ سلام أن الكون في طبقات فحول الجاهلية هو من شأن أهل
- ٥ البادية وحدهم ، أما أهل الحضرة فإن كان لابد من ذكرهم
- ٦ فليذكروا بعد ذلك . وبذا كان قصر ابن سلام الطبقات على
- ٧ أهل البادية وحدهم مظهرًا من مظاهر «الثبوت» عنده . وهذا هو
- ٨ ما عنيته سابقًا حين ذكرتُ «المكان» مظهرًا للثبوت .
- ٩ وبلغ ميل ابن سلام إلى البادية درجةً جعلته يرى في الدين
- ١٠ - الذي هو من خصائص شعراء الحاضرة - «أداة للتوقف في
- ١١ أخذ الشعر والاسترابة فيه» على حد تعبير الدكتور إحسان
- ١٢ عباس^(٨١) . وفي كلام ابن سلام عن عدي بن زيد مثال واضح
- ١٣ على ذلك ، إذ يقول : «وعدي بن زيد كان يسكن الحيرة ويراكن
- ١٤ الريف ، فلان لسانه وسهل منطقته ، فحُمِلَ عليه شيء كثير ،
- ١٥ وتخليصه شديد . واضطرب فيه خلف الأحمر ، وخلط فيه
- ١٦ المفضل فأكثر»^(٨٢) .
- ١٧ ويظهر هذا الميل أيضًا في استخدامه أحيانًا للألفاظ
- ١٨ المرتبطة بالحياة البدوية كالفحولة التي سبق الحديث عنها ،
- ١٩ وكالبازل والثنيان مثلًا^(٨٣) .
- ٢٠ وأما أفراد شعراء اليهود بالذكر فقد احتمل فيه الدكتور
- ٢١ محمد زغلول سلام الاحتمال نفسه الذي كان قد احتمله في

- ١ أفراد شعراء القرى العربية بالذكر ، ألا وهو احتمال الكتاب
- ٢ الآخر^(٨٤) . وإلى جانبه احتمال احتمالاً ثانياً وهو أن يكون هذا
- ٣ من قبيل مجرد «التصنيف والجمع لشعراء هذه الفئة دون
- ٤ محاولة تقييم الشعر حسب ديانة الشعراء وأثرها على شعرهم ،
- ٥ ولو كان الأمر كذلك لوجدنا ابن سلامّ حاول أن يبرز بعض
- ٦ الخصائص المتصلة باليهودية في أشعارهم»^(٨٥) .
- ٧ والدكتور جهاد المجالي احتتمل احتمالين آخرين ، فقال :
- ٨ «ولعله كان مدفوعاً إلى ذلك بفعل تلك العزلة المكانية التي
- ٩ كان اليهود يحيطون بها أنفسهم ، أو أنه كان متأثراً بنظرة العرب
- ١٠ لليهود التي يملؤها الاحتقار والازدراء ، ففضّل ألا يدرجهم مع
- ١١ الشعراء العرب»^(٨٦) .
- ١٢ وبناءً على الاحتمال الأخير يكون أفراد اليهود بالذكر
- ١٣ مظهرًا من مظاهر الثبوت لدى ابن سلامّ ، لكنه يبقى مجرد
- ١٤ احتمال إلى جانب الاحتمالات السابقة ما لم يجد ما يؤيده .
- ١٥
- ١٦ **الدوافع إلى «الثبوت»:**
- ١٧ بعد أن انتهى العرض المتقدم لأهم مظاهر الثبوت عند ابن
- ١٨ سلامّ ، أنتقلُ الآن إلى الجانب الآخر من البحث ، وهو عبارة
- ١٩ عن محاولة تفسير «الثبوت» لدى ابن سلامّ ، فما الذي دعاه
- ٢٠ إليه؟
- ٢١ أحسب ، أولاً ، أن السؤال لا بد أن توسّع دائرته ليشمل كل

- ١ «الثبوتين» من أمثال أبي عمرو بن العلاء وابن الأعرابي
- ٢ والأصمعي لتوضع خطواتنا بعد ذلك تحت ضوء كاف ، بعيداً
- ٣ عن التخبطات التي يقود إليها السير في الطرق الضيقة الوعرة ،
- ٤ لاسيما في مثل حالة ابن سلام الذي لم تذكر مصادر ترجمته
- ٥ شيئاً ذا بال عن خصوصيات حياته .
- ٦ وأترك ، ثانياً ، الجواب لابن رشيق ، فقد تحدّث عن تفضيل
- ٧ جمع من العلماء والرواة للمتقدمين من الشعراء ثم قال : «هذا
- ٨ مذهب أبي عمرو وأصحابه كأصمعي وابن الأعرابي ، أعني
- ٩ أنّ كل واحد منهم يذهب في أصل عصره هذا المذهب ويقدم
- ١٠ مَنْ قَبْلَهُمْ ، وليس ذلك لشيء إلا لحاجتهم في الشعر إلى
- ١١ الشاهد ، وقلة ثقّتهم بما يأتي به المولّدون ، ثم صارت
- ١٢ لِحاجة»^(٨٧) . وهذا الكلام يشمل ابن سلام أيضاً لأنه كان
- ١٣ بدوره «من أهل اللغة والأدب» كما قال القفطي في إنباه
- ١٤ الرواة^(٨٨) ، وقد ذكره السيوطي في كتابه المسمى «بغية الوعاة
- ١٥ في طبقات اللغويين والنحاة»^(٨٩) .
- ١٦ إذن ، فقد وضع ابن رشيق أمامنا الدوافع الآتية إلى
- ١٧ «الثبوت» :
- ١٨
- ١٩ ١- الحاجة إلى الشاهد:
- ٢٠ والشاهد اللغوي أو النحوي لم يكن ليوجد إلا لدى
- ٢١ القدماء ، ومن هنا كان السعي الحثيث وراء كل ما هو «قديم» .

- ١ ومن هنا أيضاً كان جل اهتمام هؤلاء العلماء والرواة بالشعر
- ٢ منصباً على ما يخدمهم في مجال الاستشهاد . ولاحظ الجاحظ
- ٣ هذا فقال : « طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا
- ٤ يحسن إلا غريبه . . . » (٩٠) .
- ٥
- ٦ -٢- قلة الثقة بما يأتي به المولّدون:
- ٧ إذ أن هؤلاء المولّدون كانوا قد تأثروا بمؤثرات غير عربية
- ٨ نتيجة لاختلاط العرب بغيرهم من العناصر كالفرس ، فوقف
- ٩ أنصار القديم أمامهم ليصونوا العربية بصورتها الأصلية من تأثير
- ١٠ المؤثرات الخارجية ، وكان غرضهم في الأساس أن يخدموا
- ١١ القرآن الكريم . ولعلّ هذا ما عناه الدكتور طه حسين إذ قال :
- ١٢ «وكانت - أي الأمة العربية - تنجذب إلى الوراثة بحكم الدين
- ١٣ وبحكم اللغة التي لم تكن كغيرها من اللغات وإنما كانت لغة
- ١٤ دينية ، فالاحتفاظ بأصولها وقواعدها والاحتياط في صيانتها
- ١٥ من التطور وآثاره السيئة واجب ديني لا سبيل إلى جحوده أو
- ١٦ التقصير فيه» (٩١) .
- ١٧
- ١٨ -٣- اللجاجة:
- ١٩ وأية لجاجة أوضح من لجاجة مَنْ يقول : «لو أدرك الأخطل
- ٢٠ من الجاهلية يوماً واحداً ما قدّمتُ عليه جاهلياً ولا
- ٢١ إسلامياً» (٩٢) .

- ١ هذا ، وقد ذكر بعض الباحثين دوافع أخرى إلى «الثبوت» -
- ٢ من دون أن يذكروا مصطلح «الثبوت» - لا أرى بأساً في عرضها :
- ٣
- ٤ ١- الميل النفسي إلى التراث:
- ٥ وقد أشار الدكتور طه حسين إلى هذا في قوله : «أضف إلى
- ٦ هذا كله أن الأمة العربية بفطرتها حريصة على سنتها القديمة ،
- ٧ محتفظة بما ورثته عن آبائها من مظاهر الحياة العقلية
- ٨ والشعورية ، وأن الآداب العربية القديمة في نفسها جذابة خلابة
- ٩ محببة إلى النفوس مستأثرة بالقلوب ، فكان من المعقول أن يتأثر
- ١٠ الشعر بهذا كله ، وأن يكون موقف الشعراء المجددين ، كموقف
- ١١ الفلاسفة المجددين ، ثقيلًا شديد الحرج . . .»^(٩٣) وأشار الدكتور
- ١٢ نعمة رحيم العزاوي إلى هذا بعبارات مختلفة^(٩٤) .
- ١٣
- ١٤ ٢- الخوف على التراث:
- ١٥ وهذا الدافع غير الدافع السابق ، إذ الإنسان يميل بطبعه إلى
- ١٦ التراث سواء أخاف عليه أم لم يخف ، لكنه إذا خاف عليه كان
- ١٧ ميله إليه أعظم .
- ١٨ والخوف على التراث أمر مسوّغ في المجتمع الذي عاش فيه
- ١٩ ابن سلام لأنّ «المجتمع الذي عاش فيه ابن سلام كان مجتمعاً
- ٢٠ قد احتدمت فيه الاحتكاكات بين القديم والجديد ، بين التقاليد
- ٢١ والتطور ، بين الجذور العربية الأصيلة والأصول الأجنبية

- ١ الوافدة . . . وغلبت الدنيا الدين ، وهزم التطور التقاليد ،
- ٢ فانطلقت النفوس من عقالها ، وحمل العباسيون والشعوب
- ٣ معهم لواء الحضارة الفارسية ، فهموها وهضموها فتمثلوها
- ٤ وعاشوها في أبسط صورها وفي أعقدها»^(٩٥) .
- ٥ ويبدو أنّ هذا الخوف على التراث هو الذي جعل ابن سلام
- ٦ يُدكّر بمنزلة الشعر في الجاهلية ، إذ قال : «وكان الشعر في
- ٧ الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم ، به
- ٨ يأخذون وإليه يصيرون . قال ابن سلام : قال ابن عون عن ابن
- ٩ سيرين قال : قال عمر بن الخطاب : «كان الشعر علم قوم لم
- ١٠ يكن لهم علم أصح منه . . .»^(٩٦) .
- ١١ هذا ، وقد أشار الدكتور طه حسين إلى هذا الدافع في
- ١٢ طيات «حديث الأربعاء»^(٩٧) .
- ١٣
- ١٤ -٣- صعوبة السير في طريق جديد :
- ١٥ وهذا رأي للدكتور نعمة رحيم العزاوي أوضحه بقوله :
- ١٦ « . . . لقد كانوا بالقياس إلى الشعر القديم كمن يسير في طريق
- ١٧ كثر سالكوها فذللت صعابها ووضحت معالمها ، وكانوا بالقياس
- ١٨ إلى الجديد كمن يدفع إلى السير في طريق مجهولة ، لم يسبق
- ١٩ له أن عرفها أو سار فيها»^(٩٨) .
- ٢٠ وهذا الرأي ليس من العسير قبوله إذا كان له ما يؤيده ، وقد
- ٢١ وجد الدكتور نعمة له ما يؤيده بالفعل^(٩٩) .

الهوامش	١
	٢
١- لسان العرب ، مادة ثبت .	٣
٢- تاريخ النقد الأدبي عند العرب ٦٤٧ .	٤
٣- المرجع والصفحة السابقان .	٥
٤- فن الشعر ٤٢ .	٦
٥- حديث الأربعاء ٣/٢ .	٧
٦- مقدمة محمود شاكر على الطبقات ١/٦٥-٦٩ .	٨
٧- طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب ٦٨-٦٩ .	٩
٨- كشف الظنون ، حاجي خليفة ، ١٠٩٥-١١٠٨ .	١٠
٩- طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب ، ٣١-٣٢ .	١١
١٠- طبقات فحول الشعراء ١/٩٧ .	١٢
١١- تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ،	١٣
٦٦ .	
١٢- طبقات فحول الشعراء ١/٢٩٩ .	١٤
١٣- راجع : ابن سلام وطبقات الشعراء ٢٥٠-٢٥٣ .	١٥
١٤- مقدمة محمود شاكر على الطبقات ١/٢١-٢٧ .	١٦
١٥- ابن سلام وطبقات الشعراء ١٧٥-١٧٦ .	١٧
١٦- طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب ٦٣ (الحاشية ٢) .	١٨
١٧- تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ٦٨ .	١٩
١٨- طبقات فحول الشعراء ، ١/٢٤ .	٢٠
١٩- المصدر نفسه ١/١٣١ .	٢١

٢٠- المصدر نفسه ١٣٢/١ .	١
٢١- المصدر نفسه ٥٣٥/٢ .	٢
٢٢- المصدر نفسه ١٠٤/١ .	٣
٢٣- تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ٣٩ .	٤
٢٤- المرجع نفسه ، ٦٦٠ .	٥
٢٥- طبقات فحول الشعراء ٢٤/١ .	٦
٢٦- انظر : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ٦٨-٦٩ .	٧
٢٧- فحولة الشعراء ١٢ .	٨
٢٨- الشعر والشعراء ٢٣ .	٩
٢٩- طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب ٩٥ .	١٠
٣٠- مقدمة في النقد الأدبي ٥٣١ .	١١
٣١- دراسات في نقد الأدب العربي ، ١٧٨ .	١٢
٣٢- طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب ، ٧٥ .	١٣
٣٣- طبقات فحول الشعراء ١٣٧/١ .	١٤
٣٤- المصدر نفسه ١٥٥/١ .	١٥
٣٥- فحولة الشعراء ، ١٢ .	١٦
٣٦- طبقات فحول الشعراء ١٤٠/١ .	١٧
٣٧- المصدر نفسه ٥٤٥/٢ .	١٨
٣٨- المصدر نفسه ٦٥/١ .	١٩
٣٩- المصدر نفسه ١٩٦/١ .	٢٠
٤٠- راجع كلام الأستاذ داود في كتابه (تاريخ النقد الأدبي) ، ص ١٨٠ .	٢١
٤١- العمدة ٢٠٤/١ .	

١	٤٢- طبقات فحول الشعراء ١/٥٢ .
٢	٤٣- تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري ٩٨ .
٣	٤٤- العمدة ١/٢٠٦-٢٠٧ .
٤	٤٥- تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ،
٥	٨١ .
٦	٤٦- طبقات فحول الشعراء ١/٤ .
٧	٤٧- المصدر نفسه ١/١٣٨-١٣٩ .
٨	٤٨- تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ،
٩	٨٦ .
١٠	٤٩- طبقات فحول الشعراء ٢/٥٤٠ .
١١	٥٠- بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث ، ٣٣٩ .
١٢	٥١- طبقات فحول الشعراء ١/٣٦٠-٣٦٤ .
١٣	٥٢- المصدر نفسه ١/٤٠٩-٤١٥ .
١٤	٥٣- المصدر نفسه ١/٤٩٣-٥٠٢ .
١٥	٥٤- المصدر نفسه ١/٣٦٠-٣٦١ .
١٦	٥٥- المصدر نفسه : انظر مثلاً ١/٨١-٨٩ و ١/١١٩ و ١/١٦٠-١٦٢ .
١٧	٥٦- العمدة ٢/٧٦٠ .
١٨	٥٧- انظر الخبر بتمامه في المصدر نفسه ١/٢٠٧ .
١٩	٥٨- نظرية الانتحال في الشعر الجاهلي ، ٦٨ .
٢٠	٥٩- طبقات فحوالة الشعراء ١/٧-٩ .
٢١	٦٠- المصدر نفسه ١/٥٦ .
	٦١- المصدر نفسه ١/٤٦ .

١	٦٢- المصدر نفسه ٤٨/١-٤٩ .
٢	٦٣- تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ٦٥٧ .
٣	٦٤- طبقات فحول الشعراء ٢١٥/١ .
٤	٦٥- المصدر نفسه ٢٧٩/١ .
٥	٦٦- المصدر نفسه ٢١٥-٢٩٤ .
٦	٦٧- تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ٦٧ .
٧	٦٨- طبقات فحول الشعراء ٩٩٢/٢ .
٨	٦٩- المصدر نفسه ٩٩٣/٢ .
٩	٧٠- النقد المنهجي عند العرب ، ١٣ .
١٠	٧١- طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب ، ١٣٨-١٣٩ .
١١	٧٢- دراسات في نقد الأدب العربي ، ١٦٦ .
١٢	٧٣- ابن سلام وطبقات الشعراء ، ٢٢٠-٢٢١ .
١٣	٧٤- المرجع نفسه ، ٢٢١ .
١٤	٧٥- فحولة الشعراء ، ١٤ .
١٥	٧٦- العمدة ٢٥١/١ .
١٦	٧٧- تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري ، ١٠٦ .
١٧	٧٨- ابن سلام وطبقات الشعراء ، ٢٢٤-٢٢٦ .
١٨	٧٩- النقد المنهجي عند العرب ، ١٣ .
١٩	٨٠- تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ، ٨٣ .
٢٠	٨١- تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ٦٩ .
٢١	٨٢- طبقات فحول الشعراء ١٤٠/١ .

١	٨٣- ورد ذكر البازل والثنيان في المصدر السابق ٧٩/١ .
٢	٨٤- تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري ، ١٠٦ .
٣	٨٥- المرجع نفسه ، ١٠٧ .
٤	٨٦- طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب ، ١٤٩ .
٥	٨٧- العمدة ١٩٧/١-١٩٨ .
٦	٨٨- إنباه الرواة على أنباه النحاة ١٤٣/٣ .
٧	٨٩- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ٤٧ .
٨	٩٠- العمدة ، ٧٣٦/٢ .
٩	٩١- حديث الأربعاء ١٠/٢ .
١٠	٩٢- فحولة الشعراء ، ١٣ ، والكلمة المذكورة هي لأبي عمرو بن العلاء .
١١	٩٣- حديث الأربعاء ١١/٢ .
١٢	٩٤- النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري ، ٨٥ .
١٣	٩٥- ابن سلام وطبقات الشعراء ، ٥٢ .
١٤	٩٦- طبقات فحول الشعراء ٢٤/١ .
١٥	٩٧- حديث الأربعاء ٢١/٢-٢٢ .
١٦	٩٨- النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري ، ٩١ .
١٧	٩٩- راجع المرجع نفسه ، ٩١-٩٢ .
١٨	
١٩	
٢٠	
٢١	

المصادر والمراجع

- ١
- ٢
- ٣ ١- المصادر:
- ٤ ١- إنباه الرواة على أنباه النحاة: علي بن يوسف القفطي،
- ٥ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية،
- ٦ القاهرة، ١٩٥٥.
- ٧ ٢- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين
- ٨ السيوطي، دار المعرفة، بيروت، د. ت.
- ٩ ٣- الشعر والشعراء: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة،
- ١٠ ط ٣، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٧.
- ١١ ٤- طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي، قرأه
- ١٢ وشرحه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة،
- ١٣ ١٩٧٤.
- ١٤ ٥- العمدة في محاسن الشعر وأدابه: ابن رشيق القيرواني،
- ١٥ تحقيق الدكتور محمد قرقران، ط ١، دار المعرفة، بيروت،
- ١٦ ١٩٨٨.
- ١٧ ٦- فحولة الشعراء: الأصمعي، تحقيق المستشرق ش. توري،
- ١٨ تقديم الدكتور صلاح الدين المنجد، ط ٢، دار الكتاب
- ١٩ الجديد، بيروت، ١٩٨٠.
- ٢٠ ٧- فن الشعر: أرسطو طاليس، ترجمة وتحقيق عبد الرحمن
- ٢١ بدوي، دار الثقافة، بيروت، د. ت.

- ١ ٨- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : حاجي خليفة ،
٢ منشورات مكتبة المثنى ، بغداد ، د.ت .
- ٣ ٩- لسان العرب : ابن منظور ، ط ١ ، بولاق ، مصر ، ١٣٠٠هـ .
- ٤
- ٥ ٢-المراجع:
- ٦ ١- ابن سلام وطبقات الشعراء : د . منير سلطان ، نشر منشأة
٧ المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٧٧ .
- ٨ ٢- بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد
٩ الحديث : د . يوسف بكار ، ط ٢ ، دار الأندلس ، بيروت ،
١٠ ١٩٨٣ .
- ١١ ٣- تاريخ النقد الأدبي : داود سلوم ، بغداد ، ١٩٦٩ .
- ١٢ ٤- تاريخ النقد الأدبي عند العرب : د . إحسان عباس ، ط ٢ ،
١٣ دار الشروق ، عمان ، ١٩٩٣ .
- ١٤ ٥- تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى
١٥ القرن الرابع الهجري : طه أحمد إبراهيم ، دار الحكمة ،
١٦ بيروت ، د.ت .
- ١٧ ٦- تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري : د . محمد
١٨ زغلول سلام ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت .
- ١٩ ٧- حديث الأربعاء : د . طه حسين ، ط ١٢ ، دار المعارف ،
٢٠ القاهرة ، ١٩٧٦ .
- ٢١ ٨- دراسات في نقد الأدب العربي : د . بدوي طبانة ، ط ٦ ،

دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٤ .	١
٩- طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب : د . جهاد	٢
المجالي ، ط ١ ، دار الجيل ومكتبة الرائد العلمية ، بيروت ،	٣
١٩٩٢ .	٤
١٠- مقدمة في النقد الأدبي : د . محمد حسن عبد الله ،	٥
ط ١ ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ١٩٧٥ .	٦
١١- نظرية الانتحال في الشعر الجاهلي : د . عبد الحميد	٧
المسلوت ، دار القلم ، القاهرة ، د . ت .	٨
١٢- النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع	٩
الهجري : د . نعمة رحيم العزاوي ، منشورات وزارة الثقافة	١٠
والفنون ، العراق ، ١٩٧٨ .	١١
١٣- النقد المنهجي عند العرب : د . محمد مندور ، دار نهضة	١٢
مصر ، القاهرة ، ١٩٧٢ .	١٣
	١٤
	١٥
	١٦
	١٧
	١٨
	١٩
	٢٠
	٢١

1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21

	١
	٢
«التوسع» أو «الاتساع»	٣
في «الوساطة» و«المثل السائر»	٤
	٥
مدخل:	٦
يظفر مُراجع تراثنا العربي ، ولاسيما النقدي والبلاغي	٧
منه ، بمجموعة لا يستهان بها من الكلمات التي يحس - منذ	٨
الوهلة الأولى لقراءته لها - بأن أصحابها حاولوا أن يسلكوا بها	٩
سبلاً تختلف ، مهما كانت درجة هذا الاختلاف ، عن سبيل	١٠
الاستعمال العادي كما تحدده معجمات اللغة . وبعبارة أخرى ،	١١
فالقارئ المعاصر ينتابه هاجس ما بأنّ تلكم الكلمات قد سعى	١٢
مستخدموها إلى إضفاء صبغة اصطلاحية عليها ، مهما بدت	١٣
هذه الصبغة خافتة . ومع أنّ مثل هذا الهاجس ليس جديداً ،	١٤
فما تزال الدراسات المعاصرة في مجال استخراج المصطلحات	١٥
القديمة من مصادرها الأصلية ، وتتبع الكيفية التي تطورت بها	١٦
هذه المصطلحات ، وأخيراً ربطها بما يمكن أن تُربط به من	١٧
مصطلحات حديثة ، شحيحة ومحدودة .	١٨
ومن هذه الكلمات التي لم تلقَ من العناية ما تستحقه ،	١٩
كلمة «التوسع» أو «الاتساع» التي تحمل دلالة واضحة على	٢٠
الانفتاح والتجاوز والخروج من إسار المحدودية والانحصار ، إذ أن	٢١

- ١ «السعة : نقيض الضيق»^(١) ، لكن هذا من جهة الدلالة اللغوية
- ٢ المحضة ، فماذا عن الدلالة الاصطلاحية؟ كيف تعاملت
- ٣ الكتابات التراثية العربية مع هذه الكلمة؟ وما المجالات التي
- ٤ استعملتها فيها؟ وما الأبعاد التي منحتها إياها؟ هذه وما
- ٥ يشابهها هي الأسئلة التي ما تزال تنتظر من الدارسين
- ٦ المعاصرين إجابات وافية عنها .
- ٧ لقد أشار الدكتور شكري عياد^(٢) إشارة عجلى - فيما يقل
- ٨ عن ثلاث صفحات - إلى ورود مصطلح «التوسع في الكلام»
- ٩ لدى سيبويه وعبد القاهر الجرجاني والبلاغيين المتأخرين
- ١٠ كالكساكي والقزويني ، وقد بقيت كلمة «التوسع» عند هؤلاء -
- ١١ فيما يرى الدكتور عياد - تدور حول المجاز ، والاختصار ،
- ١٢ والحذف ، والإيجاز والإطناب والمساواة . كما تحدّث الدكتور
- ١٣ أحمد مطلوب^(٣) حديثاً مقتضباً - فيما يقل عن صفحة واحدة
- ١٤ - عن «التوسع» لدى كل من الجاحظ والزرکشي والسبكي ،
- ١٥ مكتفياً بنقل أقوال هؤلاء العلماء وشواهدهم من القرآن الكريم
- ١٦ والشعر ، دونما محاولة حقيقية منه لتحديد المصطلح وبلورته ،
- ١٧ بلّه تتبع تطوره تاريخياً ، وربطه بالمصطلحات الحديثة .
- ١٨ أما الدراسة الحالية فهي لا تزعم لنفسها أنها جاءت لتقول
- ١٩ كل ما يمكن قوله عن «التوسع» أو «الاتساع» ، فغاية ما ترمي
- ٢٠ إليه هو تتبع الكلمة لدى ناقلين عربيين قديمين هما : القاضي
- ٢١ الجرجاني (ت٣٩٢هـ) في «الوساطة بين المتنبى وخصومه» ،

- ١ وابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) في «المثل السائر في أدب الكاتب
- ٢ والشاعر»، لتحديد مدلولها لديهما ، ولتنتقل - بعد هذا - إلى
- ٣ محاولة ربط المدلول ، أو المدلولات ، بما يقابله ، أو يقابلها ، من
- ٤ مصطلحات الدراسة الأسلوبية الحديثة .
- ٥
- ٦ «التوسع» في «الوساطة»:
- ٧ ذُكر «التوسع» أو «الاتساع» في مواضع متعددة من
- ٨ «الوساطة» . ويهمني في البدء ، أن أتوقف ، من بين هذه
- ٩ المواضع المتعددة ، لدى موضع محدد ؛ نظراً لما أثاره هذا الموضع
- ١٠ من كلام سيأتي ذكره لاحقاً . هذا الموضع الذي أعنيه هو
- ١١ عندما تحدث القاضي الجرجاني عن أنَّ المعترضين على أبي
- ١٢ الطيب المتنبي أحد رجلين : «إما نحوي لغوي لا بصر له
- ١٣ بصناعة الشعر (. . .) أو معنوي مدقق لا علم له بالإعراب ،
- ١٤ ولا اتساع له في اللغة ، فهو ينكر الشيء الظاهر ، وينقم الأمر
- ١٥ البين»^(٤) .
- ١٦ فقد استعمل الجرجاني كلمة «الاتساع» ههنا ، وعندما
- ١٧ أخذ يعرض أمثلة على ما أنكره هؤلاء «المعنويون» واعترضوا
- ١٨ عليه ، ذكر إنكار بعضهم قول الشاعر : «فالغيث أبخل مَنْ
- ١٩ سعى» ، انطلاقاً من أنَّ «مَنْ لا تكون إلا لما يعقل ، وأفعل لا
- ٢٠ يجري إلا على البعض من تلك الجملة ، تقول : زيد أفضل من
- ٢١ الناس ؛ فلا بد أن يكون زيد من الناس»^(٥) . وقد رد الجرجاني

- ١ هذا الإنكار قائلاً: «وهذا الاعتراض يدل على تقصير شديد
- ٢ في العلم بكلام العرب؛ لأن العرب إذا وصفت الشيء بصفة
- ٣ غيره استعارت له ألفاظه، وأجرته في العبارة مجراه، وإن كان
- ٤ لو انفرد انفرد عنه بصفته وتميز دونه بعبارته؛ فمن ذلك قول
- ٥ الله تعالى: ﴿والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾^(٦) لما
- ٦ وصفهما بالسجود جمعهما بالياء والنون، ولا يُجمع بهما إلا
- ٧ جنس من يعقل... وكذلك قوله حاكياً عن السموات
- ٨ والأرض: ﴿قالتا أتينا طائعين﴾^(٧)، لما حكى عنهما النطق
- ٩ والقول والطاعة والائتمار أجرى الكلام على ذلك فقال:
- ١٠ «فقضاهن»، وعلى هذا قوله عزوجل: ﴿وكل في فلك
- ١١ يسبحون﴾^(٨)، وهو كثير^(٩).
- ١٢ لقد دعا كلام الجرجاني هنا الدكتور محمد مندور إلى أن
- ١٣ يقول: «وتلك الظاهرة التي لم يستطيع (كذا) هؤلاء المعنويون
- ١٤ فهمها والتي يشرحها هنا الجرجاني، هي المعروفة في علم
- ١٥ الأسلب (كذا) بالتشخيص Personification»^(١٠).
- ١٦ وجاء، بعد ذلك، أستاذنا الدكتور يوسف بكار ليربط بين
- ١٧ «التشخيص» الذي ذكره الدكتور مندور، و«الاتساع» الذي
- ١٨ ذكره الجرجاني، متوصلاً إلى نتيجة كبيرة هي أن «الاتساع» أو
- ١٩ «التوسع» لدى الجرجاني إنما هو «التشخيص»^(١١).
- ٢٠ ولا مرأى في أن الأمثلة التي نقلناها عن الجرجاني ههنا،
- ٢١ هي أمثلة يصدق عليها «التشخيص» بصورة جلية. لكن هذا

- ١ شيء ، والقول إنَّ هذا «التشخيص» هو المعنيُّ «بالاتساع» شيء
- ٢ آخر ، فهذا القول يصعب قبوله ؛ ذلك أنَّ الملاحظ أنَّ الجرجاني
- ٣ لم يقتصر ، في أمثله لما أنكره هؤلاء «المعنويون» الذين تحدث
- ٤ عنهم ، على الأمثلة التي تقدم نقلها ، بل أضاف إليها مثالين
- ٥ آخرين لا بد لنا من أخذهما بالحسبان فيما إذا أردنا فهم المدلول
- ٦ الدقيق «للاتساع» الذي تحدّث عنه . وهذان المثالان الآخران -
- ٧ اللذان لم ينقلهما أستاذنا الدكتور بكار - بعيدان كل البعد عن
- ٨ مفهوم «التشخيص» . فالمثال الأول هو بناء أفعال التفضيل من
- ٩ الألوان ، كقول المتنبي : «لأنت أسود في عيني من الظلم» ،
- ١٠ والمثال الآخر استعمال المتنبي الفعل «أثاب» - وليس «ثاب» ،
- ١١ كما هو شائع - في قوله : «أثاب بها معيي المطي ورازمه»^(١٢) .
- ١٢ ونحن إذا ضمنا هذين المثالين إلى الأمثلة السابقة ، فلن
- ١٣ يبقى لدينا شك في كون مفهوم «الاتساع» عند الجرجاني أوسع
- ١٤ من أن يُحصَر في «التشخيص» وحده . نعم ، «التشخيص»
- ١٥ مظهر من مظاهر «الاتساع» ، لكنه ليس المظهر الوحيد ، فقد برز
- ١٦ لنا من المثالين الأخيرين مظهران آخران هما : الخروج على
- ١٧ القاعدة النحوية ، والتوسع في الاستعمال اللغوي خارج الأطر
- ١٨ المعجمية المحددة .
- ١٩ وإذا ما كنا نسعى إلى الوقوف على كل أبعاد «التوسع» أو
- ٢٠ «الاتساع» في الوساطة ، فلا محيص عن استقراء كل الموارد
- ٢١ التي وردت فيها هاتان الكلمتان - أو الكلمات المشتركة معهما

- ١ في الجذر اللغوي - في الكتاب . وبالقيام بمثل هذا الاستقراء
- ٢ يتضح أن القاضي الجرجاني يستعمل «التوسع» قاصداً به
- ٣ معنى مقارباً لمعنى التجاوز والتخطي . وهذا قد يكون بلحاظ
- ٤ جانب المعنى ، كقوله مثلاً : «فأما الإفراط فمذهب عام في
- ٥ المحدثين ، وموجود كثير في الأوائل ، والناس فيه مختلفون ،
- ٦ فمستحسن قابل ، ومستقبح راد ، وله رسوم متى وقف الشاعر
- ٧ عندها ، ولم يتجاوز الوصف حدّها ، جمع بين القصد
- ٨ والاستيفاء ، وسلم من النقص والاعتداء ، فإذا تجاوزها اتسعت
- ٩ له الغاية . . .»^(١٣) . وقد يكون التجاوز بلحاظ جانب اللفظ ،
- ١٠ كقول المؤلف في سياق حديثه عن استعمال الشعراء الألفاظ
- ١١ الفارسية في أشعارهم : «فأما المحدثون فقد اتسعوا فيه حتى
- ١٢ جاوزوا الحد . . .»^(١٤) ، وكقوله في سياق حديثه عن استعمال
- ١٣ الشعراء الشواذ من الألفاظ في أشعارهم : «وهذا باب يتسع فيه
- ١٤ القول ، وتتشعب فيه الوجوه . . .»^(١٥) .
- ١٥ إنَّ هذا التجاوز الذي يشير «الاتساع» إليه ، لينقل ذهن
- ١٦ المرء إلى مصطلح آخر اعتمدت الدراسات الأسلوبية المعاصرة
- ١٧ عليه اعتماداً وثيقاً ، وهو «الانزياح» ، بمختلف التعبيرات التي
- ١٨ عبّر عنه بها ، إذ «الإزاحة - الانزياح - العدول - الانحراف -
- ١٩ الانتهاك - الخرق - التجاوز ، كلها مصطلحات قد تعني في
- ٢٠ الحقل الفني والأسلوبي كسر المؤلف وخرق قانون اللغة»^(١٦) .
- ٢١ وكم يبدو مغريباً القول : إنَّ القاضي الجرجاني لم يقصد

- ١ «بالتوسع» أو «الاتساع» سوى ما تقصده الدراسات الأسلوبية
- ٢ بالانزياح أو الانحراف! لكن الإنصاف يقتضينا أن نلاحظ ،
- ٣ ضمن موارد استعمال الجرجاني «للتوسع» ، مورداً قال فيه : «قد
- ٤ قال الفريقان ما حكيناه ، وقد كان لأبي الطيب في الصحيح
- ٥ مندوحة ، وفي المجتمع عليه متسع»^(١٧) . ففي هذا المورد ، وهو
- ٦ مورد وحيد فيما أزعم ، يجعل الجرجاني «الاتساع» في جهة
- ٧ الأمر المتعارف والمجتمع عليه ، أي في جهة «المعيار» أو
- ٨ «الأصل» ، وهذا ينفي تماماً أن يكون «الاتساع» هنا بمعنى
- ٩ الانزياح . لكن ما دام هذا المورد وحيداً ، فمن السهولة بمكان
- ١٠ إذن أن نعهده استثناءً . ومتى ما تمّ لنا ذلك ، فإنّ دلالة
- ١١ «الاتساع» على الانزياح ، فيما تبقى من موارد ، تظل سليمة
- ١٢ غير مدفوعة .
- ١٣
- ١٤ «التوسع» في «المثل السائر»:
- ١٥ على الرغم من كون ابن الأثير قد استعمل كلمة «التوسع»
- ١٦ بمعناها اللغوي المشير إلى التجاوز والتخطي في غير موضع من
- ١٧ كتابه ، كقوله مثلاً عن التجريد : «وقد تأملته فوجدت له
- ١٨ فائدتين : إحداهما أبلغ من الأخرى : فالأولى : طلب التوسع
- ١٩ في الكلام»^(١٨) ، وقد جعل للغة العربية مزية على غيرها من
- ٢٠ اللغات لما فيها من التوسعات الكثيرة^(١٩) ، فإنه كان أكثر
- ٢١ حرصاً من القاضي الجرجاني على الاقتراب بالكلمة من دلالة

- ١ اصطلاحية محددة ، تُكسبها صبغة علمية واضحة ، وإن لم
- ٢ تقطع صلتها ، بالطبع ، بمدلولها اللغوي الأصلي . وقد ظهر
- ٣ حرصه هذا عندما قسم المجاز في اللغة قسمين : توسع في
- ٤ الكلام ، وتشبيهه^(٢٠) . وأساس هذه القسمة لديه هو أن العدول
- ٥ عن الحقيقة إلى المجاز إما أن يكون لمشاركة بين المنقول والمنقول
- ٦ إليه في وصف من الأوصاف ، وإما أن يكون لغير مشاركة . فإن
- ٧ كان لمشاركة كان ذلك تشبيهاً ، وهو ينقسم بدوره إلى تشبيه تام
- ٨ واستعارة . وإن كان لغير مشاركة ، وهو محل اهتمامنا الآن ،
- ٩ فذلك هو «التوسع» .
- ١٠ وهكذا يكون «التوسع» أو «الاتساع» ، في نظر ابن الأثير ،
- ١١ هو العبور من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي لغير وُصلة أو
- ١٢ مناسبة^(٢١) ، أو «هو أن تُجرى صفة من الصفات على موصوف
- ١٣ ليس أهلاً لأن تُجرى عليه ؛ لُبعد ما بينه وبينها»^(٢٢) . وقد
- ١٤ مثل ابن الأثير «للتوسع» بمجموعة من الأمثلة^(٢٣) ، عدَّ التوسع
- ١٥ في بعضها قبيحاً ، وفي بعضها الآخر حسناً . فمن أمثلة
- ١٦ التوسع القبيح قول أبي نواس :
- ١٧ بُحَّ ص_____وتُ المال مما
- ١٨ منك يشكو ويص_____يح
- ١٩ وقول أبي تمام :
- ٢٠ وكم أحرزتُ منكم على قبح قدها
- ٢١ صروف النوى من مرهف حسن القدَّ

- ١ ومن أمثلة التوسع الحسن قوله تعالى : ﴿ثم استوى إلى
- ٢ السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً ، قالتا
- ٣ أتينا طائعين﴾ (٢٤) . وقد علّق ابن الأثير على هذه الآية بقوله :
٤ «فنسبة القول إلى السماء والأرض من باب التوسع ؛ لأنهما
- ٥ جماد ، والنطق إنما هو للإنسان لا للجماد ، ولا مشاركة ههنا
- ٦ بين المنقول والمنقول إليه» (٢٥) .
- ٧ لقد تباينت مواقف الباحثين المعاصرين أمام مصطلح
- ٨ «التوسع» كما تناوله ابن الأثير ، فبعضهم آثر السلامة ، فمرّ
- ٩ بالمصطلح مكتفياً بذكره ، دون أن يشرحه بكلمة واحدة ، ومن
- ١٠ هؤلاء الدكتور شوقي ضيف (٢٦) ، والدكتور يوسف أبو
- ١١ العدوس (٢٧) . وبعضهم حاول أن يربط هذا المصطلح ببعض
- ١٢ المصطلحات البلاغية التي تبلورت بعد ابن الأثير ، أو ببعض
- ١٣ المصطلحات النقدية والأسلوبية المعاصرة . فمن هؤلاء الشيخ
- ١٤ محمد محيي الدين عبد الحميد الذي صرّح بأنّ التوسع «هو
- ١٥ نوع من المجاز يسميه المتأخرون المجاز المرسل» (٢٨) ، ومنهم أيضاً
- ١٦ أستاذنا الدكتور يوسف بكار الذي ذهب ، مرة أخرى ، إلى أنّ
- ١٧ التوسع ههنا ليس سوى «التشخيص» ، وأنّ ابن الأثير كان
- ١٨ «أوعى من أدرك مفهوم التشخيص بعد عبد القاهر وتوسع
- ١٩ فيه» (٢٩) .
- ٢٠ فأما فيما يرتبط بما ذكره الشيخ عبد الحميد ، فصحيح أنّ
- ٢١ كثيراً من الأمثلة التي ذكرها ابن الأثير يمكن إدراجه تحت المجاز

- ١ المرسل ، لكن من المجازفة بمكان أن نعدّ التوسع مرادفًا دومًا لديه
- ٢ للمجاز المرسل كما عرفه المتأخرون ؛ ذلك أنّ ابن الأثير في
- ٣ سياق مناقشته الطويلة لأبي حامد الغزالي^(٣٠) ، توقف عند
- ٤ الأمثلة الآتية :
- ٥ - ﴿إني أراني أعصر خمراً﴾^(٣١) (تسمية العنب خمراً ،
- ٦ بلحاظ ما سيكون) .
- ٧ - وما العيش إلا نومة وتشرقّ * وتمر على رأس النخيل
- ٨ وماء (تسمية الرطب تمرًا ، بلحاظ ما سيكون) .
- ٩ - قولهم للآدمي : مضغة (بلحاظ ما كان) .
- ١٠ - تسمية الاعتقاد قولاً (بلحاظ اللازمية) .
- ١١ - قولهم للمطر : سماء (بلحاظ المحلية) .
- ١٢ - قولك لمن تبغضه : «أبعد الله وجهه عني» ، وإنما تريد
- ١٣ سائر جثته (بلحاظ الجزئية) .
- ١٤ وقد أدخل ابن الأثير هذه الأمثلة كلها - على تردّد منه في
- ١٥ خصوص المثال الخامس منها - في باب الاستعارة . وكان
- ١٦ ينبغي له - لو كان ما ذهب إليه الشيخ عبد الحميد صحيحًا -
- ١٧ أن يدخلها في باب «التوسع» ، لا الاستعارة ؛ لوضوح أنّ هذه
- ١٨ الأمثلة كلها داخلة تحت المجاز المرسل .
- ١٩ ثم إننا إذا تأملنا الأمثلة التي أوردها ابن الأثير للتوسع ،
- ٢٠ من منظور المصطلح البلاغي القديم ، لوجدنا أنّ من هذه الأمثلة
- ٢١ ما يصلح أن يكون داخلاً تحت الاستعارة المكنية^(٣٢) أو المجاز

- ١ العقلي ، كما في قوله تعالى : ﴿فما بكت عليهم السماء
- ٢ والأرض وما كانوا منظرين﴾^(٣٣) ، وكما في قول النبي (ﷺ)
- ٣ عن جبل أحد : «هذا جبلٌ يحبنا ونحبه»^(٣٤) . وهذا كله مما
- ٤ يدفع أن يكون مراد ابن الأثير من «التوسع» ما أراده البلاغيون
- ٥ المتأخرون من مصطلح «المجاز المرسل» .
- ٦ وأما ما ذكره أستاذنا الدكتور يوسف بكار من ربط
- ٧ «التوسع» لدى ابن الأثير «بالتشخيص» فلا خلاف في أن
- ٨ «التشخيص» واضح في معظم الأمثلة التي ساقها ابن الأثير ،
- ٩ ولكن ينبغي ، مع هذا ، أن نتوقف بعض الشيء في ربط دلالة
- ١٠ أحد المصطلحين بدلالة الآخر ؛ وذلك لما يأتي :
- ١١ فأولاً : ذكر ابن الأثير^(٣٥) ، في سياق مناقشته للغزالي
- ١٢ أيضاً ، أن قول العرب للمزادة : «راوية» إنما هو من باب
- ١٣ «التوسع» ؛ لأن الراوية في الحقيقة هي الجمل الذي يحمل
- ١٤ المزادة . ومن الواضح أن هذا المثال لا مكان للتشخيص فيه ،
- ١٥ لكن هذا لم يمنع ابن الأثير من أن يعدّه من «التوسع» .
- ١٦ وثانياً : مع أن ابن الأثير قد جعل التوسع قسيماً للتشبيه ،
- ١٧ وجعل الاثنين قسمين للمجاز ، إلا أنه لم ينف حصول التوسع
- ١٨ عند وجود التشبيه أيضاً ، غاية الأمر أن التوسع في حالة وجود
- ١٩ التشبيه غير مقصود لذاته ، أو أنه ، على حد تعبيره ، قد «جاء
- ٢٠ ضمناً وتبعاً»^(٣٦) . وكونُ التوسع متحققاً في حالة التشبيه يُبعد
- ٢١ أن يكون المراد بالتوسع التشخيص ؛ وذلك لأن التشخيص لا

- ١ يجتمع عادةً مع التشبيه ، إذ أن التشخيص إنما يتحقق ، عادة ،
- ٢ فيما إذا كان المشبه به محذوفاً ، وكانت بعض صفاته البشرية
- ٣ منسوبة إلى المشبه غير البشري . وبعبارة أخرى ، فالتشخيص
- ٤ إنما يجامع الاستعارة المكنية أو المجاز العقلي ، بالتعبيرات
- ٥ البلاغية القديمة ، ولا يجامع التشبيه .
- ٦ ومهما كان الأمر ، فليس كل تشبيه تشخيصاً ، بينما يلوح
- ٧ من عبارة ابن الأثير التي تقدمت الإشارة إليها أخيراً أن كل
- ٨ تشبيه توسع ، غاية ما هناك أن هذا التوسع تبعيّ .
- ٩ وأخيراً : يؤكد ابن الأثير ، في غير موضع من كتابه ، أن
- ١٠ الاتساع لا يكون إلا عندما تنعدم تماماً المناسبة بين المنقول
- ١١ والمنقول إليه ، «إذ لو كان مناسبة لما كان ذلك اتساعاً ، وإنما كان
- ١٢ ضرباً من القياس في حمل الشيء على ما يناسبه ويشاكله ،
- ١٣ وحينئذ يكون ذلك تشبيهاً أو استعارة^(٣٧) . وهذا الإلغاء
- ١٤ للمناسبة هو مما يباعد أيضاً بين الاتساع والتشخيص ؛ ذلك أن
- ١٥ التشخيص لم يلجأ إليه الشعراء ، ولا سيما الرومانسيون منهم ،
- ١٦ إلا لأنهم «كانوا يتخيلون الطبيعة كلها ، في جبالها ، وحقولها ،
- ١٧ وأشجارها ، وصخورها ، كائنات تشاركهم مشاعرهم القلبية ،
- ١٨ فتحزن لحزنهم ، وتفرح لفرحهم»^(٣٨) . فالشعراء ، إذن ، إنما عنوا
- ١٩ بالتشخيص لأنهم كانوا يرون وجود أوثق «المناسبة» بينهم وبين
- ٢٠ كل موجودات الطبيعة التي ألبسوها ثياب البشر ، وهذا يتنافى
- ٢١ تماماً مع ما اشترطه ابن الأثير في الاتساع .

- ١ لكن كل هذا الكلام المتقدم لا يعني أن الصلة معدومة
- ٢ تمامًا بين اتساع ابن الأثير وما طرحه الدراسات الأسلوبية
- ٣ المعاصرة من قضايا ومفاهيم ، ففي وسع المرء أن يربط هذا
- ٤ الاتساع بنوع من الانزياح الإسنادي ، تحدث عنه جان كوهن
- ٥ وسمّاه «المنافرة Impertinence»^(٣٩) . وخلاصة ما ذكره كوهن
- ٦ في المقام : ثمة قانون عام يتعلق بتأليف الكلمات في جمل ،
- ٧ وهو القانون القائل بضرورة أن يكون المسند ملائمًا للمسند إليه
- ٨ في كل جملة إسنادية . فإذا ما وجدنا في جملة ما أن المسند
- ٩ غير ملائم للمسند إليه ، كما في الجملة الآتية : «الإنسان ذئب
- ١٠ لأخيه الإنسان» ، فإن هذا يعني وجود «منافرة» بين طرفي هذه
- ١١ الجملة ، فيما إذا فهمناهما على ظاهرهما . لكن هذه المنافرة
- ١٢ ستنتفي إذا أحوّلنا المعنى الأول للمسند (ذئب) على معنى ثان
- ١٣ (شريد) ، ليكون معنى الجملة بالنتيجة : «الإنسان شريد» ، وهو
- ١٤ معنى سليم من المنافرة التي كنا نجدها سابقاً .
- ١٥ نحن ، إذن ، أمام مستويين مختلفين : أولهما مستوى
- ١٦ سياقي ، وفيه لحظنا وجود الانزياح / المنافرة بين المسند والمسند
- ١٧ إليه في الجملة ، والآخر مستوى استبدالي ، وفيه قمنا بنفي
- ١٨ هذا الانزياح من خلال لجوئنا إلى تغيير دلالة كلمة «ذئب» من
- ١٩ دلالتها الأولى إلى دلالة أخرى ، «ونحن بهذا التغيير ننتج
- ٢٠ أنواعًا مختلفة من المجازات : إذا كانت العلاقة هي المشابهة
- ٢١ نكون بصدد الاستعارة ، وإذا كانت العلاقة هي المجاورة نكون

- ١ بصدد الكناية ، وإذا كانت العلاقة هي الجزئية والكلية نكون
- ٢ بصدد المجاز المرسل»^(٤٠) . وهكذا يكون كوهن قد جعل لهذا
- ٣ النوع من الانزياح معنى واسعاً يشمل صنوف المجاز كلها ، وما
- ٤ دام «التوسع» لدى ابن الأثير هو نوع من أنواع المجاز ، فلن يكون
- ٥ من المغالاة إذن أن نربطه بهذا الانزياح الذي تحدث كوهن عنه .
- ٦ ومن الواضح أنّ «المعيار» أو «الأصل» الذي كان
- ٧ «التوسع» ، لدى ابن الأثير ، انزياحاً عنه إنما هو الحقيقة ؛ لأن
- ٨ التوسع انتقال عن المعنى الحقيقي دونما مناسبة . لكن الأمر
- ٩ عند كوهن مختلف ، إذ أن المعيار لديه ، في كل أنواع الانزياح
- ١٠ التي تناولها في كتابه ، يتمثل في لغة النثر العلمي^(٤١) . وهذه
- ١١ المسألة قد كثر حولها الخلاف بين الأسلوبيين وتباينت فيها
- ١٢ آراؤهم ، «فالأسلوبيون قبل ريفاتار يذهبون إلى أن هذا النمط
- ١٣ العادي يحدده الاستعمال ، غير أن مفهوم الاستعمال نفسه
- ١٤ نسبي ولا يمكن الدارس من مقياس موضوعي صحيح ، ويقترح
- ١٥ ريفاتار تعويض مفهوم الاستعمال بما يسميه السياق الأسلوبي ،
- ١٦ فيكون مفهوم النمط العادي مرتبطاً بهيكل النص المدرس .
- ١٧ معنى ذلك أن بنية النص من حيث العبارات والصيغ تُبرز هي
- ١٨ نفسها مستويين اثنين : أحدهما يمثل النسيج الطبيعي وثانيهما
- ١٩ يزدوج معه ويمثل مقدار الخروج عن حدّه»^(٤٢) . وقد اقترح
- ٢٠ الدكتور شكري عياد معياراً آخر لا يخلو من طرافة ، وهو المتمثل
- ٢١ في «صورة ذهنية مجردة ، خالية من آثار اللهجات والأعراف

- ١ اللغوية المختلفة . هي ، إن شئت ، اللغة التي يمكن أن يتكلمها
- ٢ شخصان متعلمان من قطرين عربيين متباعدين إذا التقيا للمرة
- ٣ الأولى» (٤٣) .
- ٤ بقي أن يُشار إلى أن ابن الأثير لم يُجهد نفسه في تتبع
- ٥ الفائدة المترتبة على «التوسع» ، أو ملاحقة أثره الجمالي في
- ٦ الكلام ، فقد اكتفى بعده مطلوباً في حد ذاته ، قائلاً : «وأما
- ٧ القسم الذي يكون العدول فيه عن الحقيقة إلى المجاز لغير
- ٨ مشاركة بين المنقول والمنقول إليه فذلك لا يكون إلا لطلب
- ٩ التوسع في الكلام ، وهو سبب صالح ؛ إذ التوسع في الكلام
- ١٠ مطلوب» (٤٤) .
- ١١ لكن الدراسات الأسلوبية المعاصرة لم تكتفِ بمثل هذا
- ١٢ الكلام في تعاملها مع الانزياح ، فقد حاولت ملاحقة وظيفته
- ١٣ وأثره الجمالي بنحو أكثر دقة ، ويُلاحظ هنا «أن الوظيفة
- ١٤ الرئيسية التي أكثرت الدراسات الأسلوبية من نسبتها إلى
- ١٥ الانزياح ، إنما هي المفاجأة» (٤٥) .
- ١٦ فخرج الكاتب على معيار الكلام العادي ، أيّ ما كان هذا
- ١٧ المعيار ، يفاجئ القارئ ، ويملؤه حماسة لمواصلة القراءة ، ومن
- ١٨ هنا كان «الانحراف في الأدب المكتوب أظهر منه في الأدب
- ١٩ الشفوي بوجه عام ؛ لأن الانحراف في الأدب المكتوب هو
- ٢٠ الوسيلة الوحيدة لجذب انتباه القارئ ، أما في الأدب الشفوي
- ٢١ فهو وسيلة واحدة بين وسائل عدة» (٤٦) .

- ١ وقد أفادت الدراسات الأسلوبية المعاصرة في نظرتها إلى
- ٢ فائدة المفاجأة ، من النتائج التي توصلت إليها «نظرية الإعلام» .
- ٣ وكان من هذه النتائج «أن نسبة الإعلام تقل بقدر ما تزداد
- ٤ نسبة التوقع ، فإذا كانت نسبة التوقع لوحدة من وحدات
- ٥ الرسالة عالية ، فإن قيمتها تقترب من درجة الصفر ، ومن ثم
- ٦ فإنها تدخل دائرة الحشو ، وعكس ذلك صحيح»^(٤٧) ، ومن هنا
- ٧ جاء تأكيد ريفاتير أنّ «العناصر التي لا يجوز أن تفوت الانتباه
- ٨ يجب أن تكون غير متوقعة»^(٤٨) .
- ٩ ترى ، أكان ابن الأثير سيرضى بمثل هذه المقولات لو أنها
- ١٠ قيلت في زمنه ، أم أنه كان سيردّ عليها ، كما ردّ على
- ١١ الزمخشري ، قائلاً : «وليس الأمر كما ذكره ؛ لأن الانتقال في
- ١٢ الكلام من أسلوب إلى أسلوب إذا لم يكن إلا تطرية لنشاط
- ١٣ السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه ، فإن ذلك دليل على أن السامع
- ١٤ يملّ من أسلوب واحد فينتقل إلى غيره ليجد نشاطاً للاستماع ،
- ١٥ وهذا قدح في الكلام ، لا وصف له ؛ لأنه لو كان حسناً لما
- ١٦ مَلَّ . . .»^(٤٩) ؟
- ١٧
- ١٨
- ١٩
- ٢٠
- ٢١

الهوامش

- ١
- ٢
- ٣-١- ابن منظور: لسان العرب، مادة «وسع».
- ٤-٢- شكري عياد: اللغة والإبداع، ص ١١١-١١٣.
- ٥-٣- أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص ٤٣٨.
- ٦-٤- القاضي الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص ٤٣٤-٤٣٩.
- ٧-٥- المصدر نفسه، ص ٤٣٩.
- ٨-٦- سورة يوسف، الآية ٤.
- ٩-٧- سورة فصلت، الآية ١١.
- ١٠-٨- سورة يس، الآية ٤٠.
- ١١-٩- الوساطة، ص ٤٣٩.
- ١٢-١٠- محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، ص ٣٠٣. ويُعرّف «التشخيص» بأنه: «نسبة صفات البشر إلى أفكار مجردة أو إلى أشياء لا تتصف بالحياة»
- ١٣- مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص ١٠٢).
- ١٤-١١- يوسف بكار: قضايا في النقد والشعر، ص ٤٢-٤٣.
- ١٦-١٢- الوساطة، ص ٤٣٩ - ٤٤٠.
- ١٧-١٣- المصدر نفسه، ص ٤٢٠. ولاحظ كذلك ص ٦٢ و٧٤ و٩٩ و٤٢٨ و٤٤٣ و٤٣٢.
- ١٨-١٤- المصدر نفسه، ص ٤٦٢.
- ٢٠-١٥- المصدر نفسه، ص ٤٥٣. وراجع أيضاً ص ٤٤٣ و٤٥٠.
- ٢١-١٦- وسيم حجازي: «الإزاحة ولغة التواصل الإعلامي»، الفكر العربي،

- ١ العدد ٨٩، صيف ١٩٩٧م، ص ١٤٨ .
- ٢ ١٧- الوساطة، ص ٤٤٦ .
- ٣ ١٨- ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج ١، ص ٤٠٥ . ولاحظ
- ٤ أيضاً استعماله لكلمة «التوسع» في: ج ١ ص ٤٠٦ وج ٢ ص ٦ و ١١ و ٦١ و ٩٣ .
- ٥ ١٩- المصدر نفسه، ج ١، ص ٨٥ .
- ٦ ٢٠- المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٤٣ .
- ٧ ٢١- المصدر نفسه، ج ١، ص ٧٤ .
- ٨ ٢٢- المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٥٤ .
- ٩ ٢٣- المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٤٨-٣٥٠ .
- ١٠ ٢٤- سورة فصلت، الآية ١١ .
- ١١ ٢٥- المثل السائر، ج ١، ص ٣٥٠ .
- ١٢ ٢٦- في كتابه: البلاغة تطور وتاريخ، ص ٣٢٩ .
- ١٣ ٢٧- في كتابه: المجاز المرسل والكناية، ص ٣٧ .
- ١٤ ٢٨- في الحاشية (٢) من تعليقه على «المثل السائر»، ج ١، ص ٣٥٤ .
- ١٥ ٢٩- يوسف بكار: قضايا في النقد والشعر، ص ٤١ .
- ١٦ ٣٠- المثل السائر، ج ١، ص ٣٥٤-٣٥٩ .
- ١٧ ٣١- سورة يوسف، الآية ٣٦ .
- ١٨ ٣٢- مصطلح «الاستعارة» عند ابن الأثير لا يتناول سوى الاستعارة التصريحية
- ١٩ (راجع المثل السائر، ج ١، ص ٣٥١)، ولذا لا يكون ثمة اعتراض عليه إذا كان
- ٢٠ بعض أمثلة «التوسع» من الاستعارة المكنية .
- ٢١ ٣٣- سورة الدخان، الآية ٢٩ .
- ٢٢ ٣٤- المثل السائر، ج ١، ص ٣٥٠ .

- ١ - ٣٥- المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٥٦ .
- ٢ - ٣٦- المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٤٣ .
- ٣ - ٣٧- المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٥٤ .
- ٤ - ٣٨- جبور عبد النور : المعجم الأدبي ، ص ٦٧ .
- ٥ - ٣٩- جان كوهن : بنية اللغة الشعرية ، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري ، ص ١٠١-١١١ . وتجدر الإشارة هنا إلى أن «المنافرة» هي من المصطلحات التي
- ٦ - استعملها ابن الأثير أيضاً ، قاصداً بها «أن يُذكر لفظ أو ألفاظ يكون غيرها مما هو
- ٧ - في معناها أولى بالذكر» (المثل السائر ، ج ١ ، ص ٢٩٦-٣٠٠) .
- ٨ - ٤٠- المرجع نفسه ، ص ١٠٩ .
- ٩ - ٤١- المرجع نفسه ، ص ١١٦ .
- ١٠ - ٤٢- عبد السلام المسدي : الأسلوبية والأسلوب ، ص ١٠٤ .
- ١١ - ٤٣- شكري عياد : اللغة والإبداع ، ص ٨٦ .
- ١٢ - ٤٤- المثل السائر ، ج ١ ، ص ٣٤٨ .
- ١٣ - ٤٥- أحمد ويس : «وظيفة الانزياح في منظور الدراسات الأسلوبية» ، علامات ،
- ١٤ - سبتمبر ، ١٩٩٦م ، ص ٢٩٧ .
- ١٥ - ٤٦- شكري عياد : اللغة والإبداع ، ص ٨١ .
- ١٦ - ٤٧- أحمد ويس : «وظيفة الانزياح» ، ص ٢٩٩ .
- ١٧ - ٤٨- ريفاتير : «معايير لتحليل الأسلوب» ، ضمن كتاب شكري عياد : اتجاهات
- ١٨ - البحث الأسلوبي ، ص ١٢٩ .
- ١٩ - ٤٩- المثل السائر ، ج ١ ، ص ٣-٤ .
- ٢٠
- ٢١

المصادر والمراجع	
	١
	٢
١- ابن الأثير ، ضياء الدين نصر الله : المثل السائر في أدب	٣
الكاتب والشاعر ، بتحقيق محمد محيي الدين عبد	٤
الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٩٠م .	٥
٢- بكار ، يوسف : قضايا في النقد والشعر ، دار الأندلس ،	٦
بيروت ، ١٩٨٤م .	٧
٣- الجرجاني ، علي بن عبد العزيز : الوساطة بين المتنبي	٨
وخصومه ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي	٩
البجاوي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، د.ت .	١٠
٤- حجازي ، وسيم : «الإزاحة ولغة التواصل الإعلامي» ،	١١
الفكر العربي ، العدد ٨٩ ، صيف ١٩٩٧م .	١٢
٥- ضيف ، شوقي : البلاغة تطور وتاريخ ، ط ٣ ، دار المعارف ،	١٣
القاهرة ، ١٩٧٦م .	١٤
٦- عبد النور ، جبور : المعجم الأدبي ، ط ٢ ، دار العلم	١٥
للملايين ، بيروت ، ١٩٨٤م .	١٦
٧- أبو العدوس ، يوسف : المجاز المرسل والكناية ، الأهلية للنشر	١٧
والتوزيع ، عمان ، ١٩٩٨م .	١٨
٨- عياد ، شكري محمد : اتجاهات البحث الأسلوبي ، دار	١٩
العلوم ، الرياض ، ١٩٨٥م .	٢٠
	٢١

- ١ ٩- عياد ، شكري محمد : اللغة والإبداع ، انترناشونال برس ،
القاهرة ، ١٩٨٨ م . ٢
- ٣ ١٠- كوهن ، جان : بنية اللغة الشعرية ، ترجمة محمد الولي
ومحمد العمري ، دار توبقال ، المغرب ، ١٩٨٦ م . ٤
- ٥ ١١- المسدي ، عبد السلام : الأسلوبية والأسلوب ، ط٤ ، دار
سعاد الصباح ، القاهرة ، ١٩٩٣ م . ٦
- ٧ ١٢- مطلوب ، أحمد : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ،
ط٢ ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ١٩٩٦ م . ٨
- ٩ ١٣- مندور ، محمد : النقد المنهجي عند العرب ، دار نهضة
مصر ، القاهرة ، د . ت . ١٠
- ١١ ١٤- ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ودار بيروت ،
بيروت ، ١٩٦٨ م . ١٢
- ١٣ ١٥- وهبة ، مجدي وكامل المهندس : معجم المصطلحات
العربية في اللغة والأدب ، ط٢ ، مكتبة لبنان ، بيروت ،
١٩٨٤ م . ١٥
- ١٦ ١٦- ويس ، أحمد محمد : «وظيفة الانزياح في منظور
الدراسات الأسلوبية» ، علامات في النقد ، الجزء الحادي
والعشرون ، المجلد السادس ، سبتمبر ١٩٩٦ م . ١٨
- ١٩
٢٠
٢١

1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21

	١
	٢
«النص» في «أسرار البلاغة» للجرجاني	٣
	٤
تمهيد:	٥
تُعد قضية كيفية التعامل مع النص الأدبي واحدةً من	٦
القضايا الأساسية الدخيلة في قيمة أي منهج من المناهج	٧
النقدية ؛ ذلك أن هذه المناهج - مهما تفاوتت وتباينت فيما	٨
بينها - إنما يعود اختلافها بالدرجة الأولى إلى مدى تركيزها	٩
على كل عنصر من العناصر الثلاثة الرئيسة المكوّنة لأي إبداع	١٠
أدبي ، وهي : المؤلف والنص والمتلقي . ولما كان النص واحداً	١١
من هذه العناصر الثلاثة ، فمن البدهي إذن أن تحدد طبيعة	١٢
تعامل أي منهج معه أهمّ سمات هذا المنهج وأبرز خصائصه .	١٣
وهذا يفضي ، بالنتيجة ، إلى تحديد قيمة المنهج ومدى فاعليته	١٤
وصلاحيته .	١٥
وإذا كان صحيحاً أنّ «النص كان له النصيب الأوفى من	١٦
عناية النقاد في معظم العصور» ^(١) ، فإنّ من حق نقادنا القداماء	١٧
علينا ، ومن حق كتاباتهم علينا ، أن نعود إلى هذه الكتابات	١٨
لندرس مدى عنايتها بالنص ، وكيفية تعاملها معه ؛ لنخلص	١٩
من هذا إلى تعرّف أهم سمات مناهج نقادنا المتقدمين ، وقيمة	٢٠
هذه المناهج . ومن الضروري أن يقوم مثل هذا الجهد على أساسٍ	٢١

- ١ من قراءة متأنية خاصة لكل كتاب من كتب تراثنا النقدي
- ٢ العربي على حدة؛ حتى تبقى العلامات الفارقة بين كل كتاب
- ٣ وكتاب واضحة في أذهاننا، وحتى لا ننجر وراء التعميمات
- ٤ المجافية لروح العلم والبحث العلمي في أحكامنا .
- ٥ والدراسة الحالية محاولة متواضعة لتتبع تجليات النص
- ٦ ومنهج التعامل معه في كتاب قيل عنه إنه «ربما كان أدق كتاب
- ٧ باللغة العربية في الحديث عن ضروب البيان، وفيه من
- ٨ التفسيرات الجمالية ما يدل على ذوق نقدي أصيل»^(٢). إنه
- ٩ كتاب «أسرار البلاغة» للشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ
- ١٠ أو ٤٧٤هـ). والكتاب ومؤلفه علّمان بارزان لا يكاد يجهلها
- ١١ أحد، وقد كتبت عنهما الكثير قديماً وحديثاً؛ ولذا تضرب هذه
- ١٢ الدراسة صفحاً عن إعادة التعريف بهما، وتنتقل إلى الحديث
- ١٣ عمّا يهمها من حضور «النص» في الكتاب، وذلك من خلال
- ١٤ النقاط الآتية:
- ١٥
- ١٦ مفهوم «النص» في «أسرار البلاغة»:
- ١٧ يرد ذكر كلمة «النص» في موضعين فقط من «أسرار
- ١٨ البلاغة»: أولهما قول المؤلف: «... إلا أنه لم يضع علة
- ١٩ ومعلولاً من طريق النص على شيء»^(٣)، والموضع الآخر قوله:
- ٢٠ «وأنت ترى في نص القرآن ما جرى فيه اللفظ على إضافة فعل
- ٢١ الهلاك إلى الريح مع استحالة أن تكون فاعلة»^(٤). ومن الواضح

- ١ أن المؤلف يستخدم كلمة «النص» ، في كلا الوضعين ، بمعناها
- ٢ الشائع في كل كتبنا التراثية ، ولاسيما التفاسير وكتب أصول
- ٣ الفقه ، أي بمعنى : ما كانت دلالته قطعية لا تقبل أي احتمال
- ٤ للخلاف . ومن الواضح أيضاً أن هذا المعنى التراثي ليس هو
- ٥ المعنى الذي تقصده الدراسات الحديثة بالكلمة . فكلمة
- ٦ «النص» تشير في الدراسات الأدبية الحديثة إلى معنى أوسع
- ٧ بكثير ، وهو عبارة عن «كلام مكتوب أو مطبوع»^(٥) . وبهذا
- ٨ المعنى المتسع الأكناف ، تشمل كلمة «النص» كل ما أورده عبد
- ٩ القاهر الجرجاني في كتابه من كلام غيره ، بل من كلامه هو
- ١٠ أيضاً ، ولكننا هنا سنقتصر على كلام غيره ؛ لأن القصد من
- ١١ هذه الدراسة إنما هو تتبع كيفية تناول الجرجاني نصوصاً
- ١٢ الآخرين ودراستها . فما أنواع النصوص التي يتناولها الجرجاني
- ١٣ في «أسرار البلاغة»؟
- ١٤ من الواضح ، والمتوقع أيضاً ، أن النصوص الشعرية تشكّل
- ١٥ القسم الأكبر من النصوص التي يتم الاستشهاد أو التمثيل بها
- ١٦ في «أسرار البلاغة» ، فلا يخلو مطلب من مطالب الكتاب من
- ١٧ شيء من الشواهد الشعرية . وفي المرتبة الثانية ، من جهة
- ١٨ الكثرة ، تأتي آيات القرآن الكريم^(٦) والأحاديث النبوية
- ١٩ الشريفة^(٧) . وهناك أيضاً كلمات لبعض السلف الصالح^(٨) ،
- ٢٠ وعبارات من بعض كتابات الكتاب المعروفين^(٩) ، وبعض
- ٢١ الخطب^(١٠) .

- ١ وإذا ما توقفنا قليلاً عند النصوص الشعرية التي تضمنها
- ٢ الكتاب محاولين تصنيفها زمنياً ، فسلاحظ أن للشعر العباسي
- ٣ نصيب الأسد من هذه النصوص . وفي هذا يقول بعض
- ٤ الباحثين : « . . . يستشهد في كتابه «أسرار البلاغة» بمجموعة
- ٥ من الشعراء على رأسهم ابن المعتز ، يليه البحتري ، ثم المتنبي ،
- ٦ وأبو تمام وأبو نواس . ولم يستشهد بأي شاعر جاهلي أو من
- ٧ صدر الإسلام»^(١١) . وهذه العبارة جمعت بين الباطل والحق
- ٨ معاً : فالباطل هو نفيها وجود استشهاد في «أسرار البلاغة»
- ٩ بشعر أي شاعر جاهلي أو من صدر الإسلام ، إذ ما نقول عن
- ١٠ شعراء مثل : أوس بن حجر^(١٢) ولبيد بن ربيعة^(١٣) وزهير بن
- ١١ أبي سلمى^(١٤) والنابغة^(١٥) وامرئ القيس^(١٦) وعنترة^(١٧)
- ١٢ والخنساء^(١٨) وهم جميعاً قد جرى الاستشهاد بشعرهم؟
- ١٣ والحق في العبارة المذكورة هو غلبة شعر الشعراء العباسيين
- ١٤ المذكورين على شعر غيرهم ، من جهة كثرة الاستشهاد به في
- ١٥ الكتاب . لكن ، ما مدلول هذا «الحق» بنحو الدقة؟ هل أن إكثار
- ١٦ عبد القاهر من الاستشهاد بالشعر العباسي المتأخر زماناً ، يعني
- ١٧ أنه كان منحازاً إلى الشعر المحدث ، مؤثراً له على الشعر القديم؟
- ١٨ إننا إذا رجعنا إلى الكتاب نفسه ، وجدنا عبد القاهر يُثني
- ١٩ فيه على كلام المتقدمين بقوله :
- ٢٠ « . . . ولهذا الحالة كان كلام المتقدمين الذين تركوا فضل
- ٢١ العناية بالسجع ، ولزموا سجية الطبع ، أمكن في العقول ، وأبعد

- ١ من القلق ، وأوضح للمراد ، وأفضل عند ذوي
- ٢ التحصيل . . .»^(١٩) ، ويقوله : «ولست تجد هذا الضرب يكثر
- ٣ في شيء ويستمر ، كثرته واستمراره في كلام القدماء»^(٢٠) .
- ٤ ولكننا نجده ، إلى جانب ذلك ، يثني على كلام المتأخرين
- ٥ أيضاً ، كما في قوله : «وقد اتفق للمتأخرين من المحدثين في
- ٦ هذا الفن نكت ولطف وبدع وظرائف لا يستكثر لها الكثير من
- ٧ الثناء ، ولا يضيق مكانها من الفضل عن سعة الإطراء»^(٢١) .
- ٨ ونجد عبد القاهر ينهال ذمًا على شاعر محدث ، كأبي تمام ،
- ٩ في مواضع متعددة من كتابه^(٢٢) ، غير أننا نجده أيضاً يمدح
- ١٠ شاعراً محدثاً آخر هو البحثري^(٢٣) . بل إنَّ عبد القاهر لا يتوانى
- ١١ عن الاستشهاد بما يروقه من شعر أبي تمام نفسه ، في مواضع
- ١٢ مختلفة من كتابه^(٢٤) .
- ١٣ والنتيجة المتحصلة من هذا كله هي أن عبد القاهر لا يقيم
- ١٤ مدحه وذمه على أساس التقدم أو التأخر من الناحية الزمنية .
- ١٥ فالقيمة عنده ، كل القيمة ، هي للإبداع ودرجته ، وليس من
- ١٦ همّه بعد هذا أن يكون المبدع متقدماً أو متأخراً ؛ ولهذا كان
- ١٧ ثناؤه أو ذمّه يُقرن دوماً - أو في معظم الأحيان - ببيان علّة هذا
- ١٨ الذم أو ذاك الثناء من داخل النص نفسه . وبذا يكون عبد
- ١٩ القاهر ، كابن قتيبة من قبل ، قد رفع نفسه عن مستوى
- ٢٠ التعصب لنتائج حقبة زمانية معينة لمجرد كون تلك الحقبة
- ٢١ متقدمة أو متأخرة . وهذا ، في حد ذاته ، يكشف عن حسّ

- ١ نقدي مرهف ونظر ثاقب حصيف إلى طبائع الأمور والأشياء .
- ٢ وعلى هذا الأساس ، لا ينبغي لنا أن نفهم من إكثار
- ٣ الجرجاني الاستشهاد بشعر شعراء عباسيين محددين أنه كان
- ٤ متعصباً للشعر المحدث . فالمسألة ، كل المسألة ، هي أنه كان
- ٥ يؤلف كتاباً في «علم البيان» ، وليس في روائع الشعر العربي .
- ٦ ومن المعلوم في تاريخ الأدب العربي أن العصر العباسي قد
- ٧ شهد مولد شعراء ، كأبي تمام وابن المعتز وأبي نواس ، تفننوا في
- ٨ رسم الصور البيانية الفريدة وكلفوا بها ، وطبيعي بعد هذا أن
- ٩ يجد عبد القاهر معظم مراده من الأمثلة والشواهد لديهم .
- ١٠

١١ منهج الكتاب في التعامل مع النصوص:

- ١٢ ذهب دارسو «أسرار البلاغة» مذاهب متعددة في
- ١٣ محاولتهم تحديد المنهج فيه : فمنهم من ذهب إلى أن المنهج
- ١٤ «علمي» جعلت فيه علوم البلاغة من قبيل العلوم الطبيعية
- ١٥ كعلم النفس وعلم الأخلاق وعلم الفلسفة العقلية ، لا مجرد
- ١٦ مواضع واصطلاحات^(٢٥) . ومنهم من ذهب إلى أن المنهج
- ١٧ «فقهّي» - يقصد منهج فقه اللغة - واصفاً إياه بأنه «يبتدئ
- ١٨ بالنظر اللغوي لينتهي إلى الذوق الأدبي الذي هو لا شك
- ١٩ متحكم في كل ما يمتّ إلى الأدب بصلة^(٢٦) . ومنهم من ذهب
- ٢٠ إلى أن دراسات الجرجاني «لها صلة بفلسفة الجمال في النقد
- ٢١ الحديث^(٢٧) . وهناك من رأى أن منهج الجرجاني في

- ١ «الأسرار» هو «المنهج اللغوي» الذي «يشق أحكامه من طبيعة
- ٢ العلاقات التي تتولد من دلالات الصياغة اللغوية وفاعلياتها
- ٣ الخاصة»^(٢٨). كما أن هناك من ذكر أن المنهج «تحليلي»^(٢٩) ،
- ٤ ومن ذكر أن المنهج «عقلاني جمالي»^(٣٠) . . . إلى غير ذلك
- ٥ من آراء .
- ٦ أمام كل هذه الآراء ، لابد لنا أن نتوقف عند مجموعة من
- ٧ الملاحظات : فالملاحظة الأولى هي أن هذه الآراء إنما توصل
- ٨ إليها أصحابها من طريق دراسة منهج الجرجاني في كل ما
- ٩ أورده في كتابه من عرض للأفكار المرتبطة بالبلاغة وشرح لها
- ١٠ وكيفية إقامة الدليل عليها ، إضافةً إلى تحليل النصوص التي
- ١١ يجري التمثيل أو الاستشهاد بها . وبمعنى آخر فإن هذه الآراء
- ١٢ لم تتبلور لدى أصحابها من ملاحظة كيفية تعامل الكتاب مع
- ١٣ النصوص وحدها ، بل من ملاحظة جوانب كثيرة يُعد الجانب
- ١٤ النصّيّ أحدها . وما دامت الدراسة الحالية تريد أن تقصر نظرها
- ١٥ على هذا الجانب الأخير وحده ، فإنّ هذا يحوجها إلى استئناف
- ١٦ النظر من جديد في المنهج المتبع في الكتاب . وهذه الحاجة لا
- ١٧ تنطلق من منطلق إنكار جهود أصحاب الآراء المتقدمة أو
- ١٨ التقليل من أهميتها ، بل من منطلق الحرص على الحصول على
- ١٩ رؤية خاصة منبثقة من الجانب الخاص الذي اختارته الدراسة
- ٢٠ الحالية محوراً لها .
- ٢١ والملاحظة الثانية هي أنّ معرفة منهج تحليل النصوص لدى

- ١ كاتب ما ، لا يمكن أن تستقيم إلا بملاحظة كيفية تعامل هذا
- ٢ الكاتب مع مجموعة من النصوص «الكاملة» . والملاحظ في
- ٣ «أسرار البلاغة» أنّ عبد القاهر الجرجاني لم يتولّ تحليل أي
- ٤ نص كامل ، بل كان يقتصر في تحليله على أجزاء من نصوص
- ٥ تنفعه في مقام الاستشهاد أو التمثيل . وليس لنا من سبيل إلى
- ٦ لومه على ذلك ، فكتابه إنما هو كتاب في علم البلاغة ، وليس
- ٧ كتاباً في تحليل النصوص الأدبية ، فله العذر إذن فيما صنع .
- ٨ إنما نريد هنا أن نلتمس لأنفسنا العذر أيضاً فيما إذا لم تسعفنا
- ٩ مادة البحث المتاحة أمامنا في تكوين نظرة دقيقة وافية قادرة
- ١٠ على تغطية كل ملامح المنهج الذي اختطه الجرجاني لنفسه في
- ١١ الأسرار ، ولكن هذا لا يعذرنا من السعي والمحاولة لأجل بلورة
- ١٢ ما يمكن بلورته من سمات المنهج .
- ١٣ والملاحظة الأخيرة هي أننا لسنا مطالبين بالضرورة ، عندما
- ١٤ يكون الحديث عن مناهج نقادنا المتقدمين ، بأن نسعى إلى
- ١٥ إعطاء مناهجهم أسماء نجدها مستعملة لدى أصحاب مدارس
- ١٦ النقد الحديث . فبإمكاننا الحديث عن مناهج المتقدمين دونما
- ١٧ لجوء إلى تسميات المناهج الحديثة . وليست القضية هنا قضية
- ١٨ قناعة فكرية لدى الباحث بضرورة عدم تطبيق المناهج «الغربية»
- ١٩ على أدبنا ونقدنا «الشرقيين» ، أو بضرورة عدم استخدام المناهج
- ٢٠ «الحديثة» أساساً في تناول الأدب والنقد «القديمين» . فمن
- ٢١ المفيد والمثري ، في نظر الباحث ، لأدبنا ونقدنا القديمين أن

- ١ يُتناولا في ضوء معطيات المناهج الحديثة . ولكن القضية هنا
- ٢ هي قضية التسميات فحسب . إنَّ استخدام اسم منهج من
- ٣ المناهج الحديثة في الحديث عن منهج مؤلف قديم ، يعني حصر
- ٤ نتاج هذا المؤلف في إطار الآليات والوسائل التي يقترحها هذا
- ٥ المنهج الحديث ، كما قد يُملَى على الباحث الانطلاق من رؤية
- ٦ فكرية معينة - هي الرؤية التي يقوم على أساسها هذا المنهج
- ٧ الحديث - في التعامل مع نتاج كاتب قديم . وهذان الأمران قد
- ٨ يقودان البحث إلى نتائج فيها قدر غير قليل من التعسف .
- ٩ فالمناسب ، إذن ، هو أن تتم دراسة أبعاد منهج المؤلف القديم
- ١٠ في ضوء معطيات المناهج الحديثة ، بأن يُلاحظ مقدار الاتفاق
- ١١ والاختلاف بينهما . ولكن لا ينبغي أن تدعونا مثل هذه
- ١٢ الدراسة إلى افتراض أن منهج المؤلف القديم هو هذا المنهج
- ١٣ الحديث أو ذاك ، على وجه التحديد والحصر .
- ١٤ وأياً ما كان الأمر ، فإنَّ السبيل المناسب للوقوف على منهج
- ١٥ «أسرار البلاغة» في التعامل مع النصوص ، هو أن يجري تتبُّع
- ١٦ كل حالات هذا التعامل وجزئياته ليتم التوصل إلى أهم
- ١٧ سمات المنهج المتبع وخصائصه . وهذه الخطوة المهمة ستتيح
- ١٨ المجال للوقوف على أبرز إيجابيات المنهج وسلبياته ، ومن ذلك
- ١٩ ستتضح نقاط الالتقاء والافتراق مع ما هو في المناهج النقدية
- ٢٠ الحديثة .
- ٢١ ومن الاستقراء الشامل لكل موارد تعامل «أسرار البلاغة»

- ١ مع النصوص ، يمكن للدراسة الحالية أن تُبرز السمات الآتية
- ٢ للمنهج المتبع في الكتاب :
- ٣
- ٤ -١ استفراغ الوُسْع في تتبع دقائق طاقة اللغة:
- ٥ فعبد القاهر الجرجاني لا يترك مجالاً لمتوهم أن يتوهم أنَّ
- ٦ في لغة النصوص الأدبية أموراً ودقائق لا نفع يُرتجى من ورائها
- ٧ أو لا إضافة جمالية لها من جهة المعنى . فهو ذا يتوقف عند
- ٨ أمور يراها غيره لا تفيد ، مثل «الحشو» على سبيل المثال ، إذ
- ٩ يقول عنه : «وقد تراه مع إطلاق هذا الاسم عليه واقعاً من
- ١٠ القبول أحسن موقع ، ومدركاً من الرضى أجزل حظ ، ذلك
- ١١ لإفادته إياك على مجيئه مجيء ما لا يعول في الإفادة عليه ،
- ١٢ ولا طائل للسامع لديه ، فيكون مثله مثل الحسننة تأتيك من
- ١٣ حيث لم تترقبها ، والنافعة أتتك ولم تحتسبها» (٣١) .
- ١٤ ويتوقف عبد القاهر أيضاً عند بعض دقائق المحسنات
- ١٥ البديعية مشيراً إلى قيمتها وأثرها من ناحية المعنى . ففي
- ١٦ حديثه عن «التجنيس» (= الجناس) نجده يقول : «إن ما يعطى
- ١٧ التجنيسُ من الفضيلة أمر لم يتم إلا بنصرة المعنى ، إذ لو كان
- ١٨ باللفظ وحده لما كان فيه مستحسن ، ولما وجد فيه إلا معيب
- ١٩ مستهجن ؛ ولذلك ذم الاستكثار منه والولوع به» (٣٢) .
- ٢٠ وهو يجمع «التطبيق» (=الطباق) وسائر أقسام البديع إلى
- ٢١ الاستعارة في أن سر الجمال أو القبح فيها ليس إلا المعنى ،

- ١ الأمر الذي يعني أنه يرى للطباق فائدة كبيرة في الكلام ،
٢ فليس مجرد محسّن من المحسّنات . يقول : «وأما التطبيق
٣ والاستعارة وسائر أقسام البديع فلا شبهة أن الحسن والقبح لا
٤ يعترض الكلام بهما (كذا) إلا من جهة المعاني خاصة ، من
٥ غير أن يكون للألفاظ في ذلك نصيب ، أو يكون لها في
٦ التحسين أو خلاف التحسين تصعيد وتصويب»^(٣٣) .
٧
٨ -٢- الدقة في تحليل الصور الفنية:
٩ فمما يمتاز به تحليل عبد القاهر للنصوص أنه يتولى إظهار
١٠ مكان الجمال في الصور الفنية بشكل باهر ، غير مكتفٍ بشرح
١١ ظواهر هذه الصور بتحليل سطحي سريع لها . فهو يتوقف عند
١٢ الأبيات المعروفة :
١٣ ولما قضينا من منى كل حاجة
١٤ ومسّح بالأركان من هو مسح
١٥ وشدت على دهم المهاري رحالنا
١٦ ولم ينظر الغادي الذي هو رائح
١٧ أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
١٨ وسالت بأعناق المطي الأباطح
١٩ وهي الأبيات التي كان ابن قتيبة قد اتخذ منها مثلاً على
٢٠ ذلك الضرب من الشعر الذي «حسن لفظه وحلا ، فإذا أنت
٢١ فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى»^(٣٤) - أقول : يتوقف عبد

- ١ القاهر عند هذه الأبيات الثلاثة ، ويولي البيت الأخير منها
- ٢ كثيراً من عنايته ، مستخرجاً منه صورة جميلة ما كانت لتخطر
- ٣ على بال ابن قتيبة وأمثاله من لم يمتلكوا مثل دقة عبد القاهر
- ٤ في فهم أسرار الصور الشعرية . والملاحظ على تحليل عبد القاهر
- ٥ للصورة الفنية التي يشتمل عليها البيت الأخير ، أنه لم يكتفِ
- ٦ ببيان قيمة الصورة على إجمالها ، بل أخذ ببيان قيمة كل
- ٧ مكوّن من مكوّناتها ، فتحدث عن قيمة «أطراف» و«سالت»
- ٨ و«أعناق»^(٣٥) .
- ٩

١٠-٣- الإعلاء من دور الذوق في العملية النقدية:

- ١١ تحدث الباحثون عن الذوق الفريد الذي انماز به عبد القاهر
- ١٢ الجرجاني فأكثرُوا ، حتى قال أحدهم عنه : «وهو ذوق لا نبالغ
- ١٣ إذا قلنا إن الرجل قد سبق به عصره»^(٣٦) . هذا الذوق الفريد
- ١٤ أفاد منه صاحبه إفادة عظمت في تعامله مع النصوص ، وكانت
- ١٥ هذه الإفادة سبباً من أهم أسباب قيمة «أسرار البلاغة» .
- ١٦ فنجده ، مثلاً ، يستضعف تجنيس أبي تمام في قوله :
- ١٧ ذهب بمذهبه السماحة فالتوت
- ١٨ فيه الظنون : أمَذهب أم مُذهب
- ١٩ ويستحسن تجنيس الفتح البستي في قوله :
- ٢٠ ناظراه فيمما جنى ناظراه
- ٢١ أو دعاني أمّت بما أودعاني

- ١ ويعتمد في استضعافه واستحسانه على ما يميله عليه ذوقه
- ٢ المرهف ، فيقول : «ورأيتك لم يزدك بمذهب ومذهب على أن
- ٣ أسمعك حروفاً مكررة ، تروم لها فائدة فلا تجدها إلا مجهولة
- ٤ منكرة ، ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة ، كأنه يخدعك عن
- ٥ الفائدة وقد أعطاه ، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة
- ٦ ووفاه» (٣٧) .
- ٧ ولو أنَّ باحثًا ما رام استقصاء أثر ذوق الجرجاني في تحليل
- ٨ النصوص ، لأحوجه هذا إلى جهد عظيم ؛ إذ لا يكاد يخفى أثر
- ٩ هذا الذوق في تعامل الجرجاني مع أي نص من النصوص التي
- ١٠ عرض لها في كتابه . وبلحاظ ما تقدم يشعر المرء بمدى غرابة ما
- ١١ ذكره الدكتور طه حسين وتعامله ، حين قال : «لم يكن عبد
- ١٢ القاهر الجرجاني عندما وضع في القرن الخامس كتاب أسرار
- ١٣ البلاغة المعتبر غرة كتب البيان العربي إلا فيلسوفًا يجيد شرح
- ١٤ أرسطو والتعليق عليه» (٣٨) . إنَّ مثل هذا الكلام قد يكون له
- ١٥ محل من القبول لو أنه اكتفى بذكر أن نتاج أرسطو والثقافة
- ١٦ اليونانية القديمة عمومًا كان رافدًا من روافد فكر الجرجاني ، أما
- ١٧ أن تُحصر كل جهود الرجل في إجادته «شرح أرسطو والتعليق
- ١٨ عليه» فهذا كلام بعيد كل البعد عن الإنصاف والموضوعية
- ١٩ العلمية .
- ٢٠
- ٢١

١ -٤- الاهتمام بالسياق:

- ٢ فمّن أهم ما عُرف واشتهر به عبد القاهر الجرجاني نظريته
- ٣ في «النظم» ، النظرية التي قيل إنه انتفع بفكرة «الكلام
- ٤ النفسي» الأشعرية في صياغتها^(٣٩) . وهي النظرية التي جعلته
- ٥ لا يرى لأيّ من اللفظ والمعنى ميزة على الآخر . فالميزة ، كل
- ٦ الميزة ، إنما هي للسياق العام . فمتى ما تطلب السياق لفظة من
- ٧ الألفاظ أو معنى من المعاني ، حَسُن إيراد تلك اللفظة أو هذا
- ٨ المعنى ، والعكس بالعكس . ومن هنا ، حَمَلَ عبد القاهر
- ٩ الجرجاني حملة عنيفة على أولئك الذين يثقلون كلامهم بألوان
- ١٠ من المحسّنات البديعية لا يتطلبها السياق ولا يتحملها ، فقال :
- ١١ «وقد تجد في كلام المتأخرين الآن كلامًا حمل صاحبه
- ١٢ فرط شغفه بأمرور ترجع إلى ما له اسم في البديع إلى أن ينسى
- ١٣ أنه يتكلم ليُفهم ، ويقول ليبين ، ويخيل إليه أنه إذا جمع بين
- ١٤ أقسام البديع في بيت فلا ضير أن يقع ما عناه في عمياء ، وأن
- ١٥ يوقع السامع من طلبه في خبط عشواء ، وربما طمس بكثرة ما
- ١٦ يتكلفه على المعنى وأفسده ، كمن ثقل العروس بأصناف
- ١٧ الحلّى ، حتى ينالها من ذلك مكروه في نفسها^(٤٠) .
- ١٨ وفي ضوء هذه النظرية ، أخذ عبد القاهر
- ١٩ يتعامل مع التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز . فهو لا يحلّلها
- ٢٠ إلا من خلال السياق ، ولا يستحسنها إلا إذا استدعاها السياق
- ٢١ واقتضاها . فهو ذا يقف أمام قول القائل وقد سمع كلامًا حسنًا

- ١ من رجل دميم : «عسل طيب في ظرف سوء» ، ليفهم هذا
- ٢ القول من جمع كل جزئيات السياق إلى بعضها ، دونما تفتيت
- ٣ مخل بالمقصود . يقول : «ليس (عسل) ههنا على حده في
- ٤ قولك : ألفاظه عسل ، لأجل أنه لم يقصد إلى بيان حال اللفظ
- ٥ الحسن وتشبيهه بالعسل في هذا الكلام الحسن من المتكلم
- ٦ المشنوء في مظهره ، وإنما قصد إلى قياس اجتماع فضل المخبر مع
- ٧ نقص المظهر ، بالشبه المؤلف من العسل والظرف . ألا ترى أن
- ٨ الذي يقابل الرجل هو ظرف سوء ، وظرف سوء لا يصلح تشبيهه
- ٩ الرجل به على الانفراد ؛ لأن الدمامة لا تعطيه صفة الظرف من
- ١٠ حيث هي دمامة ، ما لم يتقدم شيء يشبه ما في الظرف من
- ١١ الكلام الحسن والخلق الجميل أو سائر المعاني التي تجعل
- ١٢ الأشخاص أوعية لها»^(٤١) .
- ١٣ ومن هنا يتضح أن تركيز عبد القاهر في «أسرار البلاغة»
- ١٤ على الصورة البلاغية ليس مقابلاً لتركيزه على النظم في
- ١٥ «دلائل الإعجاز» كما ذهب بعض الدارسين ، مستنتجاً من
- ١٦ ذلك أن «كتاب دلائل الإعجاز أكثر شمولاً وتمثيلاً لخلاصة
- ١٧ فكر عبد القاهر البلاغي»^(٤٢) . فالواقع أن الحديث عن الصورة
- ١٨ البلاغية في «أسرار البلاغة» لم يكن منفصلاً عن نظرية
- ١٩ النظم ، بل كان امتداداً لها وتطبيقاً عملياً لها . أما كون «دلائل
- ٢٠ الإعجاز» أكثر شمولاً من نواحٍ أخرى غير هذه ، فهذا حديثٌ
- ٢١ آخر .

- ١ كانت تلکم أهم السمات التي لاحظتها الدراسة الحالية
- ٢ على منهج عبد القاهر الجرجاني في تعامله مع النصوص في
- ٣ «أسرار البلاغة». ومن نافلة القول أن هذه السمات تجدلها
- ٤ ترحيباً قوياً في المناهج النقدية الحديثة في الجملة . فالإفادة من
- ٥ أسرار اللغة وطاقتها ، وإعمال الدقة في تحليل الصور الفنية ،
- ٦ والنظر إلى سياق الكلام كاملاً بوصفه وحدة واحدة لا تقبل
- ٧ التجزئة ، والإعلاء من شأن ذوق الناقد وإعطائه أهمية كبرى
- ٨ في العملية النقدية ، كلُّها أمور ينظر إليها النقد الحديث نظرة
- ٩ احترام ، وإن كانت المناهج النقدية الحديثة تتفاوت فيما بينها
- ١٠ في تأكيد مدى أهمية كل سمة من السمات المتقدمة . وبيان
- ١١ كيفية هذا التفاوت أمر يحتاج إلى دراسة مفصّلة مستقلة ؛ ولذا
- ١٢ فهو خارج عن طوق هذه الدراسة ونطاقها .
- ١٣ وإلى جانب السمات الرئيسة المتقدمة ، ستتوقف الدراسة
- ١٤ الحالية فيما يأتي ، عند مجموعة من النقاط التي تعدها من
- ١٥ إيجابيات المنهج وسلبياته ؛ وذلك رغبةً في تسليط مزيد من
- ١٦ الضوء على حقيقة المنهج المتبع في «أسرار البلاغة» :
- ١٧
- ١٨ **من إيجابيات المنهج؛**
- ١٩ يتسم منهج الجرجاني في «أسرار البلاغة» ، فيما يخص
- ٢٠ التعامل مع النصوص ، بمجموعة من الإيجابيات التي تُعلي من
- ٢١ شأن هذا المنهج وتعطيه أهميته البالغة . ومن هذه الإيجابيات :

- ١ -١ عدم التعصب للرأي؛
- ٢ فعبء القاهر الجرجاني يُظهر في كتابه قدرًا كبيرًا من المرونة
- ٣ وسعة الصدر وقبول الرأي الآخر المخالف لرأيه ، ولاسيما فيما
- ٤ يتصل بالأمور الإشكالية غير المتفق عليها برأي . ويتضح عدم
- ٥ تعصب الجرجاني لرأيه في مواضع عدة من كتابه ، منها الفصل
- ٦ الذي عقده في الصفحة الثامنة والستين . ففي هذا الفصل
- ٧ طرح الجرجاني اعتراضاً يقول إن تنزيل الوجود منزلة العدم
- ٨ وعكسه ليس من التشبيه في شيء ، وهو اعتراض على ما كان
- ٩ الجرجاني قد ذهب إليه من أنه من التشبيه .
- ١٠ وقد ردَّ الجرجاني هذا الاعتراض ردًّا رقيقًا ، يكشف عن
- ١١ المرونة وعدم التعصب في منهجه ، قائلاً : «إنَّ الأمر كما
- ١٢ ذكرتَ ، ولكن تتبعتُ فيما وضعته ظاهر الحال ونظرتُ إلى
- ١٣ قولهم : موجود كالمعدوم ، وشيء كلا شيء ، ووجود شبيهه
- ١٤ بالعدم . فإنَّ أبيت أن تعمل على هذا الظاهر لم أضايق فيه ، إلا
- ١٥ أن من حَقِّك أن تعلم أنه لا غنى بك عن حفظ الترتيب الذي
- ١٦ رتبته . . .» (٤٣) .
- ١٧ ومما لا شك فيه أنَّ عدم التعصب للرأي وإفساح المجال أمام
- ١٨ الرأي الآخر صفة محمودة من الصفات التي يجدر بكل باحث
- ١٩ أن يتوفر عليها ، ولكن لا بد أن تكون لهذه الصفة حدودها
- ٢٠ المعقولة ، وإلا تحولت إلى صفة مذمومة مشيرةً إلى ضعف
- ٢١ شخصية الباحث . والمؤسف أنَّ هذا المحذور قد وقع فيه

- ١ الجرجاني ، وإن كان هذا نادراً جداً . ففي هذه الحالات النادرة
- ٢ جداً ، نجد أن الجرجاني يتنازل عن قناعاته وعمّا هو مؤمن به ،
- ٣ لا لشيء سوى الرغبة في عدم مخالفة الآخرين ، فهو يقول :
- ٤ «واعلم أن الواجب كان أن لا أعد وضع الشفة موضع الجحفلة ،
- ٥ والجحفلة في مكان المشفر ونظائره التي قدمت ذكرها ، في
- ٦ الاستعارة ، وأضنّ باسمها أن يقع عليه . ولكني رأيتهم قد
- ٧ خلطوه بالاستعارات وعدّوه معدّها ، فكرهتُ التشدد في
- ٨ الخلاف واعتدتُ به في الجملة . . .» (٤٤) .
- ٩ ولكن الجرجاني يبدو متمسكاً برأيه وبقناعاته جيداً ، وإن
- ١٠ خالف الآخرين ، عندما تتصل المسألة بالدين وبأموره ، فهو
- ١١ يعلّق على قول المتنبي :
- ١٢ يترشفن من فمي رشفات
- ١٣ هن فيه أحلى من التوحيد
- ١٤ بقوله : «وأبعد ما يكون الشاعر من التوفيق إذا دعت شهوة
- ١٥ الإغراب إلى أن يستعير للهزل والعبث من الجد ، ويتنزل بهذا
- ١٦ الجنس» (٤٥) . وحول هذه القضية يقول الدكتور إحسان عباس :
- ١٧ «ومع أن عبد القاهر قد خالف كثيراً من النقاد والسابقين الذين
- ١٨ رأوا أن لا يُحكم على الشعر والشاعر من الزاوية الدينية ، فإنه
- ١٩ كان أصرح منهم موقفاً ؛ لأن أولئك النقاد وضعوا نظرية دفاعية
- ٢٠ خالفوها عند التطبيق ، أما هو فإنه قد تحرّج من إطلاق العنان
- ٢١ لنفسه في خوض هذا الموضوع» (٤٦) .

- ١ -٢- الموضوعية والدقة في الأحكام:
- ٢ يحرص عبد القاهر الجرجاني حرصاً شديداً على مراعاة
- ٣ الدقة والموضوعية في أحكامه ، فلا يقرر حكماً ولا يصدر رأياً
- ٤ إلا إذا وجد لهما مرتكزاً من الأدلة والشواهد التي بين يديه ،
- ٥ وهو في هذا يسعى إلى أن يكون حكمه في الحدود التي يدل
- ٦ عليها الدليل فحسب ؛ ولذا نجده يرفض التعميم في الأحكام
- ٧ حيث لا دليل عليه . فإذا تحدّث عن الاستعارة في لفظة
- ٨ «أفراس» في قول زهير : «وعرّي أفراس الصبا ورواحله» ، سارع
- ٩ إلى القول : «وليس من حَقِّك أن تتكلف هذا في كل موضع
- ١٠ فإنه ربما خرج بك إلى ما يضر المعنى وينبو عنه طبع
- ١١ الشعر»^(٤٧) . وفي موضع آخر نجده أيضاً يرفض التعميم في
- ١٢ الأحكام ، ويقول : «فإن من حُكْم المحصل أن لا ينظر في تلاقي
- ١٣ المعاني وتناظرها إلى جمل الأمور ، وإلى الإطلاق والعموم ، بل
- ١٤ ينبغي أن يدقق النظر في ذلك ويراعي التناسب من طريق
- ١٥ الخصوص والتفاصيل»^(٤٨) .
- ١٦ ومن أوضح ما يدل على موضوعية عبد القاهر ودقته في
- ١٧ إصدار الأحكام ، أنه كان إذا توقف في مسألة من المسائل عند
- ١٨ نقطة لا يعرف لها وجهاً ، لم يتخبط خبط عشواء كما يفعل
- ١٩ الكثيرون ، بل كان يصرح بعدم اهتدائه إلى الجواب ، كما في
- ٢٠ قوله مثلاً : «وهذا موضع في الجملة مشكل ، ولا يمكن القطع
- ٢١ فيه بحكم على التفصيل»^(٤٩) . وكان إذا شعر بعجز عباراته

- ١ عن بيان كل ما في صورة شعرية ما من جمال ، اعترف بهذا
- ٢ العجز ، قائلاً : «وحقيقة حالها في ذلك مما لا يكمل البصر
- ٣ لتقريره وتصويره في النفس فضلاً عن أن تكمل العبارة لتأديته
- ٤ ويبلغ البيان كنه صورته»^(٥٠) .

٥

٦ -٣- عدم الفصل بين الشكل والمضمون:

- ٧ من الإيجابيات الكبيرة لمنهج الجرجاني في «الأسرار»
- ٨ ربطه الوثيق بين الشكل والمضمون ، أو اللفظ والمعنى ، ونحن
- ٩ نعلم جميعاً الاختلاف الكبير الذي كان بين نقادنا القدماء في
- ١٠ تقديم أحد هذين الجانبين على صاحبه .
- ١١ وليس مما يهم الدراسة الحالية التوقف عند شرح نظرية
- ١٢ النظم لدى عبد القاهر وبيان كيفية تمكّن هذه النظرية من
- ١٣ القضاء على الفصل المتوهم بين الجانبين المتحدّين : الشكل
- ١٤ والمضمون ، فلهذا موضع آخر . ولكن الدراسة الحالية تود
- ١٥ الإشارة إلى ما للربط الوثيق بين الشكل والمضمون من أثر
- ١٦ واضح في أحكام عبد القاهر التفضيلية على النصوص . فهو
- ١٧ في باب التجنيس مثلاً ، لا يقنع بالنظر إلى الجمال اللفظي
- ١٨ الذي توجده اللفظتان المتجانستان ، حتى يربط هذا الجمال
- ١٩ بجانب المعنى ، فإن تكامل الجانبان - أي اللفظ والمعنى - معاً
- ٢٠ في الجمال ، كانت المحصلة النهائية هي الحكم بالجمال ، وإلاً
- ٢١ فلا . فهو يقول : «إنّ ما يعطي التجنيس من الفضيلة أمر لم يتم

- ١ إلا بنصرة المعنى ، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه
- ٢ مستحسن ، ولما وجد فيه إلا معيب مستهجن»^(٥١) . ومن هنا
- ٣ فهو يستحسن التجنيس الوارد في قول البحري :
- ٤ يعيش عن المجد الغبي ولن ترى
- ٥ في سؤدد أربًا لغير أريب
- ٦ وفي قوله :
- ٧ فقد أصبحت أغلب تغليبًا
- ٨ على أيدي العشييرة والقلوب
- ٩ لأن «المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه . . .»^(٥٢) .
- ١٠
- ١١ **من سلبيات المنهج:**
- ١٢ رغم كل السمات الإيجابية التي تميز بها منهج عبد القاهر
- ١٣ الجرجاني في تعامله مع النصوص ، فإنَّ هذا المنهج لم يسلم من
- ١٤ بعض الهنات والسلبيات التي قد لا ترضي النظرة النقدية
- ١٥ المعاصرة . وتحاول الدراسة الحالية أن تشير إلى أهم تلكم
- ١٦ السلبيات المنهجية فيما يأتي :
- ١٧
- ١٨ ١- **الحرص على التقعيد والتقنين:**
- ١٩ من الكلمات الشائعة في كتابات من كتبوا ويكتبون عن
- ٢٠ تاريخ البلاغة : أن الحرص على ضبط كل الوجوه البلاغية في
- ٢١ الكلام قد بدأ مع السكاكي الذي حرص حرصًا بالغًا ، على ألاَّ

- ١ تفوته صغيرة أو كبيرة من الفنون البلاغية دون أن يضبطها
- ٢ التعقيد والتقنين ، وهؤلاء الذين يذكرون مثل هذا الكلام
- ٣ يضيفون إليه عادةً : أن السكاكي قد فارق منهج الجرجاني
- ٤ وخرج عليه ، فأفسد البلاغة .
- ٥ والدراسة الحالية لا تسعى هنا للدفاع عن السكاكي أو عن
- ٦ منهجه في البلاغة ، ولكنها تود الإشارة إلى أن هذا الذي وقع
- ٧ فيه السكاكي لم يكن غريباً تماماً عمّا سلكه الجرجاني في
- ٨ «أسرار البلاغة» ، وإن كان من الواضح أن السكاكي قد بالغ في
- ٩ سلوك هذا المسلك بنحو مفرط . فعبد القاهر الجرجاني يوضح ،
- ١٠ بجلاء ، أن الداعي الذي دعاه إلى البحث في الأمور التي
- ١١ يبحث فيها ، إنما هو شعوره بالحاجة إلى ما يشبه القوانين التي
- ١٢ تضبط فروع هذا العلم ومسائله ، وصولاً إلى اليقين ، فهو يقول :
- ١٣ «واعلم أن هذه الأمور التي قصدتُ البحثُ عنها أمور كأنها
- ١٤ معروفة مجهولة . وذلك أنها معروفة على الجملة لا ينكر بيانها
- ١٥ في نفوس العارفين ، ذوق الكلام والمتمهرين في فصل جيده
- ١٦ من رديئه ، ومجهولة من حيث لم تتفق فيها أوضاع تجري
- ١٧ مجرى القوانين التي يرجع إليها فتستخرج منها العلل في
- ١٨ حسن ما استحسن ، وقبح ما استهجن ، حتى تعلم علم اليقين
- ١٩ غير الموهوم ، ويضبط ضبط المزموم المخطوم»^(٥٣) .
- ٢٠ وانطلاقاً من هذا المنطلق ، يأخذ عبد القاهر في وضع ما
- ٢١ يشبه القوانين . يقول :

- ١ « . . . فغرضي الآن أن أريك أنواعًا من التخيل ، وأضع
- ٢ شبه القوانين ليستعان بها على ما يُراد من التفصيل
- ٣ والتبيين» (٥٤) .
- ٤ ويظهر مدى حرص الجرجاني على التقعيد والتقنين عندما
- ٥ يلجأ إلى القسمة العقلية الحاصرة في محاولته استيعاب كل
- ٦ الأشكال والأنماط في المبحث المبحوث فيه ضمن أقسام
- ٧ محددة ، لا تزيد ولا تنقص . فإن لم يجد المجال متاحًا للقسمة
- ٨ الحاصرة ، لجأ إلى الاستقراء ؛ ليصل من طريقه إلى تحديد
- ٩ الأشكال والأنماط . فهو ذا يقول عن طريقته هذه :
- ١٠ «واعلم أن ما شأنه التخيل أمره في عظم شجرته إذ تؤمل
- ١١ نسبه ، وعرفت شعوبه وشعبه - على ما أشرت إليه قبيل - لا
- ١٢ يكاد تجيء فيه قسمة تستوعبه ، وتفصيل يستغرقه ، وإنما
- ١٣ الطريق فيه أن يتتبع الشيء بعد الشيء ، ويجمع ما يحصره
- ١٤ الاستقراء» (٥٥) .
- ١٥ ولعل لجوء الجرجاني إلى مثل هذه الطريقة هو الذي دعا
- ١٦ الدكتور طه حسين إلى أن يقول عن «أسرار البلاغة» ومؤلفه :
- ١٧ «وإننا لنجد في كتابه المذكور جراثيم الطريقة التقريرية التي
- ١٨ أودت بالبيان العربي في القرن السادس» (٥٦) .
- ١٩ وينبغي هنا أن يكون الفرق واضحًا عندنا بين أمرين : بين
- ٢٠ محاولة تعليل وجه الجمال في الصورة الفنية الواردة في
- ٢١ النصوص من جهة ، وبين محاولة وضع القوانين والقواعد التي

- ١ تسعى إلى حصر الوجوه الجمالية وأقسام الألوان البلاغية في
- ٢ تصنيفات تستهدف الضبط المنطقي والحصر العقلي الشامل من
- ٣ جهة أخرى . فالأمر الأول أمر محمود مطلوب ؛ لأنه يوصل
- ٤ الناقد إلى مرحلة القدرة على إيصال سرّ الجمال الذي لاحظته ،
- ٥ إلى المتلقي ؛ ليتمكن هذا الأخير بدوره من الإحساس بالجمال
- ٦ والشعور بروعته ، وبذا يكون علمه ، كما قال عبد القاهر ، «علمًا
- ٧ يخرجك عن نقيصة التقليد ، ويرفعك عن طبقة المقتصر على
- ٨ الإشارة ، دون البيان والإفصاح بالعبارة»^(٥٧) .
- ٩ أما الأمر الآخر فهو مختلف تمامًا ؛ إنه يؤدي بالبلاغة إلى
- ١٠ أن تتخلى عن اعتمادها على الذوق الأصيل ، لتستبدل به
- ١١ قواعدَ منطقية جافة ، تعتمد على القسمة العقلية والاستقراء
- ١٢ وما أشبههما ، وهذا ما حصل بالضبط لدى السكاكي ومن
- ١٣ حذا حذوه كالخطيب القزويني والتفتازاني وغيرهما ، عندما
- ١٤ تعمقت لدى هؤلاء البذور التي وجدوها لدى عبد القاهر
- ١٥ الجرجاني من اعتماده على التقنين والتعقيد .
- ١٦ ولكن الأمر الذي هوّن من خطر هذه البذور لدى عبد
- ١٧ القاهر ، هو ذوقه الرفيع وطغيان الحس الأدبي الأخاذ على
- ١٨ بيانه .
- ١٩
- ٢٠ -٢ عدم التفرقة بين الشعر والنثر في الأحكام؛
- ٢١ من المآخذ الكبيرة التي يأخذها بعض الباحثين المعاصرين

- ١ على الدراسات البلاغية العربية القديمة بعامة ، أنها لم تحاول أن
- ٢ تفرق في أحكامها بين الشعر والنثر . «فلا فرق عند البلاغي
- ٣ بين الشعر والنثر في طبيعة اللغة ولا أشكالها الفنية ، ومن هنا
- ٤ فإن التصورات البلاغية العربية لم تستطع تنمية نظرية محددة
- ٥ للأجناس الأدبية . ولم تقم بدورها في محاولة إثراء بعض هذه
- ٦ الأجناس بالكشف عن أشكالها وخواصها المتميزة وتحديد
- ٧ مقوماتها الجوهرية»^(٥٨) .
- ٨ وهذا المأخذ لم يسلم منه عبد القاهر الجرجاني أيضاً ، إذ لا
- ٩ تظهر في «أسرار البلاغة» أية دلائل تشير إلى إيمانه بضرورة
- ١٠ وجود تفرقة في بعض الأحكام ، على الأقل ، بين الشعر
- ١١ والنثر . نعم ، الفارق الوحيد الذي يلمسه بينهما هو الفارق
- ١٢ الواضح المؤلف القائم على أساس انضباط الشعر بأوزان وقوافٍ
- ١٣ محددة ، بخلاف النثر . وهو الفارق الذي أشار إليه عندما
- ١٤ تحدّث عن ترتيب الصور في قول الشاعر :
- ١٥ النثر مسك والوجه دنا
- ١٦ نـــــــــــــــيـــــــــــــــر وأطراف الأكف عنم
- ١٧ إذ قال : «إنما يجب حفظ هذا الترتيب فيها لأجل الشعر .
- ١٨ فأما أن تكون هذه الجمل متداخلة كتداخل الجمل في الآية
- ١٩ وواجباً فيها أن يكون لها نسق منصوص كالنسق في الأشياء
- ٢٠ إذا رتب ترتيباً مخصوصاً كان لمجموعها صورة خاصة ،
- ٢١ فلا»^(٥٩) .

- ١ ٣- تناسي التفاوت والنسبية؛
- ٢ رغم أن رفض التعميم في الأحكام هو من سمات
- ٣ موضوعية الجرجاني ودقته كما تقدم ، فإن هذه السمة لم ترافق
- ٤ أبحاث الجرجاني كلها على وتيرة واحدة ، فهو في بعض
- ٥ الأحيان يعمد إلى تعميم أحكامه على كل لغات البشر ،
- ٦ كقوله مثلاً :
- ٧ «واعلم أنني ذكرت لك في تمثيل هذه الأصول الواضح
- ٨ الظاهر ، القريب المتناول ، الكائن من قبيل المتعارف في كل
- ٩ لسان ، وما تجد اعترافاً به وموافقة عليه من كل إنسان»^(٦٠) .
- ١٠ وتعميم الأحكام على كل لغات البشر يستبطن ، أولاً ،
- ١١ دعوى الاطلاع على كل هذه اللغات ، كما يستبطن ، ثانياً ،
- ١٢ دعوى انتفاء التفاوت والاختلاف بينها جميعاً . وهذان أمران
- ١٣ لا يمكن لأحد أن يسلمّ بهما .
- ١٤ ويتناسى عبد القاهر الجرجاني قضية التفاوت والنسبية ،
- ١٥ ويصرّ على التعميم ، في بعض أحكامه الأخرى أيضاً ، كذهابه
- ١٦ مثلاً إلى أن التشبيه يكون أجمل كلما كان التباعد بين المشبه
- ١٧ والمشبه به أشد . وفي هذا يقول : «وهكذا إذا استقرت
- ١٨ التشبيهات وجدت التباعد بين الشئيين كلما كان أشد ، كانت
- ١٩ إلى النفوس أعجب ، وكانت النفوس لها أطرب ، وكان مكانها
- ٢٠ إلى أن تحدث الأريحية أقرب»^(٦١) .
- ٢١ وشبيه بهذا ذهابه إلى أن التشبيه يكون أشد فضلاً

- ١ وجمالاً كلما زادت التفاصيل المذكورة فيه^(٦٢) ، وإلى أن للجمع
- ٢ بين عدة تشبيهات في بيت مكاناً من الفضيلة مرموقاً^(٦٣) .
- ٣ وفي مثل هذه الحالات يلغي الجرجاني ، أو يكاد ، دور
- ٤ الذوق من العملية النقدية ؛ ذلك أن الذوق لا يعترف بمثل هذه
- ٥ الأحكام التعميمية التي لا تنهض إلا على أسس شكلية بحته
- ٦ كتعدد التشبيهات وزيادة التفصيلات وما أشبه هذين ، بل
- ٧ يبني الذوق أحكامه على أساس قابليات النص الذي بين يديه
- ٨ من جهة جمالياته وأفاقه الأدبية ، وهذا يعني أن هذه الأحكام
- ٩ لا بد أن تقوم على أساس الاعتراف السابق بحتمية التفاوت
- ١٠ وضرورة النسبية .
- ١١ وبعد الحديث عن السلبيات المتقدمة ، تود الدراسة الحالية
- ١٢ التوقف عند مأخذ يأخذه بعض الباحثين المعاصرين على
- ١٣ الدراسات البلاغية العربية القديمة بعامة ، ومنها دراسات عبد
- ١٤ القاهر الجرجاني ، ذلك أن هذه الدراسات قد اتسمت بشيء
- ١٥ من «الطابع المثالي غير التاريخي الذي كان مسيطراً على العلوم
- ١٦ كلها في هذه العصور»^(٦٤) . ومعنى هذا أن هذه الدراسات
- ١٧ نظرت إلى اللغة نظرة فيها شيء من المعيارية والحتمية ، فلم
- ١٨ تلاحظ أن اللغة كائن نام متطور باستمرار ؛ ولذا لم تُبرز الأحكام
- ١٩ التي أطلقتها هذه الدراسات خاصة التطور اللغوي المستمر ، بل
- ٢٠ نظرت إلى اللغة بوصفها شيئاً ثابتاً جامداً .
- ٢١ والحق أن هذا الباحث قد فاتته أن يلاحظ أن هذا الذي

- ١ صنع الجرجاني وأضرابه من علماء البلاغة ، متفق تماماً مع ما
- ٢ يذهب إليه علم اللغة أو اللسانيات (Linguistics) اليوم .
- ٣ فالدراسات اللسانية المعاصرة تميز ، بوضوح ، بين نمطين من
- ٤ دراسة اللغة هما القَدَم والمعاصرة . «فالقَدَم Diachronic يدرس
- ٥ بمنهج تطوري تاريخي ، والمعاصرة Descriptive تدرس بمنهج
- ٦ وصفي Synchronic أشبه ما يكون بمنهج العلوم الطبيعية»^(٦٥) .
- ٧ ومن الواضح أنّ الجرجاني وأمثاله من علماء البلاغة
- ٨ القديمة لم يكونوا بدراستهم للغة ، في زمانهم ، يدرسون أنماطاً
- ٩ قديمة من اللغة ، حتى نطالبهم بضرورة اتباع المنهج التطوري
- ١٠ التاريخي . بل كانوا يتناولون لغة معاصرة حية ، وفي هذه الحالة
- ١١ لا يكون اتباعهم المنهج الوصفي ، الذي لا ينظر إلى اللغة إلا
- ١٢ بالصفة التي هي عليها وقت الدراسة ، إلا متوافقاً مع ما تذهب
- ١٣ إليه اللسانيات الحديثة اليوم .
- ١٤ هذا ، مع أننا نجد لدى عبد القاهر الجرجاني إشارات إلى
- ١٥ إدراكه معنى التطور في اللغة ، خصوصاً على مستوى الصور
- ١٦ والتراكيب . ففي حديثه عن حاجة بعض الصور إلى مزيد من
- ١٧ التأمل من جانب المتلقي حتى يفهمها بخلاف بعضها الآخر
- ١٨ الذي يكون من الواضح بمكان ، يدعو إلى ألاّ ننظر في حكمنا
- ١٩ إلى فهمنا للصور اليوم ، فلربما نفهم اليوم بوضوح - نتيجة
- ٢٠ التكرار الحاصل بمرور الزمان - ما لم يكن الأولون يفهمونه
- ٢١ بالوضوح نفسه . ويسوغ الجرجاني دعوته هذه بقوله :

- ١ «وإنما أشرت عليك هذا الشرط لأنه لا يمتنع أن يسبق
- ٢ الأول إلى تشبيهه لطيف يحسن تأمله ويدل على ذكائه وحدة
- ٣ خاطره ثم يشيع ويتسع ويذكر ويشهر حتى يخرج إلى حد
- ٤ المبتدل وإلى المشترك في أصله . . .» (٦٦) .
- ٥ وهذا كلام يدل على أن صاحبه يعي تماماً ما تتسم به اللغة
- ٦ من تطور ، يصبح به ما كان عزيزاً فريداً يوماً ما ، شائعاً منتشراً
- ٧ في يوم آخر . ومع هذا الوعي ، فإنَّ عبد القاهر لا يعيبه أن ينظر
- ٨ إلى اللغة من منظور وصفي ثابت ، ما دام يتحدث عن لغة
- ٩ معاصرة ، في حقبة زمنية معينة .
- ١٠
- ١١
- ١٢
- ١٣
- ١٤
- ١٥
- ١٦
- ١٧
- ١٨
- ١٩
- ٢٠
- ٢١

الهوامش

- ١
- ٢
- ٣ -١- شكري عياد : دائرة الإبداع ، ص ١٢١ .
- ٤ -٢- إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ٤٣٦ .
- ٥ -٣- عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ، تحقيق السيد محمد رشيد رضا ، ص ٢٤٣ .
- ٦
- ٧ -٤- المصدر نفسه ، ص ٣٣٨-٣٣٩ .
- ٨ -٥- جبور عبد النور : المعجم الأدبي ، مادة «نص» .
- ٩ -٦- كما في الصفحات : ٣٨ و ٤٤ و ٤٩ و ٨١ و ٨٧ و ٩١ و ٩٢ .
- ١٠ -٧- كما في الصفحات : ٤٢ و ٥٣ و ٩١ و ١٠١ و ١٠٢ .
- ١١ -٨- ككلمة السيدة عائشة ، ص ٤٨ ، وكلمة الإمام علي ، ص ٦٣ .
- ١٢ -٩- كعبارة الجاحظ ، ص ٧ ، وعبارة ابن العميد ، ص ١٩٩ .
- ١٣ -١٠- كخطبة داود بن علي ، ص ٢٢٣ .
- ١٤ -١١- صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص ١١٧ .
- ١٥ -١٢- ورد الاستشهاد بشعره ، ص ٢٩ .
- ١٦ -١٣- استشهد بشعره ، ص ٣٤ .
- ١٧ -١٤- استشهد بشعره ، ص ٣٦ .
- ١٨ -١٥- استشهد بشعره ، ص ١١٩ .
- ١٩ -١٦- استشهد بشعره في مواضع منها : ص ١١٩ و ١٤٦ و ١٦٨ .
- ٢٠ -١٧- استشهد بشعره ، ص ١٤١ .
- ٢١ -١٨- استشهد بشعرها ، ص ٣١٣ .
- ٢١ -١٩- أسرار البلاغة ، ص ٥ .

٢٠- المصدر نفسه ، ص ٩ .	١
٢١- المصدر نفسه ، ص ٢٤٨ .	٢
٢٢- كما في الصفحات : ١١ و ٥٩ و ١٢١ و ٢٧٢ .	٣
٢٣- أسرار البلاغة ، ص ١٢٤ .	٤
٢٤- كما في الصفحات : ٢٣١ و ٢٤٠ و ٢٦٣ و ٢٨٩ .	٥
٢٥- السيد محمد رشيد رضا : مقدمة أسرار البلاغة ، الصفحة ل .	٦
٢٦- محمد مندور : في الميزان الجديد ، ص ١٧٣ .	٧
٢٧- محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، ص ٢٧٦ .	٨
٢٨- محمد زكي العشماوي : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، ص ٣٦١ .	٩
٢٩- العربي حسن درويش : النقد العربي القديم ، أعلامه واتجاهاته ، ص ٢٦٠ وما بعدها .	١٠
	١١
٣٠- إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ٤٤٢ .	١٢
٣١- أسرار البلاغة ، ص ١٤ .	١٣
٣٢- المصدر نفسه ، ص ٥ .	١٤
٣٣- المصدر نفسه ، ص ١٤-١٥ .	١٥
٣٤- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٢٥ .	١٦
٣٥- أسرار البلاغة ، ص ١٦-١٨ .	١٧
٣٦- مصطفى علي عمر : في النقد الأدبي القديم ، ص ١٨٦ .	١٨
٣٧- أسرار البلاغة ، ص ٤-٥ .	١٩
٣٨- طه حسين : مقدمة «نقد النثر» المنسوب إلى قدامة بن جعفر ، ص ١٤ .	٢٠
٣٩- تمام حسان : الأصول ، ص ٣٥٥ .	٢١
٤٠- أسرار البلاغة ، ص ٦ .	

- ١ -٤١- المصدر نفسه ، ص ٢٢٥ .
- ٢ -٤٢- عبد الحميد القط : في النقد القديم والبلاغة ، ص ١٤٥ .
- ٣ -٤٣- أسرار البلاغة ، ص ٦٩ .
- ٤ -٤٤- المصدر نفسه ، ص ٣٥٢ .
- ٥ -٤٥- المصدر نفسه ، ص ٢٠٣ .
- ٦ -٤٦- إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ٤٤٥ .
- ٧ -٤٧- أسرار البلاغة ، ص ٣٧ .
- ٨ -٤٨- المصدر نفسه ، ص ٢٤٣ .
- ٩ -٤٩- المصدر نفسه ، ص ٢١٦ .
- ١٠ -٥٠- المصدر نفسه ، ص ١٥٧ .
- ١١ -٥١- المصدر نفسه ، ص ٥ .
- ١٢ -٥٢- المصدر نفسه ، ص ٧-٨ .
- ١٣ -٥٣- المصدر نفسه ، ص ٢٢٥ .
- ١٤ -٥٤- المصدر نفسه ، ص ٢٦٢ .
- ١٥ -٥٥- المصدر نفسه ، ص ٢٤٠ .
- ١٥ -٥٦- طه حسين : مقدمة «نقد النثر» المنسوب لقدامية بن جعفر ، ص ١٤ .
- ١٦ -٥٧- أسرار البلاغة ، ص ١٥١ .
- ١٧ -٥٨- صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص ١١٢ .
- ١٨ -٥٩- أسرار البلاغة ، ص ٨٨ .
- ١٩ -٦٠- المصدر نفسه ، ص ٦٩ .
- ٢٠ -٦١- المصدر نفسه ، ص ١٠٩ .
- ٢١ -٦٢- المصدر نفسه ، ص ١٥٦ .

١	٦٣- المصدر نفسه ، ص ١٧٠ .
٢	٦٤- صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص ١١١ .
٣	٦٥- تمام حسان : الأصول ، ص ٢٥٥ .
٤	٦٦- أسرار البلاغة ، ص ١٦٥-١٦٦ .
٥	
٦	
٧	
٨	
٩	
١٠	
١١	
١٢	
١٣	
١٤	
١٥	
١٦	
١٧	
١٨	
١٩	
٢٠	
٢١	

المصادر والمراجع	
	١
	٢
١- ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم : الشعر	٣
والشعراء ، تقديم حسن تميم ، مراجعة محمد العريان ،	٤
ط ٣ ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ١٩٨٧ م .	٥
٢- الجرجاني ، عبد القاهر : أسرار البلاغة ، تحقيق السيد	٦
محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، د . ت .	٧
٣- حسَّان ، تمام : الأصول ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ،	٨
١٩٩١ م .	٩
٤- حسين ، طه : مقدمة كتاب «نقد النثر» المنسوب إلى قدامة	١٠
بن جعفر ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٩٨٠ م .	١١
٥- درويش ، العربي حسن : النقد العربي القديم ، أعلامه	١٢
واتجاهاته ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٨ م .	١٣
٦- عباس ، إحسان : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ط ٢ ،	١٤
دار الشروق ، عمَّان ، ١٩٩٣ م .	١٥
٧- عبد النور ، جبور : المعجم الأدبي ، ط ٢ ، دار العلم	١٦
للملايين ، بيروت ، ١٩٨٤ م .	١٧
٨- العشماوي ، محمد زكي : قضايا النقد الأدبي بين القديم	١٨
والحديث ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٩ م .	١٩
٩- عمر ، مصطفى علي : في النقد الأدبي القديم ، ط ٣ ، دار	٢٠
المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٢ م .	٢١

١٠- عياد ، شكري محمد : دائرة الإبداع ، دار إلياس	١
العصرية ، القاهرة ، ١٩٨٧م .	٢
١١- فضل ، صلاح : بلاغة الخطاب وعلم النص ، سلسلة	٣
عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،	٤
الكويت ، ١٩٩٢م .	٥
١٢- القط ، عبد الحميد : في النقد القديم والبلاغة ، دار	٦
المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٢م .	٧
١٣- مندور ، محمد : في الميزان الجديد ، دار نهضة مصر ،	٨
القاهرة ، ١٩٧٧م .	٩
١٤- هلال ، محمد غنيمي : النقد الأدبي الحديث ، دار	١٠
العودة ، بيروت ، ١٩٨٧م .	١١
	١٢
	١٣
	١٤
	١٥
	١٦
	١٧
	١٨
	١٩
	٢٠
	٢١

1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21

	المؤلف:	١
٢	- دكتوراه في اللغة العربية وآدابها (تخصص الأدب والنقد) من	
٣	جامعة اليرموك بالأردن في ٢٠٠٠ م .	
٤	- أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها ، بكلية الآداب	
٥	والعلوم الاجتماعية ، في جامعة السلطان قابوس ، مسقط ،	
٦	سلطنة عمان .	
٧		
٨	- الكتب:	
٩	* من أين الدرب؟ (قصص قصيرة) ، ١٩٨٦ م .	
١٠	* هروب (قصص قصيرة) ، ١٩٨٨ م .	
١١	* كانت ليلة طويلة (قصص قصيرة) ، ١٩٩٦ م .	
١٢	* علوم البلاغة عند العرب والفرس (دراسة مقارنة) ، ٢٠٠٠ م .	
١٣	* نظرات ثقافية (مقالات) ، ٢٠٠٧ م .	
١٤	* نفثات من اللغة والأدب والنقد (مقالات) ، ٢٠٠٧ م .	
١٥	* نافذة على القصة القصيرة الفارسية الحديثة (اختيار وترجمة) ،	
١٦	٢٠٠٨ م .	
١٧	* في السرد العماني المعاصر (دراسات) ، ٢٠١٣ م .	
١٨	* قراءات شعرية ونثرية (دراسات) ، ٢٠١٥ م .	
١٩	* مع المصطلح البلاغي والنقدي (هذا الكتاب) .	
٢٠	- له بحوث ودراسات منشورة في مجلات علمية محكمة ، وشارك	
٢١	في مؤتمرات وندوات مختلفة ، محلية وخارجية .	

- العنوان الإلكتروني :
ehsansadiq@hotmail.com

١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨
٩
١٠
١١
١٢
١٣
١٤
١٥
١٦
١٧
١٨
١٩
٢٠
٢١

الفهرست

	١
	٢
	٣
٥	٤ - مقدمة .
٧	٥ - تمهيد .
٢٧	٦ - «الجملة» في أفاقها الرحبة .
١١٣	٧ - «الفحولة» في «فحولة الشعراء» .
١٣٩	٨ - «الثبوت» عند ابن سلام .
١٧٧	٩ - «التوسع» أو «الاتساع» في «الوساطة» و«المثل السائر» .
١٩٩	١٠ - «النص» في «أسرار البلاغة» .
	١١
	١٢
	١٣
	١٤
	١٥
	١٦
	١٧
	١٨
	١٩
	٢٠
	٢١

ISLAMICMOBILITY.COM
IN THE AGE OF INFORMATION
IGNORANCE IS A CHOICE

*"Wisdom is the lost property of the Believer,
let him claim it wherever he finds it"*

Imam Ali (as)